
بسم الله الرحمن الرحیم


مسلم بن عقیل علیه السلام





رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد لسنة ٢٠١٢: ٩٧٥

الرقم الدولي ISBN: ٩٧٨٩٩٣٣٤٨٩٢٥٠

BP البغدادي، محمد - م.

٤٢/٤ مسلم بن عقيل عليه السلام / تأليف محمد البغدادي . - ط١ . - كربلاء: العتبة الحسينية

٥ م/ المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية ١٤٣٣ق. = ٢٠١٢م.

٧ ب ص٢٥٦ . - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ ٨٤)

المصادر: ص ٢٤٩ - ٢٥٤؛ وكذلك في الحاشية.

١ . مسلم بن عقيل، -٦٠ق. - نقد وتفسير . ٢. مسلم بن عقيل، -٦٠ق. - شهادة. ٣. الكوفة - الأوضاع الاجتماعية والسياسية. ٤ . مسلم بن عقيل، -٦-ق. - تعقيب وإيذاء. ٥ . الحسين بن علي(ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١ق. - أصحاب. ٦ . مسلم بن عقيل، - ٦٠ ق. - شعر ومراثي. ألف. العنوان.

BP ٤٢ / ٤ / م ٥ ب ٧

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة



تأليف

الشيخ محمد البغدادي

إصدار
وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين عليه السلام
في قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

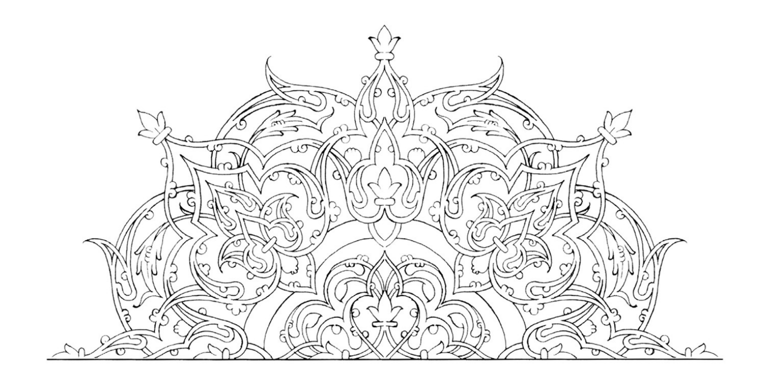


العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

www.imamhussain-lib.com

البريد الالكتروني: info@imamhussain-lib.com



التقديم

أرفع أوراقي هذه إلى سيّدي ومولاي

ثائر الحسين

إمام زماننا وولي عصرنا

بشارة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

محمد بن الحسن

المهدي

فِي فدائيّ من جُند أبيه الحُسين

والأمر لصاحب الأمر

عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ــ في قوله للإمام علي عليه السلام، في مقام مدحه لعقيل بن أبي طالب: ــ

«وإنّ وَلَده لمقتولٌ في محبّة وَلَدِك، فتدمع عليه عيون المؤمنين وتصلّي عليه الملائكة المقرّبون».

ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حتّى جرت دموعه على صدره، ثمّ قال:

«إلى الله أشكو، ما يلقى عترتي من بعدي»[1].

ومن خطاب لسيّد الشهداء عليه السلام، في صحبه الأبرار، في كربلاء:

«إنْ كُنتم وطّنتم أنفسكم على ما وطّنت نفسي عليه، فاعلموا:

أنّ الله، إنّما يهب المنازل الشريفة لعباده، لاحتمال المكاره.

وإنّ الله كان خصّني مع من مضى مِن أهل بيتي الذين أنا آخرهم بقاءً في الدُّنيا، من الكرامات، بما يَسْهُلْ عليّ معها احتمال المكروهات، فإنّ لكم شطراً من كرامات الله، واعلموا أنّ الدنيا حلوها ومرّها حلم

(١) منتهى المقال لأبي علي الحائري: ج٦، ص٢٥٩، عن أمالي الصدوق، المجلس السابع والعشرون.

والانتباه في الآخرة، والفائز من فاز فيها والشقي من شقيَ فيها»[١].

وقال سيّد الشهداء عليه السلام موجّهاً كلامه لصحبه الكرام في كربلاء:

«فإنّي لا أعلم أصحاباً خيراً منكم، ولا أهل بيت أفضل وأبرّ من أهل بيتي، فجزاكم الله عنّي جميعاً خيراً»[٢].

ومسلم من أهل بيت الحسين، ومن أصحابه.

فهنيئاً له المعالي بصحبة:

الحسين، جوهرة القدس.

وروي عن الإمام عليه السلام أنه كتب إلى أهل الكوفة:

«وإنّي باعثٌ إليكم أخي وابن عمّي وثقتي مِن أهل بيتي»[٣].

ذُكر مسلم ـ بعد شهادته ـ بمحضر الحسين عليه السلام فاستعبر الإمام عليه السلام باكياً ثمّ قال:

رحم الله مسلماً، فلقد صار إلى روح الله وريحانه، وتحيّتِه ورضوانه، أمّا أنّه قد قضى ما عليه وبقي ما علينا[٤].

---

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ باقر شريف القرشي: ج٣، ص١٦٦، هـ١.

(٢) الملهوف للسيد ابن طاوس: ص١٥١.

(٣) الإرشاد: ج٢، ص٣٩.

(٤) الملهوف: ص١٣٤.

مقدمة الكتاب

قد يسأل البعض:

عن الوجه، في إتعاب النفس، فـي الكتابـة لهـذا البحـث، مع مـا يتطلّبـه مـن مراجعة وتأمّل وتقليب لصفحات الكتب ولمدوّنات التأريخ مع أنّه موضوع قـديم قد ذهب بكلّ ما له وعليه، كما أنّه قد كتب فيه عدّة من الأفاضل والمهتمّين بهـذا الجانب من التأريخ الإسلامي.

ومع تسليمنا بقِدَمِه، ووجود الكتابات فيه:

إلا أن في البحث والمذاكرة، والكتابة في جوانب من حياة مسلم بـن عقيـل رضوان الله تعالى عليه، هـذا البطـل الـذي قـلّ نظيـره، وعظُمـت آثـاره وتـضحياته وملكاته، أسباباً عدّة؛ وله ما يقتضيه وهاك بعضه:

أ : ضخامة هذه الشخصية في حدّ نفسها.

ب : عظمة العمل الذي صدر من مسلم، وهو قيامه مقام الإمام الحسين عليـه السلام عند أهل الكوفة في المرحلة الأولى من مراحل ثورة الإمام عليه لسلام، وما صدر منه من أعمال بعد ذلك.

ج : عظمة الآثار التي ترتّبت على ما صدر من مسلم عند إدارته لحركته في

الكوفة، والنهاية المهولة المفجعة التي انتهى إليها سيد الشهداء عليه السلام وأهل بيته وصحبه عليهم السلام وثورته المقدسة.

د : محاولة البعض، بسبب سوء الفهم، أو سوء القصد، إثارة شبهات واهية، وإن ظُنّ أنّها مستعصية على الحلّ.

وبالنظر لأهمّية شخصية مسلم في الإسلام، ومواقفه العظيمة، وكونه قدوة وأسوة للأجيال، ولكونه صفحة بيضاء في سجلّ الإسلام، والعترة المحمّدية، ومذهب أهل البيت عليهم السلام، ولترتّب آثار فقهيّة وعملية على بعض ما أثر عن مسلم رضي الله عنه، فلابدّ التعرّض لتلك الشبهات، وبيان أوجه حَلّها، للتزوّد من تلك النهضة المباركة، لفكرنا وسلوكنا.

هـ: ولكون قضيّة مسلم وحركته جزءاً من تأريخنا المشرق العظيم، فلابدّ من تسجيل الواقع كما هو والدفاع عنه والعمل على رسوخه؛ كيلا نفقد هذا التاريخ أو ينتقل إلى الأجيال التي بعدنا وقد عملت فيه أيدي الخيانة والتحريف والجهالة.

و: أمرٌ مهمّ آخر: أنّ القاعدة هي تمييز الرجال بعد معرفة الحقّ وتشخيصه لا معرفة الحقّ بالرجال، والوارد عن المعصوم: اعرف الحقّ تعرف أهله[1].

إلاّ أنّ هناك مجموعة كبيرة من البشر لم تقدم بهذا التكليف من التعرّف على الحقّ كي يتميّز من خلاله، أهل الحقّ ورجاله وهناك مجموعة أخرى قَصُرت عن تمييز نفس الحقّ فاعتمد هذان الفريقان في تمييزهما للحقّ ومعرفته على اتّباع أناسٍ معيّنين يُحسنون الظنّ بهم ــ سواء طابق ظنّهم الواقع أم لا ــ

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٤٠، ص١٢٦.

فينهجون نهجهم ويعتمدون على تمييزهم.

ومن رحمة الله سبحانه بالأمّة الإسلامية، وتيسيراً منه على الأمّة الإسلامية في معرفة الحقّ كي يُواكبه ويلتزمه من صَدّق الله ورسوله حقّاً فقد عرّف الله سبحانه عليّ بن أبي طالب مَعلَماً للحقّ ومناراً، عن طريق كتابه العزيز ورسوله الأمين صلى الله عليه وآله وسلم.

أمّا القرآن ففيه:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾[١].

وقد ورد في تعيين مَنْ هم المقصودون بالآية ــ أي الصادقين ــ إنّهم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولا ريب أنّ علياً عليه السلام سيّدهم، وفي نصوص عدّة التصريح بنزولها في علي أمير المؤمنين عليه السلام[٢].

وأمّا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقد ورد عنه:

«علي مع الحقّ، والحقّ مع علي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض يوم القيامة»[٣].

هذا في أيّام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وأمّا بعده فإنّ ما ثبت عنه من قول وعمل بقي مناراً للحقّ، فمن سار على نهجه ورسخ فيه سلوكه فهو منار للحقّ أيضاً، كما أنّه عليه السلام

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

(٢) راجع: شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ج١، ص٣٤١، وما بعدها.

(٣) فضائل الخمسة من الصحاح الستّة: ج٢، ص١٠٩، عن تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.

نصّ على أناس: أنّهم معالم في طريق الإنسانية، هُداة إلى سُبل الحقّ والفلاح فكان من بعده ولدا رسول الله الحسن والحسين عليهما السلام ثمّ التسعة من ولد الحسين عليهم السلام.

ومسلم لتبعيته المطلقة للنبيّ ولخلفائه المعصومين فكراً وسلوكاً، فقد أضحى مناراً في دنيا الإسلام، ولمّا كان كذلك وجب ذكره، وتعظيمه، والإشادة بفضله، وتعداد أعماله، وبيان ملكاته وخصاله، والدفاع عنه ضدّ كلّ من يحاول عن عمد أو خطأ، أو غفلة إثارة الغبار حول هذه الشخصية الكريمة، التي ضحّت بوجودها في سبيل ترسيخ الإسلام ودفع الغوائل عنه، كما قدّمت هذه التضحية، في سبيل تحرير البشرية من فئة ضالّة مستهترة بالقيم والفضائل، وتعيش لتنهب وتستعبد، وتحتكر الخيرات.

هذه الفئة من مصاديق الآية الكريمة:

﴿ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾[1].

ولتكن دائماً على ذكرٍ من هذه الآية فإنّها تنفع في موارد عدّة من هذا البحث.

لكن المولى سبحانه لم ولن يترك أولياءه في ساحة صراعهم مع حُثالات البشرية، بل انتظر آخر المطاف:

﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[2].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٩٩.

قال تعالى:

﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾[1].

وقال سبحانه وتعالى:

﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[2].

وقال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم:

﴿...وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ...﴾[3].

ما مرّ من الآيات يحكي عن سنن وقوانين في الحياة الدنيا، ولكنّهم ــ الطواغيت ــ لا يعلمون، ولا يشعرون، حتّى يحيط الغضب الإلهي بهم ومن يساندهم ويرتضيهم ثمّ لا مفلت لهم عنه:

﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾[4].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٢٦

(٢) سورة النمل، الآيتان: ٥٠ ـ ٥١.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٤٣.

(٤) سورة المطففين، الآية: ٣٤.

مسلم

هو: مسلم بن عقيل بن أبي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم.

أمّا آباؤه فنحتاج لتصنيف كتاب في كُلّ واحد منهم لنحيط بشخصيته إلاّ أبا طالب سيّد البطحاء ومؤمن قريش فلا تفي بحقّه كتبٌ[1].

وأمّا مسلم: فكتابنا لا يتكفّل بتعريفه؛ إذ شخصيّته الكريمة في غنىً عن التعريف عند أمّة كبيرة من المسلمين هم الشيعة الإمامية الاثنا عشرية؛ إذ يعرفه جيّداً، صغارهم وكبارهم، نساؤهم ورجالهم.

نعم، كتابنا يتولّى مهمّة التنقّل بين ثنايا حياته، خصوصاً ما يتعلّق منها بقضيّة الإمام الحسين عليه السلام سبط رسول الله وخليفته في أمّته، الحسين الذي هو وديعة رسول الله في الأمّة، والذي ذبحه بعضها، وشارك بعض آخر في الجريمة بالسيف أو بالمؤازرة أو بالتبرير أو بالرضا.

وغضبت فئة أخرى لما أصابه وثارت وما تزال.

مسلم كان له دور عظيم في تلك الحركة كما أنّه أحد قرابينها.

---

(١) راجع منها: الحجّة على الذاهب للسيّد فخار بن معد الموسوي؛ أبو طالب مؤمن قريش للشيخ عبد الله الخُنيزي.

عاش مسلم وتربّى في بيوت كانت مهبط جبرئيل، وكانت تنهل منها الأمّة معالم التوحيد ومسالك الإيمان.

ارتشف العلم من عمّه عليّ أمير المؤمنين، ومن الإمامين السبطين الحسن والحسين عليهم السلام.

فلا عجب أن ينهض بالمهامّ الجِسام، وأن توكَل إليه ما ينوء بحمله نخبة الرجال.

سمّاه أبوه مسلماً، وهم اسم حديث الظهور، قليل التداول، إلاّ أنّه ينبئ عن اعتزاز الوالد بالإسلام، كما أنّ له سمّياً في حركة الطف، وهو البطل مسلم بن عوسجة.

حضر مسلم وقعة صفّين، فكان في ميمنة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مع الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله بن جعفر[١].

تزوّج من رقيّة بنت علي أمير المؤمنين وأولدها عبد الله الشهيد في الطفّ، له أربعة أو خمسة من الذكور وبنت واحدة إلاّ أنّه لم يبق له عقب[٢].

اختاره الإمام الحسين عليه السلام سفيراً له إلى الكوفة ليستطلع أوضاعها ويكتب إليه بحقيقة الحال كي يحزم الإمام أمره.

قام مسلم بما أوصاه الإمام به أحسن قيام، وتوثّق من نيّات أهل الكوفة

---

(١) ذكر هذا ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب: ج٣، عند حديثه عن حرب صفّين؛ معجم رجال الحديث للسيّد الخوئي: ج١٨، ص١٥٠، وذُكر أيضاً في العُمدة.

(٢) إبصار العين للشيخ محمد السماوي: ص٥٠؛ مبعوث الحسين: ص٥٤ ـ ٥٥.

وعزائمهم فكتب إلى الإمام يستحثّه القدوم.

غير أنّ الأحداث تسارعت، وبدأت الأمور تجري لغير صالح حركة الإمام، ورغبات أهل الكوفة ممّا وقع معها أهل الكوفة في سُنن من قبلهم فامتُحِنوا لكنّهم فشِلوا في الامتحان، وانقلبوا على أعقابهم فمن جُندٍ للحسين إلى جُندٍ ليزيد، غير جمعٍ نالهم غضب الكيان الحاكم.

اعتقل مسلم بعد معركةٍ هائلة أسطورية بينه ــ وحده ــ من جهة، وبين المئات من جُند الفئة الحاكمة.

أعلن حقيقة الثورة الحسينية الظافرة، وزيف الكيان الحاكم أمام ابن زياد ووسط قادته داخل قصر الإمارة، وهو موقف يُضاف إلى مواقفه العظيمة التي لا تنتهي.

صعدوا به إلى أعلى قصر الإمارة، وضربوا عنقه، ثمّ رموا بجسده من أعلى القصر، وسحبوا جثمانه المقدّس في أزقّة الكوفة وسوقها في مواقف متتابعة للفئة الحاكمة تدلّ على انقطاع كلّ رابطة بينها وبين الإسلام ونبيّه.

نقلت النصوص[1]، أنّ عليّاً أمير المؤمنين طلب من أخيه عقيل العارف بأنساب العرب وخصالها، أن يختار له امرأة يتزوّجها، قد ولدتها فحول العرب، كي تنجب له ولداً يحمل صفات الشجاعة والرجولة، وقد اختار عقيل له امرأة ولدت له بطل الأبطال العبّاس عليه السلام كما ولدت له أبطالاً آخرين سطّروا الملاحم في الطف.

---

(١) العبّاس عليه السلام للسيد عبد الرزاق المقرّم: ص١٢.

فإذا كان عقيل هكذا لأخيه فأحرى به أن يتخيّر لنفسه أيضاً وقد فعل، وَوُلِـدَ له بطل عظيم من أبطال البيت الهاشمي يحمل خصال الفتوّة والشجاعة والشهامة والشمم إلى غيرها من الصفات الجميلة التي ظهرت جليّة في مسلم في الكوفة حينما قام بشؤون سفارته عن الإمام خير قيام وأدّى ما عليه ناصحاً لدينه وإمامه وأمّته.

استشهد في ٨ / ذو الحجّة / ٦٠ هـق[1]، غير أنّ المفيد ذكر أنّ خروجه يوم ثمانية واستشهاده يوم تسعة[2].

حركته، وشهادته، ومدفنه: ــ في الكوفة ــ العراق.

مرقده: مُلاصق للحائط الشرقي من مسجد الكوفة المبارك.

لا يقلّ عمره حين استشهاده عن الخامسة والأربعين، غير أن الشيخ المامقاني ذكر أن عمره حين استشهاده ثمان وعشرون سنة[3].

الآمر بقتله: عبيد الله بن زياد بن أبيه ــ لعنه الله ــ

وقاتله المباشر: بكر بن حمران ــ لعنه الله ــ[4].

من مختصّات مسلم (رضوان الله عليه):

أنّه: أوّل شهيدٍ من بني هاشم، في التأريخ المسجّل المعروف، يُقتل علانيةً

---

(١) راجع: الشهيد مسلم بن عقيل للسيد عبد الرزاق المقرّم: ص٢٥٣.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢، ص٦٦؛ مسار الشيعة للمفيد: ص١٧ ـ ١٨؛ وهناك قول ثالث بل رابع فراجع: المقتل للمقرم: ص١٦٥.

(٣) تنقيح المقال: مج٣، ص٢١٤.

(٤) الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢، ص٦٣.

بهذا الشكل الفجيع.

فلم يُعرف عن بني هاشم أنّه أسرَ لهم أسير بهذه المرتبة من الشرف وقُتل، فبنو هاشم، أشراف العرب، بل الدنيا، قبل الإسلام وبعده، وكانت العرب تُعظّمُهم، وتحفظ لهم مقامهم، ورفعتهم، وهم سادة مكّة، وأهل الحرم، فحفظ أهل الجاهلية لهم مجدهم، وهتك المنتسبون إلى الإسلام ـ زوراً ـ حرمتهم.

أوّل قتيلٍ من بني هاشم، يُقتل علانيةً بيد السلطة، وتغدره الأمّة.

وأمرٌ آخر:

أنّ مسلماً من ضمن ثُلّةٍ من عظماء الأبطال، وأماجد الشهداء المجهولين عند عموم الأمّة الإسلامية.

مسلم، بطلٌ مجهول، عند قرابة المليار مسلم.

نعم، هو معروف عند شيعة أهل البيت،

لكنّه مجهول عند غيرهم.

ووجه مجهوليّته عند هؤلاء المسلمين، هو نفس السبب الذي حدا بهم إلى قلّة الاهتمام بأهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، الذين نزل فيهم من الآيات، وذكرهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في المنقول عنه من الروايات بما يصعب حصره.

القرآن يقول فيهم:

﴿...إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

والنبيّ يقول فيهم:

«إنّي تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي فإن تمسّكتم بهما لن تضلّوا من بعدي»[(١)].

فالقرآن صرّح بنزاهتهم من كلّ شائبة.

والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم صرّح بأنّ سبيل النجاة في اتّباعهم.

ولعلّ من أعظم النصوص في حقّهم، التي تقطع العذر على من يساويهم بغيرهم، ويعدل بهم سواهم، ويأخذ عمّن لا يُقاس بهم.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنّما مَثَلُ أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غَرِق»[(٢)].

ومعلوم أنّه لم ينج من قوم نوح إلاّ من ركب في السفينة، حتّى ابنه.

---

(١) نفحات الأزهار للميلاني: ج١، ٢، ٣، واللفظ من ج١، ص٣٤٧؛ راجع: البحار للعلامة المجلسي: ج٢٣، ص١٣٢؛ فقد نقله عن العامّة بأسانيد وألفاظ متعدّدة؛ فضائل الخمسة من الصحاح الستّة للفيروز آبادي: ج٢، ص٤٣، وما بعدها.

وفي معنى (الثقلين) سمّيا ثقلين لأنّ الأخذ بهما ثقيل، والعمل بهما ثقيل، قال: وأصل الثقيل، أنّ العرب تقول لكلّ شيء ونفيس خطير مصون (ثِقل) فسمّاهما ثقلين إعظاماً لقدرهما وتفخيماً لشأنهما، (نفحات الأزهار: ج١، ص٣٠٨، وص ٣٣٧).

هذا، وقد لخّص السيّد علي الميلاني مجلّدات ثلاثة ضخام في حديث الثقلين من الموسوعة العظيمة ـ عبقات الأنوار ـ لآية الله السيد حامد حسين اللكهنوي الهندي، وتلخيص السيّد الميلاني الذي بلغ اثني عشر مجلّداً، يحوي أحاديث عدّة، قد سمّاه بـ(نفحات الأزهار) غير أنّ العبقات باللغة الفارسية والنفحات بالعربية فراجع واغتنم فإن فيها كنزاً للآخرة والأولى.

(٢) نفحات الأزهار للميلاني: ج٤، ص٤٢.

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾[1].

مأساة حقيقيّة تعيشها الأمّة ولن تصحُ منها إلاّ في وقتٍ:

﴿...لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا...﴾[2].

ستصحو حين لا نفع في الصحو، وستندم حين لا ينفع ندم وإنّ غداً لناظره لقريب.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

عقيل بن أبي طالب

من سادات بني هاشم ــ وكلّهم سادات ــ ومن أجلاّء المسلمين، ومن ذوي المواقف المذكورة والمشهورة والمشكورة في مضادّة معاوية والتنكيل به وبأفعاله وكشف معايبه ومساويه في باحة دار حكمه وبين أزلامه.

ولولا أنّ نور النبيّ ونور الوصي والذريّة الأطهار قد طغى على كلّ نور لكان للرجل شأن آخر في المجتمع الإسلامي وإلاّ فهو ــ نسبة إلى المسلمين بل إلى خاصّتهم ممّن له شأن يُذكر ــ كحال آبائه في الجاهلية والإسلام.

والمروي أنّه الأحبّ إلى قلب أبيه من دون بقيّة أولاده ولذلك استبقاه عنده في عام المجاعة ولم يكله إلى أحد من أهل بيته يكفله له[1].

كان حاله ــ كوالده ــ من جهة الثروة والتمكّن المادّي، إذ المنقول عنه أنّه كان في منتهى الفقر والعوز، ولا يفسّر فقره وفقر غيره من بني هاشم إلاّ بما تنطوي عليه جوانحهم من نفسٍ كريمةٍ وأبيّةٍ، تتأبّى من جانب فلا تستدرّ المال بأيّ طريق اتّفق، وتجود بالقليل والكثير لذوي الحاجات امتثالاً لنداء المكارم، إذ يقوم عنهم جليسهم مفلحاً بحاجته فائزاً بأمله مع أنّ صاحب هذه النفس الكريمة

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٤٢، ص١١٥.

المتعالية في أحوج ما يكون إلى ما بذل، لكن هذه شيمة النفوس الكبيرة التي تنزع إلى المكارم كما يسعى الآخرون إلى شهواتهم ونداء غرائزهم، وإلى الاستحواذ على كلّ شيء واحتكاره.

النبيّ والوصيّ ـ مثلاً ـ كانت الدنيا تحت إمرتهما بما تيسّر لهما أموال خديجة، وبما بذل من بذل وبما نتج من غنائم، وما كان بأيديهما قليلٌ ولا كثير، بل كانوا يقضون اليوم واليومين والثلاثة بلا غذاء، حتّى أصبح هذا شأناً معتاداً لهم، ويا للحسرة، يغدو النبيّ والوصيّ وحالهما ـ وعيالهما ـ هذا، وتنام الأمّة رغدة لا تفيدهما بما تحت أيديهما، ولا تتفقّد شأنهما، والقرآن ينادي بحالهم، ولا عجب من أمّة انتهت سريعاً إلى منحدر مهول، كان ينبئ عنها أوّلها.

ويحدّث التأريخ: أنّ عقيلاً ـ وهو في أوج فقره، وشدّة وطأة الحاجة والعوز ـ كان ينال عطايا من معاوية ويحضر مجلسه في بعض الأحيان وما داهنه يوماً ولا مدحه بل كان يُسمعه القارص من الكلام ويفضحه ويُكيل له الاهانات[1] فما التفت إلى خوف انقطاع رزقه ولا عطّله هذا عن انتهاز الفرص لأداء واجب يَعْسُرُ فِعْلُه على غيره وفي أنسب من هذا المكان والحال.

كان عقيل بصيراً ـ فاقداً للبصر ـ ولعلّ هذا عطّله عن أمور الحياة وعن الحضور في وقائع كثيرة سياسيّة وجهاديّة كانت تقتضي مثله.

لكن ذرّيته ـ أولاده وأحفاده ـ سجّلوا المآثر الخالدة وبَنوا لِعَقيلٍ وآل

---

(١) راجع: بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٤٢، ص١١٢؛ فقد نقل في هذا نصوصاً عن ابن أبي الحديد؛ راجع: الشهيد مسلم بن عقيل للسيد المقرم: ص٤١، وما بعدها.

عقيل مجداً في الدارين فات على الآخرين الفوز به.

لم يرد لعقيل ذكر في مجريات أحداث الطفّ فيظهر أنّه كان في تلك الحقبة من الملتحقين بربّهم، وقبره في البقيع، وبقربه ابن أخيه عبد الله بن جعفر الطيّار[1].

لكنّ مسلماً كان مناراً في الحركة الحسينيّة وأمّة وحده.

وأولاد عقيل الآخرون: جعفر، عبد الرحمن[2].

وأولاد مسلم: محمد بن مسلم، عبد الله بن مسلم.

وأحفاد عقيل الآخرون: جعفر بن محمد بن عقيل، محمد ابن أبي سعيد بن عقيل.

وزاد ابن شهر آشوب: عون بن عقيل، ومحمد بن عقيل.

وإذا أضفنا ولديّ مسلم المقتولين بعد مدّة على شاطئ الفرات اللّذين لهما مرقد مشهور معروف في تلك النواحي من العراق فيكون المجموع تسعة أو أحد عشر من شهداء آل عقيل في قضية الطف ـ وقيل: ١٦ شهيداً ـ وهو عدد ضخم من عائلة صغيرة.

وقد ورد: أن علي بن الحسين كان يميل إلى وِلْد عقيل فقيل له: ما بالك تميل إلى بني عمّك هؤلاء دون آل جعفر، فقال: إنّي اذكر يومهم مع أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام، فأرقّ لهم[3].

---

(١) تحفة العالم: ج٢، ص١٥.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي: ج٤٥، ص٦٢.

(٣) كامل الزيارات: ص٢١٤.

إذن، خَلت مساكن آل عقيل من رجالهم بعد يوم الطفّ؛ إذ قدّموا الصغار والكبار، وترمّلت النساء، وأيتم بقيّة الأطفال، وانطفأت أنوار تلك الديار.

لكنّ مسلماً المنار من بينهم بل بين الهاشميين بل المسلمين قاطبة، استعبر لمقتله الإمام الحسين عليه السلام وقال:

رحِمَ الله مسلماً فلقد صار إلى روح الله وريحانه، وتحيته ورضوانه، أما إنّه قد قضى ما عليه وبقي ما علينا[1].

وتحدّث عنه علماؤنا فقالوا:

أرسل الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل إلى الكوفة وكان مثل الأسد[2].

وقالوا: لقد كان من قوّته أنّه يأخذ الرجل بيده فيرمي به فوق البيت[3].

قال السيّد الخوئي: وكيف كان فجلالة مسلم بن عقيل وعظمته فوق ما تحويه عبارة فقد كان بصفّين في ميمنة أمير المؤمنين عليه السلام مع الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر[4].

وقال فيه الشيخ عبد الله المامقاني[5]: من أصحاب الحسن والحسين، وهو سيّد السعداء، وأوّل الشهداء، وسفير سيد الشهداء عليه السلام إلى أهل الكوفة[6]، وجلالته لا يفي بها قلم، ولا يحيط بها رقم.

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٧٤.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي: ج٤٤، ص٣٥٤.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) معجم رجال الحديث: ج١٨، ص١٥٠.

(٥) تنقيح المقال للشيخ المامقاني: مج٣، ص٢١٤.

(٦) في المصدر: أهل كوفة.

وقال أيضاً: كونه في أعلى درجات العدالة والثقة مما لا يرتاب فيه ذو مسكة، كيف وإرسال الحسين عليه السلام إيّاه سفيراً ورسولاً من أعظم البراهين على ثقته وعدالته، وكان عمره الشريف حين استشهد ثماني وعشرين سنة عاش مع أبيه ثماني عشرة سنة، وبعد أبيه إلى أن قتل عشر سنين واستشهد في اليوم الثامن أو التاسع من ذي الحجة سنة تسع وخمسين[1].

هيّأ مسلم الأوضاع لإمامه ونصح له، ولمّا فلت الأمر، لم ينكل بل حاول بكلّ جهده إرجاع الأمور لنصابها ولمّا انتهى كلّ شيء لم يُبال فلم يلتفت إلى الفناء والموت الذي يتهدّده على يد شرّ الناس وأقذرهم بل انظر بِمَ فكّر:

لقد فكّر في الحسين فحاول إيصال خبر الحال إليه وإرجاعه إلى وجهة أخرى بكلّ وسيلة فتراه يكلّف من تيسّر له في تلك الساعات من قادة جيش ابن زياد فاختار من هو الأقرب إليه والذي يحتمل فيه إيصال الخبر لسبب أو لآخر.

استخدم وسيلة الدعاء بأن يتكفّل المولى سبحانه بهذا الأمر؛ كي يرى الإمام رأيه وفعلاً وصل الخبر إلى الإمام بواسطة رجلين مرّا اتّفاقاً قرب قافلة الإمام فاستعلم البعض منهم الخبر وأبلغ الإمام.

اهتمّ بقضاء ديونه في تلك الساعة فطلب من بعض الموجودين أخذ سيفه ودرعه وبيعها وتسديد ديونه وهو ما أكّدت عليه النصوص بشدّة.

ووقف بعد هذا يواجه ابن زياد ويصرّح له عن موقفه وموقف أهل البيت من السلطة وبني أمية وبقي إلى لحظاته الأخيرة يسبّحُ الله ويمجّده.

---

(١) المعروف أن استشهاد الإمام الحسين في سنة ٦١هـ.ق فيكون استشهاد مسلم في سنة ٦٠ هـ.ق.

رفض السلام على ابن زياد والأمر بيده فلم يداهنه ولم يخضع له كآبائه وأجداده وأهل بيته بل كان يفتخر عند الموت وهو ما عجب منه ابن زياد.

وَرَحَل مسلم أخيراً، متقدّماً قوافل شهداء أهل البيت وشيعتهم وترك الأمّة يعتصرها الألم لفقده.

وتتأثم لقعودها عن بذل النفيس والنفس في نصرته.

وتفتخر به ذاتياً وسلوكاً لمواقفه وجهادياته.

ومن يقرأ سير أهل البيت عموماً، ولاسيما سيرة أبطال الطفّ، يمتلئ فخراً واعتزازاً بما سجّله أولئك الأبطال من مواقف كرامة، ومن استماتة في نصرة الحقّ والدين بما أرعب الأعداء وأثار عجبهم في آنٍ واحد.

يزيد في سطور

هلك يزيد في ١٥/ربيع ٦٤/١هـ.ق، لكنّ آثار جرائمه العظيمة باقية إلى اليوم وبها أصبح اسمه عاراً على من يحمله، ولا نحتاج إلى أكثر من قتله لسيّد شباب أهل الجنّة كمُعرِّفٍ له.

ولكنّنا نبيّن لِمن في قلبه أدنى شبهة تمنعه من الجزم بحال هذا الطاغية، على أن في ذكر أفعال المجرمين منفعةً كبيرةً، إذ تبقى الأمّة على ذكر من انحراف هؤلاء، كي تحذر أمثالهم وتحذر مثل أفعالهم.

إنّ مجموعة كبيرة من المنحرفين عن خطّ الإسلام الأصيل قد خفي على الناس حالهم؛ بسبب كفّ اللسان والقلم عن الجري في هذا المضمار؛ فجهلت الأمّة أمرهم، أو اشتبه عليها حالهم فأحسن الناس الظنّ بهم وجروا على منهاج فكرهم فوقعوا معهم في التيه، والعاقل ـ حتّى لو فرض عدم توجيه أمرٍ شرعي له بفضح هؤلاء وأمثالهم ـ يجدر به عدم التهاون في هذا السبيل للضرر العظيم الداخل على الدين والأمّة بسببهم.

ويزيد، أحد هؤلاء الذين ينبغي للأمّة أن تتذاكر جرائمهم وشؤونهم كي تقيس عليها، فكما أنّ للهدى أعلاماً ومشاعل، فكذلك للباطل والضلالة، ويزيد أحد أعلام الضلالة وأركانها كأبيه وجدّه من قبل.

وأمّا ما يلتزمه بعض العامة[1] من ترك لعن يزيد وأشباهه من الظالمين والمُضلّين حتّى صرّح إليّ أحدهم خلال حديث جرى بيني وبينه، بأنّه يلتزم بعدم لعن أبي لهب وشتمه مع ما ورد في القرآن بشأنه.

ولا ريب في تطرّف هذا ومن سبقه ممّن يتوقّف في لعن إبليس، وبدعوى اقتضاء الديانة مثل هذا التوقّف.

إنّ من صميم الدين الإسلامي الخاتم للأديان والمهيمن عليها، والمتضمّن لأفضل التشريعات وأصلحها لبناء أفراد الجنس البشري وكذا لبناء المجتمع، التزام ولاية أولياء الله سبحانه وإعلان هذا الالتزام البراءة من أعداء الله سبحانه، وإعلان هذا الالتزام.

وإبليس وأبو لهب ونحوهما من الظالمين والمضلّين والكفرة والمنحرفين والمتمرّدين والمحاربين لله ولشرائعه وأنبيائه وأوليائه هم أعداء الله سبحانه وقد أعلن المولى سبحانه براءته من الكفّار، فعلى كلّ من يؤمن بالله سبحانه ويلتزم صراطه، التزام عداوة هؤلاء والبراءة منهم وإعلان هذا الالتزام تعصّباً لله سبحانه ونصرةً له:

﴿...يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[2].

---

(١) راجع حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي: ج٣، ص٤٠٢، وما بعدها؛ وليالي بيشاور: ص٢١١، وما بعدها؛ وابن تيمية: ص٣٦٩، لصائب عبد الحميد؛ وكذلك العباس عليه السلام للمقرّم: ص٣٢٨ ـ ٣٢٩، فيمن يجوّز لعن يزيد من العامّة، ولاحظ أيضاً: معالم المدرستين: ج٢، ص٧٥، حول دفاع بعض المهرّجين عن يزيد.

(٢) سورة محمد، الآية: ٧.

وأيّ محاولة لمهادنة هؤلاء أو للتبرير لهم أو للكفّ عنهم بأنواع الكفّ ـــ من يدٍ أو لسان أو قلم ـ فهو اعتراض على حكم الله سبحانه وقضائه وتركٌ لنصرته في مورد لزوم النصرة، كما أنّ في هذا الالتزام تمرّداً على أوامر الله سبحانه وتحدّياً له وقد أمر الله بلعنهم والبراءة منهم ومحاربتهم ومضادّتهم ومحوهم من جديد الأرض ومن أقلّ ما به إظهار هذا الالتزام هو الإعلان بسبّهم(١).

ويزيد: عدوّ الله الأكبر، وهو لا يقلّ في عداوته لله سبحانه وفي عداوة الله له عن مرتبة أكابر المجرمين في تاريخ الإنسانية الطويل كفرعون والنمرود ونحوهما من العُتاة على الله سبحانه، والمتمرّدين على أوامره ونواهيه والمستهترين بكلّ القيم، وقد ثبت بالأدلّة القطعية هذا، وجرى عليه جمعٌ من علماء العامّة، بعدما أطبقت عليه الشيعة الإمامية الاثنا عشرية بكلّ أفرادها، لا يشذّ منهم أحد.

فلابدّ ـ والحال هذه ـ من التعامل مع هذا القاذورة على هذا الأساس، من الالتزام بكفره وتجبّره وإعلان البراءة منه، ولعنه، والتبرّؤ من كلّ أفعاله نصرةً لله ولرسوله وللدين الذي جاء به النبيّ الأكرم ولذريّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الذين بطش بهم هذا المتنكّر حتّى لشريعة الغاب، ونُصْرَةً لإمام الأمّة سبط رسول الله الذي نهض لإحياء الإسلام وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولإزالة استضعاف الأمّة بعدما فعل بها بنو أمية وولاتهم الأفاعيل.

الله سبحانه أرسل نبيّه بقرآنه ودينه وشريعته لإخراج البشرية من الظلمات إلى النور، لا لكي يفعل هذا ثمّ يسلّم الأمّة والدين إلى بني أميّة يتّخذون عباد الله

---

(١) راجع: ليالي بيشاور: ص٢١٦، حول جواز لعن يزيد.

خولاً وماله دولاً وما من جريمة إلاّ وفعلوها ولا من هدمٍ للدين إلاّ وارتكبوه.

نعم ليس لهم إلاّ الفتوحات التي يُهرّج بها من يُهرّج، ولم تكن إلاّ لتوسعة رقعة دولتهم (التي سُميت بالدولة الأموية ولم تسمّ بالدولة المحمّدية) وللتمتّع بمغانم البلاد المفتوحة وإلا فلم يظهر منهم اهتمام في إنهاء الإلحاد والشرك والكفر في البلاد المفتوحة أو الاهتمام بنشر الإسلام وأحكامه وقوانينه، وهذه الهند تزخر بمئات الديانات إلى يوم الناس هذا، ولا يُنكر إلاّ مكابر أنّ شرب الخمور ومجالس الفسوق كانت تعمر بها دورهم وقصورهم وجلساتهم، والندامى والشعراء كانوا من ألصق الناس بهم وكانت المظالم ومظاهر الجور في طول بلاد الإسلام وعرضها وعشرات الثورات تندلع هنا وهناك ضدّهم خصوصاً من أهل البيت النبوي الطاهر منها ثورة زيد بن علي وثورة يحيى بن زيد وثورة التوّابين وثورة المختار وثورة أهل المدينة وثورة عبد الله بن الزبير وغيرها ممّا لا يعدّ ولا يحصى، وأعظم ثورة على الإطلاق في أيّامهم بل في طول تاريخ الإسلام ثورة أبي الأحرار وسيّد الشهداء ولد رسول الله ووصيّه وخليفته في أمّته ووارث علمه سيّد شباب أهل الجنّة الحسين بن علي بن أبي طالب، فكيف يُتوقّف عن لعن يزيد وتكفيره وقد أباد عائلة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وسبى صبيته ونساءه ومعهم علي بن الحسين السجّاد زين العابدين الإمام المعصوم والخليفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ بدلالة الحديث المروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في أنّ الأئمّة اثنا عشر وكلّهم من قريش[1]، وليس في تاريخ الإسلام

---

(١) نقل النص على هذا: صحيح البخاري: ج٥، ص١٢٤؛ صحيح مسلم: ج٣، ص١٤٥٢؛ راجع: كشف المحجّة لثمرة المهجة: ص١٣٥، مع ملاحظة الهوامش.

كلّه اثنا عشر إماماً غير الأئمّة الاثني عشر من ذرّية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين تعتقد الإمامية هذا بهم بالنصوص التي لا تقبل خلافاً ولا جدالاً ـ.

يزيد هذا أباح مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قتلاً في الصحابة والتابعين وهتكاً لأعراض نسائهم وبناتهم.

يزيد الذي نقل عنه حتّى علماء العامّة:

لعبت هاشم بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل[1]

روى العلاّمة عن البلاذري ـ وهو من علماء العامّة كما هو معروف ـ:

لمّا قُتل الحسين عليه السلام كتب عبد الله بن عمر إلى يزيد بن معاوية: أمّا بعد، فقد عظُمت الرزية، وجلّت المصيبة، وحدث في الإسلام حدثٌ عظيم ولا يوم كيوم الحسين.

فكتب إليه يزيد: أمّا بعد يا أحمق فإنّنا جئنا إلى بيوت منجّدة وفرشٍ ممهّدة ووسائد منضّدة فقاتلنا عنها فإن يكن الحقّ لنا فعن حقّنا قاتلنا وإن كان الحقّ لغيرنا فأبوك أوّل من سنّ هذا وابتزّ واستأثر بالحقّ على أهله[2].

ولا ينقضي العجب من عمر بن الخطّاب، الذي ترك أعاظم الصحابة وزهّادهم وعلماءهم وذوي السابقة والإخلاص والملكات الرفيعة فلم يجد منهم

---

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ القرشي: ج٢، ص١٨٧؛ عن البداية والنهاية لابن كثير: ج٨، ص١٩٢؛ المقتطفات لابن رويش: ج١، ص٢٠١؛ تاريخ الطبري: ج١١، ص٣٥٨؛ أنساب البلاذري: ج٥، ص٤٢؛ ذكره في مقالات تأسيسية في الفكر الإسلام للسيد الطباطبائي صاحب الميزان: ص٢٠٠.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٢٨، عن العلامة البلاذري.

من يولّيه بلاد الشام ـ وهي من أعظم بلاد الإسلام ـ حتّى ولاّها معاوية بن أبي سفيان، ففتح بذلك الباب لهذه الأسرة الملعونة أصولاً وفروعاً، ومعاوية وأبوه أفنوا أعمارهم وإمكانياتهم في العمل لإفناء الإسلام وقتل نبيّه وفعل الأفاعيل بالمسلمين بل ما من جريمة في تأريخ فجر الإسلام إلاّ ولأبي سفيان فيها اليد الطولى.

ثمّ لمّا جاء أوان فتح مكّة ورأى أبو سفيان جيوش الإسلام تملأ الأفق وعلم هيمنة الإسلام على ربوع مكّة والجزيرة أسلم خائفاً يملأ النفاق جوانحه ويفيض عنه حتّى يعلمه من يقترب منه[1].

وهذا معاوية[2]، لم يخضع هو الآخر للإسلام إلا عن خوف ـ عند فتح مكّة ـ ولعلّه لبنائه على أن لا فائدة تُرتجى إذ هي حيلة مكشوفة، لكنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مَنّ عليه بعد اعتقاله، وأطلقه في جملة الطلقاء، فأصبح اسم الطليق[3] ألصق به من ظلِّه، فأسلم عند هذا لكن حاله كأبيه في النفاق والإيغال للإسلام وقادته وأهله، ومن يطالع ما كتبه المؤرّخون عن أبي سفيان وابنه معاوية

---

(١) المقتطفات للعلامة ابن رويش السّقاف الأندونيسي، فقد نقل الكثير عن أبي سفيان من مصادر العامّة فراجع: ج١، ص٢٣٠، وما بعدها؛ راجع: البحار: ج٢١، ص١٢٨ وص١٧٥؛ النظام السياسي لأحمد حسين؛ راجع الغدير، في أبي سفيان: ج١٠، ص١١٤، وما بعدها لتعلم أيّ نفاقٍ يضمّ بين جوانحه بعد إسلامه الظاهري.

(٢) راجع في ترجمة معاوية: المقتطفات للسقّاف: ج١، ص٢٥٢، وما بعدها؛ الغدير للعلامة الأميني: ج١٠، ص١٩٧، وما بعدها، معجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ج١٨، ص١٩٢، وما بعدها؛ النصائح الكافية لمن يتولّى معاوية للعلاّمة محمد بن عقيل؛ راجع في جواز لعن معاوية وسبّه وإثبات كفره؛ ليالي بيشاور: ص٩٢٠.

(٣) نهج البلاغة: الكتاب ٢٨؛ إذ استعمل هذا اللقب بحقّه؛ راجع: الغدير للعلامة الأميني: ج١٠، ص٤٦، وما بعدها لترَ استعمال هذه الكلمة بحقّه مع مصادرها.

يرى أنّهما حاولا إظهار كيدهما للإسلام والمسلمين كلّما سنحت لهما السانحة، من يوم حنين حتّى هلاكهما.

ثمّ ما بالك بمعاوية وهذا تأريخه وقد مكّنه عمر من بلاد المسلمين ونفوسهم وأعراضهم وأموالهم ومقدّساتهم، ومن المعلوم أنّ الحاكم الإسلامي خصوصاً أيّام الإسلام الأولى كان هو الحاكم والقاضي والمفتي وإمام الجماعة وقائد الجيش وخازن بيت المال، وهذه المناصب كلّها وغيرها معها أضحت لمعاوية الجاهل المنافق بتمكين عمر.

إنّنا نثبّت هنا: أن كليّات ما صدر عن معاوية من جرائم ومفاسد أحاطت بالإسلام وقادته ومجتمعه وأدّت إلى انهيار عظيم في كيانه مما لا تُحصر فضلاً عن الكليات المتفرعة عنها فما بالك لو اردنا إحصاء جرائمه وآثاره السيئة بكل تفاصيلها؟!

إن لمعاوية مقام الريادة في مفاسد وفتن وكوارث أصابت الأمة في مقتلها، وهو أول من فتح بابها على مصراعيه وبسببه ــ عن إدراك وإرادة وتصميم ــ تفرّعت وتجذّرت حتى عاد القضاء عليها مستحيلاً إلاّ على يد الكنز الربّاني المدّخر.

المهدي

الـذي سـيجتثّ شـجرة الانحـراف العقائـدي والفقهـي عـن خـط الإسـلام الصحيح من أعمق جذورها ويبسط الإرادة الإلهية حيث وجد إنسان، بعد ما وقف الطواغيت عبر تأريخ الإنسانية كلّه أمام جهود الأنبياء والـصلحاء أن تـؤتي ثمارهـا وتحقّق النتائج المرجوّة منها.

إنّ بسط الكلام في أمر معاوية هنا ممّا لا يسعنا ولعلّ التوفيق الربـوبي يأخـذ بأيدينا إلى هذا المرام في كتابنا عـن سـبط رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم وريحانته وخليفته في أمّته: الحسين عليه السلام.

وأؤكّد هنا على واحدة منها ـ ممّـا لا تُحـصى مـن المفاسـد والجـرائم التـي ترتبت عليها ولا يمكن أبداً إنكارها ـ فأيّ مسلمٍ في شرق العالم الإسلامي وغربـه وعلى امتداد مساحة الإسلام الزمنيّة يرضى بما صنعه معاوية من إكراه الأمّـة بحـدّ السيف على اقتراف جريمة سبّ علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وسلامه وهو أمير المؤمنين وسيّد المسلمين وقسيم الجنّة والنار ومن لا يُحصى ما ورد في فضله من آيات وروايات حتى قال له أبو بكر وعمر ضمن أكثر من مائة ألف مسلم يوم الغدير (بخ بخ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمنٍ ومؤمنة).

عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه وسلامه الذي سبّه سبّ الله ورسوله يُسبّ على جميع منابر المسلمين ولمدّة ستّين سنة حتّى منع منها عمر بن عبد العزيز[1] مع أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد قال:

«من سبّ عليّاً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله ومن سبّ الله عزّ وجلّ أكبّه الله على منخريه[2]».

بل أكثَرَ العامّة رواية أنّ من سبّ علياً فقد سبّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن سبّ النبي فقد سبّ الله ـ والنتيجة أنّ من سبّ علياً فقد سبّ الله ـ في مصنفاتهم وما هذا إلاّ لكثرة تداول هذا النص فيما بينهم بحيث لا يتيسر لهم طمسه.

وعظيمته الأخرى تمكينه جروه يزيد من منصب خلافة الأمة الإسلامية وفرضه عليها بالحيلة والقهر حتّى فعل في سنين ثلاث ما ظلّ ألمه في الإسلام مدى الدهر.

عائلة وصفها الله سبحانه في كتابه بالشجرة الملعونة[3]، فهل فروعها إلاّ

---

(١) الفصول المهمة في تأليف الأمّة للسيد عبد الحسين شرف الدين: ص١٢٧؛ ليالي بيشاور للسيد الشيرازي: ص٩٢٦.

(٢) فضائل الخمسة من الصحاح الستّة للفيروز آبادي: ج٢، ص٢٢٤؛ ليالي بيشاور: ص٩٢٧؛ وقد نقلا الحديث عن جمع، منهم أحمد بن حنبل في المسند، والرازي في تفسيره، ومسلم في صحيحه، وابن حجر في الصواعق وكثير غيرهم؛ راجع: المقتطفات: ج١، ص٢٦٥.

(٣) المقتطفات للسقاف الأندونيسي: ج١، ص٢٢٤، وقد نقل تفسيرها بهم؛ تفسير الطبري: ج١٥، ص٧٧؛ تاريخ الطبري: ج١١، ص٣٥٦؛ تأريخ الخطيب البغدادي: ج٩، ص٤٤، وج٨، ص٢٨٠، عن تفسير النيسابوري، وتفسير القرطبي، وتفسير الشوكاني، وتفسير الخازن، وأسد الغابة، والنزاع والتخاصم للمقريزي، وخصائص النسائي وعن الترمذي والبيهقي والحاكم في مستدركه؛ راجع: فضائل الخمسة: ج٨٣، ص٣٠.

حطب النار، وهل يُعقل أن تُثمر ما فيه نفع للإسلام وأهله، أو تحتوي جوانحهم على كريم الخصال، قال سبحانه لنبيّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿...وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴾[1].

وعن مولانا الإمام الصادق عليه السلام في تفصيل أبواب جهنّم السبعة:

« وهذا الباب الآخر، الذي يدخل منه بنو أميّة، إنّه هو لأبي سفيان ومعاوية وآل مروان خاصّة يدخلون من ذلك الباب فتحطّمهم النار حطماً لا تسمع لهم فيها واعية ولا يحيون فيما ولا يموتون »[2].

وفي الحديث المرفوع المشهور وقد رواه الطبري في تأريخه عن النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنّ معاوية في تابوتٍ من نار في أسفل دركٍ منها»[3].

وروى أحمد في المسند وغيره أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم دعا على معاوية وعمرو بن العاص فقال:

«اللهمّ اركسهما ركساً ودعّهما إلى النار دعّاً»[4].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٦٠.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي: ج٣١، ص٥١٩؛ اقرأ ما كتبه الكاتب المصري صالح الورداني عنهم في الخدعة: ص٥٦.

(٣) الغدير للأميني: ج١٠، ص٢٠٢؛ تاريخ الطبري: ج١١، ص٣٥٧؛ لسان الميزان للذهبي : ج١، ص٢٠٢، برقم ٦٠٢.

(٤) الغدير: ج١٠، ص١٩٩؛ مسند أحمد: ج٤، ص٤٢١.

وإن أردت الاستقصاء فراجع ما كتبه العلاّمة السيد محمد بن عقيل في كتابه (النصائح الكافية لمن يتولّى معاوية) والغدير للعلاّمة الأميني: ج١٠ ــ ١١، ففيهما ما يقطع كلّ حجّة وعذر.

وإلى الله المشتكى من أمّة لا تستطيع التمييز بين عليّ بن أبي طالب، صاحب آية التطهير، وآية خير البرية، وما يزيد على الثلاثمائة آية، وبين صاحب آية الشجرة الملعونة في القرآن.

عن مولانا الصادق عليه السلام:

«لولا أنّ بني أميّة وجدوا من يكتب لهم، ويجبي لهم الفيء ويقاتل عنهم، ويشهد جماعتهم، لما سلبونا حقّنا»[1].

---

(١) البحار للمجلسي: ج٤٧؛ ص١٣٨.

ابن زياد

هو: عبيد الله بن زياد بن سميّة، أو ابن أبيه، أو ابن عُبيد[1].

هكذا عُرف أبوه زياد إلى أن ارتكب معاوية جريمة هي من الخزايات عليه وعلى أبيه وعلى بني أميّة، ومع ذلك لم تؤثّر فعلة معاوية أثرها إلاّ سنين، ثمّ عاد الأمر أخزى ممّا كان عليه، وسجّلت المدوّنات التاريخية هذه التفاصيل بإسهاب.

وُلد ابن زياد سنة **٣٩هـ** فيكون عمره يوم قتله لسيّد شباب أهل الجنّة الحسين عليه السلام إحدى وعشرين سنة[2]، وهناك رأي آخر ـ ولعله الأقرب ـ في أن عمره يوم الطف اثنتان وثلاثون سنة[3].

أمّه: مرجانة، بغيٌ معروفة، ومجوسيّة[4].

قُتل في معركة هائلة بين جيش كان يقوده بنفسه أيّام عبد الملك بن مروان، وبين جيش المختار الثقفي بقيادة إبراهيم بن مالك الأشتر، فيكون عمره

---

(١) الغدير للأميني: ج١٠، ص٣١٠؛ حيث فصّل قضيّة زياد بن أبيه عن مصادر العامّة.

(٢) حياة الإمام الحسين للشيخ القرشي: ج٢، ص٤٤٨ ـ ٤٤٩.

(٣) المقتل للسيد المقرم: ص١٤٩هـ.

(٤) حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي: ج٢، ص٤٤٨ ـ ٤٤٩.

يوم هلاكه خمسة وعشرين عاماً[(١)].

عُرف عنه وعن أبيه أنّهما أولاد بغايا (فالأب ابن سميّة، والابن ابن مرجانة)، فراجع مدوّنات التأريخ عنهما ليظهر لك حالهما، واستلحاق زياد بأبي سفيان من أعظم فضائح العصبة الحاكمة في التأريخ الإسلامي وأشهرها.

أبوه زياد: رائد الجريمة والسفّاك الأعظم لدماء المسلمين بأمر معاوية[(٢)] وتوجيهه وتشجيعه.

وقد سار الابن على درب أبيه، حتّى كأنّهما نسختان لأصل واحد، والجامع بينهما رذالة الأصل والسقوط الخُلقي والخروج عن الإسلام وارتكاب أعظم الجرائم وعداوة ذريّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشيعتهم، وعدم توفّر مكرمة تؤثر عنهم غير الخزايا وقبيح الفعال.

استخدم معاوية زياداً، واستخدم يزيد ابن زياد فحمّلاهما آثاماً عظاماً لو تحمّلتها أمم لما شفع لها نبيّ ولا وصيّ فكيف بهما وقد حملاها وحدهما.

ولا ينقضي العجب من عصبة نبت لحمها من دماء الشهداء[(٣)]، ولا عجب إذ

---

(١) ذوب النضّار في شرح الثار للشيخ جعفر بن محمد ابن نما الحلّي: ص١٣٨؛ وقال: إنّ عمره حين هلاكه دون الأربعين، وقيل: تسع وثلاثون سنة؛ بحار الأنوار للمجلسي: ج٤٥، ص٣٣٥.

(٢) الفصول المهمّة للسيد شرف الدين: ص١٢٤ ـ ١٢٥؛ حياة الإمام الحسين للقرشي: ج٢: ص٦٧؛ الاحتجاج للطبرسي: ج٢، ص٨٣؛ راجع: لجرائم زياد وفظائعه حين ولاّه معاوية على الكوفة والبصرة والمشرق كلّه وسجستان وفارس والسند والهند؛ الفصول المهمّة للسيد شرف الدين: ص١٢٥؛ كتاب سليم بن قيس الهلالي: ج٢، ص٧٨٤؛ وما رأيت تحقيقاً لكتاب في قم وغيرها، كتحقيق كتاب سُليم في طبعته هذه.

(٣) ذكرت ذلك العقيلة زينب عليها السلام بنت أمير المؤمنين عليه السلام شريكة أخيها الحسين عليه ←

أسّست لهم هند حين لاكت كبد حمزة سيّد الشهداء.

مُسوخ، غير أنّ جلدتهم جلدة بشر.

ابن زياد هذا، هو الذي جيّش الجيوش على سبط رسول الله وريحانته من الدنيا وسيّد شباب أهل الجنة وإمام الأمّة، وأمر ابن سعد بقتله وأن يوطئ الخيل صدره وظهره.

ابن زياد هو الذي سبى بنات رسول الله وصِبْيته لأجل بني أميّة ولالتماس رضاهم ـ أعداء الله ورسوله ـ وهي أوّل مرّة في التاريخ تسبى فيها الهاشميات، وتُسبى فيها بنات رسول الله صلى الله عليه وآله سلم.

ابن زياد هذا، هو الذي أمر بضرب عنق مسلم بن عقيل كما أمر برمي جثمانه المقدّس من أعلى قصر الإمارة.

عن الإمام الصادق عليه السلام:

«ما اكتحلت هاشميّة، ولا اختضبت، ولا رُئِي في دار هاشمي دخان خمس حجج، حتّى قُتل عبيد الله بن زياد»[1].

مع أنّ يزيد قد هلك قبله، إلاّ أنّ هلاك يزيد لم يطوِ صفحة حزن آل محمّد، ولم تخفّ عنهم بعض أحزانهم العظيمة إلاّ بهلاك ابن زياد أيضاً.

يحاول بعض أهل العلم ـ لبيان خباثة ورذالة بعض المعادين لمحمّد وآل

←

السلام في جهاده في خطبتها أمام أهل الكوفة، فراجع: حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي: ج٣، ص٣٧٨.

(١) بحار الأنوار للمجلسي: ج٤٥، ص٨٦، عن المرزباني.

محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ــ تفصيل سلوكياتهم وأفكارهم وبيان نسبهم وطفولتهم ونحو هذه، لإقناع القارئ والسامع بانحراف هؤلاء عن خطّ الإسلام كلّه، وبعدم صلاحيتهم لقيادة الأمّة، ولغيرها من الأغراض والأهداف.

والصحيح: أنّ أعظم ما ينبغي ذكره لبيان خبثهم وانحرافهم وسقوطهم عن كلّ اعتبار هي جرائمهم بحقّ النبيّ وآله الكرام.

فبملاحظة ما ورد في حقّ النبيّ وآله في القرآن العزيز من مدح، وعظيم جزاء، على أعمالٍ قاموا بها، ــ وقد تكون بالنظر القاصر لدى البعض أعمالاً بسيطة ــ إذ أنزل الله تعالى في جهنّم آياتٍ تُتلى ما تعاقب ليل ونهار إلى يوم يرث الله الأرض وما عليها، وانظر إلى الصفات التي أسبغها المولى عليهم والمناصب التي رفعهم الله إليها بسبب أعمالهم تلك.

تأمل فيما ورد في حقّ عليّ أمير المؤمنين لأنّه تصدّق بخاتم في صلاته إذ أنزل المولى:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[1].

وذلك عند امتناع جميع المسلمين عن التصدّق على فقير بائس، وهم بمحضر النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، مع ما يملكه بعض المسلمين من ثروات طائلة، ومع أنّ الكتاب والنبيّ قد حثّا على التصدّق ولو باليسير، ومع كلّ هذا شحّت النفوس عن التصدّق بدرهم أو تميرات، بينما أعطى الإمام عليه السلام

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٥٥ و ٥٦.

خاتمه وله قيمة عالية ـ مع أنّ الإمام في منتهى الفقر والعوز حتّى عيّرت نساء قريش الصدّيقة الزهراء أنّ أباها زوّجها من فقير، إذ هذا هو المقياس عندهنّ وعند أزواجهنّ ـ ومع أنّ الإمام كان في الصلاة، ومع ذلك لم يمنعه كلّ هذا عن أن يشير للمسكين بإصبعه فيحضر المسلكين ويسحب الخاتم، والرسول والصحابة ينظرون، فنزلت الآيات[1] التي أفهمت الأمّة أنّ هذا هو وليّها الحقيقي وهذا قائدها وهذا إمامها وهذا مغيثها وهذا ملجؤها، وإنّ من يصطفّ معه، ومن ينصره، ومن يتولّه، ومن يعضده، فهو مع الله ورسوله، وإنّ هذا ومن معه هم حزب الله الحقيقي ومن المعلوم أنّ حزب الله هو الغالب لا غالب سواه، أي أنّ عليّاً ومن يتولاّه هم الغالبون لا سواهم؛ إذ ليس لله من حزبٍ سواهم، هذا هو الوليّ والإمام، لا سواه.

وتأمّل لما جرى من لطيف إنعام الله وإكرامه للنبيّ وآله حين تصدّق علي وفاطمة والحسن والحسين بأقراص خبز قليلة على مسكين ويتيم وأسير، والأخير كافر بلا ريب.

لقد أنزل الله سبحانه[2] آياتٍ عدّة في إعلان ما صنعه علي وأهل بيته وإذاعته على الخلق أجمعين، وتمجيد الله سبحانه لما صنعوه، وشكره لهم على ذلك، وبيان الجزاء العظيم الذي جازاهم به.

---

(١) فضائل الخمسة للفيروز آبادي: ج٢، ص١٣، نقل نزولها في الإمام عليه السلام عن الرازي في تفسيره والزمخشري في الكشّاف والطبري في تفسيره والسيوطي في الدرّ المنثور، والهندي في كنز العمال.... الخ.

(٢) فضائل الخمسة للفيروز آبادي: ج١، ص٢٥٤، وقد نقل نزولها فيهم عليهم الصلاة والسلام عن ابن الأثير في أسد الغابة، والواحدي في أسباب النزول، والسيوطي في الدرّ المنثور وراجع: زين الفتى.

فاجعل السورة المباركة ـ الإنسان، أو الدهر ـ نصب عينيك وأحسن التأمّل في آياتها بل في كلّ كلماتها لترى ما يبهرك.

يخاطبهم المولى سبحانه بجانب من تكريمه فيقول:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾[1].

فما هو الملك الكبير الذي فرضه الله سبحانه لهم.

هل هو التنعّم بأنواع نِعم الجنّة، وخدمة الولدان لهم، ونحو هذه.

هذا نعيم يناله كلّ أهل الجنّة.

القرآن يصِف هذا الجزاء بالمُلك وإنّه كبير.

ثمّ يعقّب المولى سبحانه بقوله:

﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾[2].

أي إنّ الذي ذكره المولى سبحانه من الثواب في سورة الدهر لآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم إنّما هو جزاء العمل، والمولى سبحانه لم يكتف لأحدٍ من خلقه بمقدار جزاء عمله كمكافأةٍ له بل مع كلّ جزاء زيادة وفضل، وتفضل المولى سبحانه على آل محمّد بسبب عملهم العظيم هذا لم يُذكر في السورة ولا شكّ في أنّ مقدار التفضّل المولوي المضاف على الجزاء عظيم أيضاً فإذا كان أصل الجزاء هو النعيم والمُلك الكبير فإلى أين سيصل آل محمّد في المقامات والمراتب إذا أضيف إلى جزائهم الفضل الإلهي العظيم، فتأمّل واعرف مقام آل

---

(١) سورة الإنسان، الآية: ٢٠.

(٢) سورة الإنسان، الآية: ٢٢.

محمّد وعظيم قربهم عند الربّ الحكيم الكريم.

وتأمّل في آيات أخرى غيرها وفي روايات كثيرة بشأنهم ترَ أنّ هذا البيان له شواهد كثيرة.

هذا أمير المؤمنين عليه السلام ــ على ما في نهج البلاغة ــ يكتب إلى معاوية:

«ألا ترى ـ غير مخبرٍ لك، ولكن بنعمة الله أحدّث ـ أنّ قوماً استشهدوا في سبيل الله تعالى من المهاجرين والأنصار، ولكلّ فضل، حتّى إذا استُشهدَ شهيدنا قيل: سيّد الشهداء، وخصّه رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه، أو لا ترى أنّ قوماً قُطّعت أيديهم في سبيل الله، ولكلّ فضل، حتّى إذا فُعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل (الطيّار في الجنّة، وذو الجناحين)، ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه، لذكر ذاكر فضائل جمّة، تعرفها قلوب المؤمنين، ولا تمجّها آذان السامعين، فدع عنك مَنْ مالت به الرميّة، فإنّا صنائع ربّنا والناس بَعْدُ صنائعُ لنا.

لم يمنعنا قديم عزّنا ولا عاديّ طولِنا على قومك أن خلطناكم بأنفسنا فنكحنا وأنكحنا فِعل الأكفاء، ولستم هناك وأنّى يكون ذلك ومنّا النبيّ ومنكم المُكذّب، ومنّا أسد الله ومنك أسد الأحلاف، ومنّا سيّدا شباب أهل الجنّة ومنكم صِبية النار ومنّا خير نساء العالمين ومنكم حمّالة الحطب في كثير ممّا لنا وعليكم»[1].

---

(١) نهج البلاغة، الرسالة الثامنة والعشرون: ص٥٢٧.

أقول: إنّه بملاحظة ما ورد في حقّ محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم من نصوص وما صدر عنهم من كرائم الأعمال وجلائلها، وبلحاظ ما انطوت عليه نفوسهم وكشفت عنهم أعمالهم من تصميمهم على إنجاء الناس كلّهم من شرور الدنيا وآفاتها وأخطار الآخرة ومهالكها حتّى أنزل الله سبحانه آيات في تسلية النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لعدم إيمان المشركين به واتّباعهم لدعوته، التي بها إحراز رضا الله سبحانه والنجاة من غضبه وعظيم عقابه، وحتّى وصف الله سبحانه حاله:

﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾(١).

فالآية تبيّن أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم سيهلك نفسه من الغمّ والتألّم على قومه لعدم إيمانهم وذلك لأنّه يعلم إلى أيّة نتيجة سيصلون والنار الأبدية التي ستبتلعهم.

وهذا ولده الحسين، وسبطه، تستصرخه الأمّة وتستغيث به من مظالم بني أميّة وعظيم جورهم، هذا الإمام العظيم الذي وصفته شقيقته زينب عليها السلام لأهل الكوفة بعد الفاجعة (ملاذ خيرتكم ومَفْزع نازِلتكم)(٢) عزم على إنقاذ الأمّة من الاستضعاف العظيم الذي وقعت فيه ــ بسوء أفعالها وكبير إهمالها وتقاعسها ــ بعد أن أخذ عليهم العهود والمواثيق وجاءهم بحرمه وأطفاله وخُلّص أهل بيته وصحبه فانقلبوا عليه ونصروا عدوّ الله وعدوّه وعدوّهم وذبحوه وما يزال به رمق

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٣.

(٢) البحار: ج٤٥، ص١٦٥؛ الملهوف: ص١٩٣؛ معالم المدرستين: ج٣، ص١٤٦؛ وفي رواية: ملاذ حيرتكم... .

من الحياة كما ذبحوا رضيعه بين يديه.

كيف يُعادى من كلّه جميع صفات وملكات، وكلّه رحمة وخير للبشرية.

كلّ من يُعادي من هذه صفته فعداوته هذه تكفي لإخراجه من ساحة الإنسانية ولاتخاذ الموقف الأشدّ والعقوبة الأعظم معه وهكذا حكم المولى عليه.

لقد خاف ابن زياد من آثار ما جنته يداه، وخوفه إنّما هو من الآثار الدنيوية المترتّبة على جريمته فإنّه كسب من فعلته فضلاً على غضب الجبّار ـ تعالى وتقدّس ـ وعار الدارين وعذابهما بأعلى مراتبه، غضب الأمّة وحقدها؛ إذ وترها بأعظم مقدّساتها.

يُنقل عن ابن زياد أنّه: عاش بعد موت يزيد، فاضطربت عليه الأحوال في العراق فخرج إلى الشام ومعه مئة رجل من الأزد يحفظونه، وفي بعض الطريق رأوه قد سكت طويلاً فخاطبه أحدهم ويُدعى مسافر بن شُريح اليشكري فقال له: أنائم أنت؟

قال: لا، كُنتُ أحدّث نفسي.

قال له مسافر: أفلا أحدّثك بما كنت تحدّث به نفسك؟

قال: هات.

قال مسافر: كنت تقول: ليتني لم أقتل حسيناً.

فقال عبيد الله بن زياد: أمّا قتلي الحسين فإنّه أشار إليّ يزيد بقتله أو قتلي فاخترت قتله[1].

---

(١) ابن تيمية، صائب عبد الحميد: ص٣٨٦؛ شذرات الذهب: ج١، ص٦٨ ـ ٦٩.

لقد بدأ ابن زياد يبرّر فعلته بعد أن تفجّر بركان الأمّة عليه وعلى بني أميّة لقتلهم ريحانة رسول الله وسبطه وخليفته في أمّته وبقيّة أسرته بل سيّد أسرته خامس أصحاب الكساء وآية التطهير وآية المباهلة وما لا يحصى من الآيات والروايات الواردة في عظيم منزلته، وقرب مقامه من الله سبحانه ومن رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

وكذلك لقتلهم الأسرة الهاشمية، وخيار الصحابة والتابعين والقرّاء، وسبي نساء النبيّ وصبيته من بلدٍ إلى بلد، ومن أبعد الناس عن القرآن والإيمان إلى أكفرهم، وفي حالٍ لا يُرتضى للأعداء فضلاً عن عائلة النبي الأكرم، التي خرجت بصحبة وليّها الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر والمجيب استغاثة أمّة جدّه التي استضعفها بنو أمّية حتّى كسروا شوكتها وأذلّوا عزيزها.

من راجع التواريخ لم يجد أنّ يزيد هدّد ابن زياد لأجل قتل الحسين بل استفاد يزيد من عداوة هذا البيت ــ زياد وأبيه ــ لأهل البيت النبويّ الطاهر، واستفاد من رذالتهم وخسّتهم وإعراضهم عن الدين والمكارم، واستعدادهم لفعل أيّ شيء في سبيل الدنيا وزخرفها، واستعدادهم لإرضاء المَلِك الأموي، تحت أيّ ظرف، فما إن عرض عليه يزيد ضمّ الكوفة إلى ولايته على البصرة إلاّ وسارع إلى فعل المستحيل في سبيل هدّ أركان الحركة الحسينية، وإجهاضها في بواكير تحرّكها، وفَعَلَ كلّ خسيسة في سبيل تحقيق هذا الهدف حتّى ذكر اللعين يزيد في بعض المنقول عنه إنّ زياداً فعل أكثر ممّا طُلب منه، على أنّنا لا نقبل هذا التصريح من ألعن خلق الله وأشدّهم إجراماً؛ إذ هو الذي كتب إليه (فَسِرْ حين تقرأ

كتابي هذا حتّى تأتي الكوفة فتطلب ابن عقيل طلب الخُرزة حتّى تثقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه)[١].

وبعث بكتاب إلى والي المدينة يأمره بقتل الإمام الحسين عليه السلام ثمّ بعث بثلاثين مجرماً إلى مكّة لقتل الإمام في موسم الحجّ ولو وجدوه متعلّقاً بأستار الكعبة، وبعث إلى ابن زياد أيضاً بعد استشهاد مسلم (فإنّك لم تَعْدُ أن كنت كما أحبّ، عملت عمل الحازم وصُلت صولة الشجاع الرابط الجأش وقد أغنيت وكفيت وصدّقت ظنّي بك ورأيي فيك... وإنّه قد بلغني أنّ حسيناً قد توجّه إلى العراق فضع المناظر والمسالح واحترس واحبس على الظنّة، واقتل على التهمة، واكتب إليّ فيما يحدث)[٢].

نعم هؤلاء المجرمون، حينما تنقلب الأمور عليهم، يدّعون ما لم يكن، للتنصّل ممّا اقترفوه من جرائم، مع أنّ ما صدر عنهم من فظائع قد ملأ الخافقين وعرفه الصغير والكبير والقريب والبعيد، فلا يتكلّفنّ امرؤ التوجيه لهم فيلتحق بزمرتهم وتصيبه اللعنة كما أصابتهم، وتتلطّخ يداه بدماء العترة الطاهرة لأجل أراذل الأمّة وحثالاتها.

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢، ص٤٣.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢، ص٦٥.

مجتمع الكوفة

أمران يستدعيان التأمّل والبحث في ثنايا الكتابات التاريخية:

أ ــ وجه اشتهار أهل الكوفة بالغدر والنكول عن العهود والمواثيق حتّى أصبح هذا سمةً لهم.

ب ــ ما يجري على الألسنة من أن الشيعة بايعوا سيّد الشهداء ثمّ خذلوه وأعانوا عليه وقتلوه.

ولابدّ من إيضاح بعض جوانب الحياة في الكوفة ليتّضح الوجه فيما تقدّم:

إنّ الكوفة مدينة للأجناد، أسّست لتكون مركزاً لتواجد العساكر(١) والسلاح والمؤن ومنها يتمّ رفد جبهات القتال للمشرق الإسلامي بما تحتاجه من عُدّةٍ وعدد.

كما أنّها كانت مجتمعاً يضمّ قوميات وأديان ومذاهب وتيّارات مختلفة، وكلّما تطوّر وضع الكوفة، فإنّ التيّارات والقوميات والأصناف، تتكثّر وتتجذّر، فعلى هذا يتبيّن أنّ الكوفة ــ بحكم اختلاف عناصر الانتماء فيها ــ مدينة يصعب قيادها، وقد استعصت بالفعل على كلّ من حكمها ومنهم عمر وعثمان.

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ القرشي: ج٢، ص٤٣٢.

وقد ازدادت أهميّة الكوفة، وازدحمت بالقبائل والتيّارات الدينية والسياسية بعد مجيء الإمام الوصي عليّ عليه السلام إليها واتخاذه لها عاصمة للدولة الإسلامية.

وكان من أمر الأحداث التي حصلت في المجتمع الإسلامي كقتل عثمان، وخروج البغاة على الإمام المعصوم الوصيّ عليّ عليه السلام، وهم الناكثون ــ عائشة وطلحة والزبير، ومن تبعهم من أهل البصرة ــ والقاسطون وهم معاوية وجند الشام، والمارقون وهم الخوارج الحرورية، أنْ أثّرت تأثيراً عميقاً في الكوفة وأدّت إلى ازدياد ظهور التيّارات فيها وتململ الناس من الأوضاع وتراخيهم عن نصرة الإمام عليه السلام، وكان لمعاوية وجواسيسه وأنصاره السريّين في الكوفة دور كبير في إشعال الفتن وتفتيت جيش الإمام وإحلال الوهن في النفوس، وفي ضعضعة أركان دولة الإمام من ثم، غير أنّ الزمام لم يفلت من يد الإمام أبداً بل بقي الإمام محافظاً على الوضع عموماً وكان متأهّباً كي يستعيد جميع المواقع التي يرتكز معاوية عليها أو مدّ يده تجاهها فسرقها كمصر إذ أعدّ الإمام جيشاً ضخماً لغرض اكتساح معاوية والمدن التي تحت هيمنته، لولا ضربة ابن ملجم الغادرة إذ هدّت أركان الإسلام وعصفت بكلّ الآمال.

نعم، استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام أوهى دعائم دولة الحق وجرّأ أعداءه على تصعيد حملاتهم ضدّ خليفته الإمام الحسن السبط عليه السلام، إذ رأى الحزب الأموي في الكوفة أنّ بينه وبين النصر قاب قوسين أو أدنى فخذّلوا عن الإمام وحشّدوا قواهم لمؤامرة ضخمة تنتهي بإنزال الضربة القاضية بدولة

الإمام عن طريق محاصرته وأسره وتسليمه حيّاً إلى معاوية ثمّ ليقوم معاوية بالجزء الثاني من الخطّة وهي التعامل معه بحسب قوانين الحرب ثمّ إطلاق سراحه كما صنع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مع معاوية ومشركي مكّة حين فتحها إذ أطلقهم وقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء فأصبح لقب الطليق لمعاوية من أعظم العار عليه إلى يومنا هذا.

فلمّا رأى الإمام السبط ريحانة الرسول انهيار جيشه، لقوّة المؤامرة ولميل الناس إلى الراحة والدعة وضعف الوازع الديني في نفوسهم، إلاّ ثلّة قليلة من أهل التقوى وربانيّي الأمّة، وافق على إنهاء القتال مع معاوية، وترك إدارة المجتمع له، والواقع أنّ الحالة الحقيقيّة للوضع تلك الأيّام هي هكذا، غير أنّ الإمام فوّت على معاوية فرصة أخذ الأمور بالغلبة، والتعامل مع الإمام على هذا الأساس، فَجَرت الأمور على وفق نظام المصالحة، وفرض الشروط على معاوية، يتحمّل فيما بعد وِزر نقضها في الدنيا والآخرة، وهذا أفضل من ترك الأمور تجري بلا ترتيب.

وهكذا كان.

وبدأت الأيّام السود لمعاوية ومجموعة حكمه تُلقي بظلالها على البلاد الإسلامية، وتنزل بوطأتها الثقيلة على صدر الأمّة التي تقاعست عن قتاله وانخدعت بتضليله.

وكان أعظم وطأته، على الكوفة وأهلها، لأنّها تضمّ خيرة رجالات الأمّة من جهة، والجيوش التي قاتلته من جهة أخرى، فسامها ذُلاًّ وفقراً.

سلّط معاوية على الكوفة أكثر أعوانه تجبّراً، وأبعدهم عن الرحمة، وزوّدهم بتوجيهات ووصايا لا تُبقي ولا تذر، حتّى ضجّت الأمّة منه ولم تزل أيّامه في بواكيرها وبداياتها.

لقد ذكرنا في مواضع عدّة من هذا الكتاب شيئاً عن معاوية، وعن بعض جوانب ظلمه وتجبّره وخزاياته التي يثور منها كلّ غيور على دينه وإنسانيته، ويكفي أن أختصر لك القول: إنّ معاوية فعل كلّ ما طالته يد قدرته في تهديم قواعد الإسلام من جهة وفي سحق الناس وإذلالهم وفعل الأفاعيل بهم، وما لم يفعله فلعدم قدرته عليه وإلاّ فقد بلغ غاية الظلم والجبروت التي تسمح بها إمكانات تلك الأيام.

قتل الرجال، وقطع رؤوس أعدائه وأمر بحملها من بلدٍ إلى بلد، ودَسّ السُمّ لرجالات الأمّة فقتلهم غيلة، منهم: سبط رسول الله وريحانته وسيّد شباب أهل الجنّة الحسن بن علي عليهما السلام ومن غيرهم؛ سعد بن أبي وقّاص فاتح العراق، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وغيرهم.

ويكفيه قتله للإمام الحسن عليه السلام، عاراً في الدنيا والآخرة، وإثماً يُلحقه بأسفل درك من الجحيم.

ومن أوضح سمات معاوية غدره بالعهود والمواثيق التي يعطيها، ومن أعظم المواثيق التي أعطاها ميثاق الصلح مع الإمام الحسن عليه السلام لكنّه ما إن دخل بجيوشه الكوفة حتّى ارتقى منبر مسجد الكوفة وأعلن بحضور الإمامين الحسن والحسين وبحضور الجيشين جيش الكوفة وجيش الشام إنّ كلّ شرط قطعه للإمام

الحسن فهو تحت قدميه لا يفي بشيء منها للإمام عليه السلام وختم كلامه بسبّ من سبّه سبّ لله ورسوله[١]، وقد سبّه في بيت الله ـ مسجد الكوفة ـ وبحضور أئمّة الأمّة وخلفائها الحقّ، وبحضور عشرات الآلاف من المسلمين والمؤمنين.

سبّه في البيت الذي طالما سجد الإمام فيه لربّه وقضى فيه ليله عبادةً وتهجّداً وقضى فيه بين الخصومات وجيّش منه الجيوش وعلّم الأمة فيه، وأحيا من خلاله شرع الإسلام وأقام قواعد الإيمان.

سبّه في بيت الله، الذي ضُرب فيه على ناصيته بسيفٍ مسموم، وهو في حال الصلاة، متوجّةٌ فيه بكلّ وجوده لربّه المتعال.

﴿...وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٢].

والعجب من أمّةٍ توالي هذا الطاغوت، الذي عجنت الجاهلية بكلّ وجوده، وخامرت لحمه ودمه وعظمه وجلده، واستولت على عقله وروحه وفكره فلم يبقَ لغيرها فيه حصّةٌ أبداً، وكلّ سلوكياته تُنبئ عن انتمائه هذا، والإسلام بريء من معاوية وسلوكه، ومن يعتنق نهجه في الحياة.

معاوية هذا ظهر جوره في طول بلاد الإسلام وعرضها، وكان للكوفة من فظائعه المقدار الأوفر.

من وسط هذه الأجواء المتخالفة المتقدّمة، ظهرت نزعات أهل الكوفة، وبانت خلائقهم.

---

(١) راجع فضائل الخمسة من الصحاح الستّة للفيروز آبادي: ج٢، ص٢٤٣؛ فقد نقل الروايات في هذا المضمون عن مستدرك الحاكم وذخائر العقبى للمحبّ الطبري، والرياض النضرة وغيرها.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

ولنسترسل في بيان ما قدّمنا ذكره في أوّل الفصل من وجه اشتهارهم بالغدر ونقض العهود.

من المعلوم أنّ هذه الخصلة كانت فيهم قبل احتلال معاوية للكوفة ــ بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام ــ وكانت مصاديقها بارزة للعيان أيّام تواجد الإمام الوصيّ بينهم، إلاّ أنّ هذه الخصلة قويت فيهم وبلغت أوج تجذّرها في نفوسهم، وظهورها عنهم بعد حكم معاوية لهم:

١ ــ إنّ الكوفة مدينة أسّست لتجمّع المقاتلين ولرفد جبهات القتال الشرقية بهم، ومن البيّن أنّ من ينصرف لهذه المهمّة فإنّ هدفه إمّا القيام بالتكاليف الإلهية، وفعل ما به القُرب من الله سبحانه وهم الأقلّ في الأمّة، وفي أهل الكوفة بالخصوص كما كشف عن هذا تقلّبات الأحداث والأحوال، وإمّا يهدف من عمله هذا الاسترزاق وبقية الجوانب الدنيوية، وهم الأكثر في أهل الكوفة.

وطبيعي، أنّ من يتوجّه لممارسة القتال، وفيه احتمالية هلاك النفس والأضرار العظيمة بالجسم، من أجل الاسترزاق وتحصيل المال، لا يعوّل عليه في المواقف التي تتطلّب تديّناً وتورّعاً بمرتبةٍ عالية، وتتطلّب منه إعراضاً عن الدنيا ومتعها وملذّاتها، من أجل نصرة الحقّ وتحكيمه في الأرض، وترسيخ قواعده، خصوصاً إذا صاحَبَ هذا الحقّ المنصور حرمانٌ من المال والراحة والملذّات والمتَع العاجلة.

مثل هذه الشريحة من الناس لا تلتفت ــ كلّ الالتفات ــ إلى المُثل العليا، وإلى التكاليف التي تشغلها عن أهدافها، وإلى السير تحت لواء رائد الحقّ والعدالة

عليّ بن أبي طالب أعجوبة الدهر، وإذا سارت تحت لوائه والتفتت إلى نُصرته، فإنّ هذا لن يطول بل تهوي في أوّل الطريق أو في منتصفه.

٢ ـ إنّ أغلب من حكم الكوفة وأخذ بزمامها ـ باستثناء علي عليه السلام أمير المؤمنين وولده الإمام الحسن عليه السلام ـ هم أسوأ من عرفتهم الأمّة من الولاة، فمنهم الوليد بن عقبة السكّير، والذي تقيّأ في محراب المسجد في أثناء صلاة الصبح بسبب سكره وكثرة شربه، ومنهم المغيرة بن شعبة أزنى ثقيف، ومنهم أبو موسى الأشعري المتخاذل، ومن جاء بعدهم أشرس وأبعد عن الإسلام والإنسانية.

وقد غرس هؤلاء الولاة ـ بسبب خبث سرائرهم وضمائرهم، وابتعادهم عن روح الإسلام وتعاليمه ـ أسوأ الخصال في أفراد الأمّة، وحرّكوا فيهم النزعات الدنيوية، واللهاث وراء المال، والعمل لنيل الحظوة لدى الولاة، وقعدوا بهم عن نيل مكارم الخصال، وعن التربية الإسلامية ـ الروحية والأخلاقية ـ التي ينبغي أن تغرس جذورها في نفس كلّ مسلم يؤمن بالإسلام ويخاف يوم القيامة.

٣ ـ إنّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام ابتدأ حكمه يوم كان أبو موسى الأشعري والياً عليها فأمره الإمام بإرسال عدّة من جند الكوفة إليه في البصرة ليقاتل بهم الناكثين الخارجين على إمام زمانهم ـ وهم عائشة وطلحة والزبير ومن شايعهم ـ فكان أبو موسى هذا يخذّل الناس عن نُصرة الإمام ويُغذّي فكرهم بأنّ هذه فتنة، النائم فيها خيرٌ من القاعد، والقاعد خيرٌ من القائم، ولم يُغذّهم ـ كما هو

ديدنهم ــ بوجوب إطاعة وليّ الأمر، أو بوجوب المشاركة في قمع الفتنة التي أثارها عائشة وطلحة والزبير، حبّاً بالملك والزعامة والسلطان والمال؛ إذ كان طلحة والزبير يعملان لأنفسهما وعائشة تعمل لتولية طلحة التيمي الذي هو من عشيرتها تيم وقريبها.

فبدأ الإمام عليه السلام عهده مع الكوفة، وهذا الخائن يزهّدهم في نصرة الإمام العظيم صاحب بيعة الغدير والذي نزل بحقّ ولايته:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ... ﴾[1].

فجعل المولى سبحانه عدم تبليغ ولاية علي بن أبي طالب معادلاً لعدم تبليغ نبيّه من دينه شيئاً.

ولمّا بلّغ النبيّ ولايته للأمّة بحديث الغدير العظيم. قال:

ألست أولى بكم من أنفسكم؟

قالوا ــ وهم قُرابة المائة ألف أو يزيدون على بعض التقادير ــ[2]: بلى. قال:

فمن كنتُ مولاه فهذا عليٌّ مولاه.

اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، والعن من نصب له العداوة والبغضاء إلى يوم الدين، وفي رواية: وأدر الحقّ معه حيث دار.

نزلت في هذه الحال آية:

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) الغدير للشيخ الأميني: ج١، ص٣٢ ـ ٣٧.

﴿...ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا...﴾[1].

فبدون ولاية علي عليه السلام لم يبلّغ النبيّ من الدين شيئاً ولا يقبل الله من الأعمال شيئاً، ومع ولاية علي تمّ الدين وكملت النعمة الربّانية ورضي الله أعمال عباده التي يعملونها في ظلّ الإسلام والقرآن وإمامة عليّ وخلافته.

ومن يرفض هذا فمصيره مصير الحارث بن النعمان الفهري الذي قَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد حادثة الغدير المباركة فقال له:

يا محمّد، أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّك رسول الله فقبلناه، وأمرتنا أن نُصلّي خمساً فقبلناه منك، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا، وأمرتنا أن نصوم شهراً فقبلنا، وأمرتنا بالحجّ فقبلنا، ثمّ لم ترضَ بهذا حتّى رفعت بضُبعَي ابن عمّك ففضّلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه فهذا شيءٌ منك أم من الله؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«والذي لا إله إلاّ هو، إنّ هذا من الله».

فولّى الحارث بن النعمان يُريد راحلته وهو يقول:

اللّهمّ إن كان ما يقول محمّد حقّاً فأمطر علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذابٍ أليم.

فما وصل إليها حتّى رماه الله تعالى بحجر فسقط على هامته، وخرج من دُبُره، وقتله، وأنزل الله عزّ وجلّ:

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

﴿سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[1])[2].

إنّ تزهيد الأشعري لأهل الكوفة عن نصرة الإمام الوصي فتح باب التقاعس والتكاسل عن نصرته، وباب نقض العهود والغدر والتراخي عن الحقّ.

ولم يعرف عن الكوفة غدرٌ وتكاسل عن النصرة مع غير الإمام الوصي والإمام الحسن السبط والإمام الحسين السبط ومسلم بن عقيل، أي قضية أهل البيت عليهم السلام بالذات.

٤ ـ إنّ التزام المرء نهج عليّ بن أبي طالب وخلفائه الأئمّة الأحد عشر، أيّ التزام الخطّ الإسلامي الأصيل، وبتعبير آخر، التزام الإسلام بكلّ أبعاده وحدوده العقائدية والسلوكية فيه جنبتان:

الجنبة الأولى: أنّه خطّ الاستقامة والطهارة والسمو والإنسانية بأرفع معانيها ومراتبها، وهذا الخطّ يضمن للإنسان المعنى المتقدّم ويضمن له سعادة الدنيا والآخرة، ويضمن له رضا الله سبحانه في طول مسيرته الوجودية بشرط التمسّك التامّ بهذا الخطّ أي بالإسلام المأخوذ من كلّ القرآن، ومن كلّ السنّة بحذافيرهما فلا يأخذ من القرآن بعضه ويتجاهل بعضه الآخر، وكذا شأن السنّة، كما لا يتصرّف تصرّفاً كيفيّاً في فهم الكتاب والسنّة، بل يأخذ بهما كما هو ويتحمّل النتائج كاملة، والضمان الإلهي بالتكفّل والسعادة، معه في كلّ مسيرته.

الجنبة الثانية: إنّ الإسلام الأصيل الحقيقي كما أَمَرَ به الله سبحانه وبلّغه

---

(١) سورة المعارج، الآية: ١.

(٢) الغدير للشيخ الأميني: ج١، ص٤٦١؛ إذ نقل هذه الرواية عن الثعلبي في تفسيره.

رسوله، يمرّ بحقبة عصيبة، وتعصف به عاصفة هوجاء تكاد أن تأتي عليه من جذوره.

وهذه الحقبة تعدّ حقبة استثنائية ضمن حركة تحقيق الإسلام لأهدافه في الأرض، ألجئ الإسلام إليها بسبب جماعات متتابعة تريد التربّع على دست الحكم ومقام خلافة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لتحكيم إرادتها، ونيل مختلف المُنى والرغائب من خلاله، وإقصاء الجهة التي تستحقّ اعتلاء هذا المقام لو اعتلته فإنّ الجميع سيكونون تحت حكمٍ واحد، ونظامٍ واحد، ومساواةٍ تامّة مع أبسط الناس في الأمّة، نعم لا يميّز بينهم ــ لو حصل تمييز ــ غير العلم والتقوى والجهاد والأسبقية إلى طاعة الله،والنظر في حركتهم اليومية إلى الهدف الأسمى للبشرية ــ وهي الآخرة ونيل رضا الله سبحانه ودخول الجنّة ــ لا أن يكون مقياس حركتهم اليومية حسابات الربح والخسارة في المال والمنصب والجاه وبقيّة النواحي الدنيوية، وهم يفتقدون ما يميّزهم من خصال الكمال، وما لهم من بضاعة غير القرابات، والتحالفات على الحقّ والباطل، وكبر السنّ، والمصاهرات.

إسلام محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم قدّم سلمان الفارسي وبلالاً الحبشي والمقداد بن الأسود على زعماء قريش بل العرب مع ما لهم من قرابات ومصاهرات مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لإيمان أولئك وتمسّكهم بدينهم ولكفاءتهم فيما عُهد إليهم، ولكفر القرشيين ــ أبو سفيان وحزبه ــ ومعاداتهم لله ورسوله، ولابتناء حياتهم كلّها على اغتنام المنافع الشخصية، واحتقار المُثل والمبادئ السامية.

إسلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدّم أسامة بن زيد ذي السبعة عشر عاماً على كلّ المهاجرين والأنصار بما فيهم أبو بكر وعمر ـ باستثناء أمير المؤمنين الذي أبقاه النبي معه ـ لقيادة جيش المسلمين لغرض محاربة أعظم دولة في العالم يومذاك وهي الدولة البيزنطية، معقل المسيحية.

إسلام محمّد بن عبد الله خاتم المرسلين وأفضل النبيّين، قدّم علي بن أبي طالب وعمره ثلاثة وثلاثون عاماً يوم الغدير على كلّ الصحابة بنصّ:

«من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه اللّهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله»[1].

وفرض طاعته على الخلق أجمعين وجعل النجاة يوم القيامة مُناطة باتّباع علي دون سواه.

«عليّ مع الحق والحقّ مع علي»[2].

«عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض»[3].

«مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرِق»[4].

---

(١) حديث الغدير للشيخ عبد الحسين الأميني، كتابه الجليل الغدير في أحد عشر مجلّداً خصص المجلد الأول لذكر نص الحديث ورواته من الصحابة وعددهم (١١٠) صحابي، ورواته من التابعين، ومن ألّف فيه كتاباً خاصاً، ومن رواه من أعلام العامّة، فراجع: ص٢٦ ـ ٢٧ من الكتاب إلى آخر ما يتعلّق بالحديث؛ بينما ذكر السيد علي الميلاني في موسوعته خلاصة عبقات الأنوار عدد رواة حديث الغدير من الصحابة فأوصلهم إلى (١١٧) فراجع نفحات الأزهار: ج٦، ص٥٤.

(٢) راجع: فضائل الخمسة: ج٢، ص١٠٨، فقد نقل هذا عن عدّة مصادر منها صحيح الترمذي.

(٣) فضائل الخمسة: ج٢، ص١١٢، نقلها عن عدّة منها الصواعق المحرقة لابن حجر.

(٤) فضائل الخمسة: ج٢، ص٥٦، عن مستدرك الصحيح والدرّ المنثور للسيوطي وغيرهما.

والأمّة تميل يميناً ويساراً وتوالي معاوية الذي حارب علياً بكلّ قواه إلى أن استأصل دولته، وسنّ سبّه على منابر المسلمين في طول بلاد الإسلام وعرضها قرابة الستّين عاماً وحارب كلّ ما يتعلّق به حتّى قُتلت أولاده وسبيت نساؤه وصبيته وذُبحت شيعته، وحورب حديثه، ومُنع حتّى من التسمية باسمه.

ثمّ يُقال عن هذا الوثن الجاهلي ـ خال المؤمنين ـ ولا يُقال لمحمّد بن أبي بكر ـ خال المؤمنين ـ إلاّ لأنّ ذلك يناصب عليّ بن أبي طالب الحقد والبغض والعداء الماحق، وهذا يحبّ علي بن أبي طالب ويواليه ويشايعه وينصره بكلّ وجوده، ومع أنّ النبي قال في عليّ:

«حبّه إيمان وبغضه نفاق»[1].

أقول: إنّ الصمود مع علي بن أبي طالب والأئمّة من ولده كالإمساك بالجمر والمشي على الشوك، وهم عليهم الصلاة والسلام قد صرّحوا بهذا فذكروا أن أمرهم صعب مستصعب وأنّ من يحبّهم فليعدّ للفقر جلباباً وأنّ الماسك على دينه كالقابض على الجمر وقد ورد في أحاديثهم ما سيقع على الدين كلّه وعلى جماعة شيعتهم ونحو هذا.

فعلي وولده عليهم السلام شأنهم ركوب الخيل واقتحام الأهوال وتطبيق الإسلام طوعاً أو كرهاً وتحكيم إرادة المولى سبحانه في أرضه وإجراء سنن العدالة بين الناس لا تمييز في هذا بين الناس، فمن يسير معهم لابدّ من أن يُعاني الحرمان ويهجر الراحة، ويحتمل مُرّ العيش حتّى يتحقّق الهدف ويعمّ العدل

---

(١) فضائل الخمسة: ج٢، ص٢١٠، عن كنز العمال وصحيح مسلم والترمذي وغيرها كثير.

وتستتب الأمور، وأبعد الناس عن الرفاهية في دولة علي وولده أقربهم منه وأعظمهم منصباً، على عكس غيرهم، والناس تحبّ الراحة، وتميل إلى من يُعطيها ويفضّلها، وتخلد إلى زُخرف القول ومعسول الكلام، وأهل الكوفة ملّوا المجاهدة مع الإمام وركوب الصِعاب والمصابرة معه، في الوقت الذي لم يروا منه الغلظة والقسوة والدموية التي تعرفها البشرية من الولاة فأخلدوا إلى الكسل والإهمال، وتنصّلوا عن بيعتهم ووعودهم بالأقوال الكواذب والدعاوى التي لا ترتكز على شيء وتعوّدوا لهجة الغدر وركبتهم روح النفاق حتّى وجدوا أنفسهم فجأة في أحضان بني أميّة، ومن لا يرقب فيهم إلاّ ولا ذمةً.

٥ ـ إنّ أكثر أهل الكوفة لم يكونوا شيعة لعلي عليه السلام وإنّما نمت شجرة التشيّع فيها ببركة وجوده فهم لم يكونوا يرون فيه غير خليفة الوقت ولم يعتقدوا فيه أنّه الإمام المنصوب من الله سبحانه وأنّه معصوم وأنّه الثاني في الإسلام بعد النبيّ بلا فصل وهكذا غيرها من عقائد الإسلام الصحيحة التي تمسّك بها الإمامية بأدلّة موجودة في كتبهم وكتب مخالفيهم.

فلمّا كان مستوى اعتقادهم هكذا لم يك من العسير عليهم مخالفته والتمرّد عليه.

٦ ـ إنّ الغدر ونقض العهد والميثاق سلوك عامّ عند النوع البشري كلّه ولا يمنعه منه إلاّ الدين وخوف العقاب والاعتقاد باطلاع الله سبحانه عليه في سرّه وعلانيّته وإنّه محاسب على كلّ صغيرة وكبيرة وهذه وأمثالها من السلوكيات شاهد لنا على عدم تغلغل الدين الصحيح في نفوس الأمّة وعلى عدم بذل حكمها

الجهد في تربية الرعية.

وقد استلمهم عليّ عليه السلام وهم على هذه الشاكلة، فبذل جهوداً جبّارة في سبيل تنشئة جيل صالح، ومجتمع جديد، فاتبعوه ـ مع ملاحظة أنّ المدينة مدينة عساكر والمجتمع قبلي صرف ـ ومن يُلقِ نظرة عابرة على الكتاب العظيم نهج البلاغة الذي يحوي خطباً ورسائل وكلمات قصاراً للإمام أمير المؤمنين ـ وأغلب خطبه وكلماته إنّما قيلت في الكوفة ـ يحسّ بالمرارة الشديدة التي عاناها الإمام عليه السلام معهم.

وقد استطاع الإمام ـ رغم كلّ شيء ـ إيجاد مجتمع جديد في الكوفة وبذر بذوراً أينعت عبر التاريخ وإلى يوم الناس هذا فأصبحت الكوفة معقل التشيّع عبر التاريخ، وما تعيين معاوية لأرذل ولاته وأشرسهم إلاّ دلالة على نجاح الإمام في إيجاد تحوّل في بنيّة الكوفة وتركيبتها العقائدية والولائية، ممّا لا يُفلح طاغوت بعدها في محو آثار ما غرسه الإمام في الكوفة أبداً.

والواقع أنّ البحث في هذا الأمر يحتاج لجهدٍ كبيرٍ ودراسة واسعة لا يكتفى معها بهذه الأسطر القليلة التي نسجّلها هنا.

ب ـ مبايعة الكوفيين للإمام الحسين عليه السلام ثم غدرهم

التعبير بأنّ أهل الكوفة بايعوا الإمام ثمّ خذلوه تعبير صحيح، أمّا أنّ الشيعة بايعوه ثمّ خذّلوا عنه فهذا تعبير يحتاج إلى صياغة أخرى وتصوير للمسألة بشكلها السليم.

قدّمنا أنّ الكثير من الكوفيّن كانوا ينظرون إلى الإمام لا بمعيار الشيعة الذي

يعتقدون فيه كونه الإمام المنصوب من الله سبحانه، وأنّه معصوم، وأنّه واجب الطاعة وأنّه صاحب الحقّ في القيام مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل كانوا ينظرون إليه كحفيد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتمتّع بميّزات العلم والتقى والقداسة هذا مع انتشار الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والتفاتهم إلى الآيات الواردة فيه وهي السبب في تقديسه إلاّ أنّهم لم يتعاملوا معه كما هو حقّه، كما لم يلتفتوا إلى مفاد الأحاديث والآيات كلّ الالتفات حالهم في هذا كحالهم في عموم التكاليف الإلهية والوصايا النبويّة.

ويشهد لما قدّمنا معروفية احتواء الكوفة لكافّة التيّارات السياسيّة والعقائدية في ذلك الوقت كما كانت تضمّ بين جوانبها جمعاً من النصارى والمجوس.

ومن المعروف أنّ شطراً عظيماً من الكوفة كانوا من الخوارج وكانوا ناقمين على طرفي النزاع في المجتمع الإسلامي ففي الوقت نفسه كانوا يتّخذون موقفاً سلبياً من الإمام أمير المؤمنين وعائلته وعشيرته وشيعته وكانوا يستبيحون دماءهم، كذلك كانوا يكفّرون السلطة الحاكمة ومن يواليها ويستبيحون دماءهم.

وكان من قادتهم في تلك الحقبة شبث بن ربعي، وشبث هذا قد كاتب الإمام فيمن كاتبه وعاهده على النصرة والمعاضدة فلمّا اشتدّ ساعد بني أميّة في الكوفة من جديد بقدوم ابن زياد رجع عن عهوده وانضمّ إلى حاشيته من جديد وقاد الكتائب لحرب الحسين عليه السلام.

وشبث، ومن على طريقته من الخوارج، وغيرهم، لم يكونوا مخادعين حين كاتبوا الإمام بل كانوا صادقين في عداوتهم لبني أميّة وفي مبايعتهم للإمام طمعاً

في قلع الكوفة من تحت سيطرة بني أميّة أو قلب نظام الحكم كلّه وإن لم يكن للإمام خصوصية عندهم، وذلك كلّه لما عانته الكوفة من الظلم الفاحش لبني أميّة وتمييزهم لها عن بقيّة أطراف العالم الإسلامي بكلّ ألوان القهر والإذلال والكبت والتفتيت والنفي والتقتيل.

فشريحة واسعة ممّن كاتبوا الإمام لم يكونوا من الشيعة لكنّهم كانوا على ظاهر الإسلام استضعفهم بنو أميّة وساموهم الذلّ والقهر وقد استنجدوا بالإمام سنين طوالاً فامتنع منهم لجبروت معاوية ولوجود معاهدة معه فلمّا مات وتواصلت كتبهم وعهودهم نهض الإمام لإنقاذهم طبقاً للآية الكريمة:

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ...﴾[1].

غير أنهم سرعان ما جبنوا وخذلوا وانقلبوا على أعقابهم، وأعادوا نفس ما حصل بعد استشهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ارتداد أغلب الناس عن دينهم وقد نطق القرآن بهذا:

﴿...أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ...﴾[2].

فالانقلاب على الأعقاب ليس بجديد في الأمّة وهذه إحدى مصاديقها.

فالمسلّم حضورهم في حرب الحسين عليه السلام هم:

أ ـ الأمويّون وهم الذين لهم التزام خاصّ ببني أميّة ويوالونهم ويخطئون غيرهم، وهم نواصب بطبيعة الحال.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

ب ــ التيّارات الأخرى المنحرفة عن مذهب أهل البيت عليهم السلام كالخوارج وهم كانوا كُثر في الكوفة ونواحيها.

ج ـ بعض الناس الذين يحملون ودّاً في الجملة للإمام إلاّ أنّه لم يبلغ مستوى العقيدة بإمامته وعصمته ووجوب إطاعته، كما لم يؤثر شيئاً حين تتأثّر دنياه وتبلغ السكّين المذبح.

وقد شرح الفرزدق حال أهل الكوفة هذا للإمام الحسين عليه السلام حين تشرّفه بلقاء الإمام في الطريق إلى العراق، إذ قال: قلوب الناس معك وأسيافهم عليك[1].

وروي أنّ الإمام أجابه:

«الناس عبيد الدنيا والدين لعقٌ على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معائشهم فإذا مُحّصوا بالبلاء قلّ الدّيانون»[2].

ومع ملاحظة أنّ الشيعة قلّة على كلّ حال.

إضافة إلى الاعتقالات الضخمة التي قام بها ابن زياد عند وروده الكوفة حتّى قيل إنّ في سجنه عند وصول الإمام إلى الكوفة اثني عشر ألف معتقل من الشيعة منهم المختار وميثم التمار وأمثالهما.

ومع ملاحظة القتل والتشريد اللّذين قام بهما زياد بن أبيه والمغيرة بن شعبة في أثناء ولايتهما على الكوفة أيّام معاوية حتّى ورد أنّ زياداً نفى من الكوفة

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢، ص٦٧.

(٢) تحف العقول للشيخ الحراني: ص٢٤٥.

خمسين ألفاً إلى إيران وأنّهم هم الذين بذروا التشيّع فيها.

كما أنّه قتل منهم مقتلة عظيمة فصلب وسمل الأعين وهدم الدور ونفى من الديار وصادر الأموال حتّى بلغ الحال أن لم يبق في الكوفة شيعي يُعرف على حدّ تعبير أحد المؤرّخين، وغير هذا وذاك فإذا لاحظنا أجواء الإرهاب التي بثّها ابن زياد في حقبة ما بعد مجيئه على الكوفة وقبل ورود الإمام بما أشغل كلّ امرئ بنفسه، وتهديده أهل الكوفة بأنواع العقوبات أو ينضمّوا إلى الكتائب المسلّحة فانضم من انضمّ تخوّفاً من العقوبات ودرءاً للأمر مؤقّتاً.

يُضاف إلى كلّ هذا ما نقله المؤرّخون من أنّ بمجرّد وصول أخبار تحرّك الإمام عليه السلام من مكّة إلى العراق قام ابن زياد بنشر جيوشه في مساحة واسعة جدّاً من الأراضي لصدّ الإمام عن الوصول إلى الكوفة، ولمنع أنصاره من الالتحاق به، ولشلّ الحركة العامّة تماماً، إذ بعث الحصين بن نمير صاحب شَرَطِه فنظّم الخيل في مساحة واسعة يميناً ويساراً عن طريق الكوفة بحيث لا يمكن للإمام أن ينفذ إلى الكوفة أو يخرج أحد إليه إلاّ ويصادف جُند الحصين.

حتّى أنّ بعض الأعراب أجابوا الإمام عن الأوضاع: لا والله ما ندري، غير إنّا لا نستطيع أن نلج أو نخرج[1].

أي: لا يستطيعون عبور المنطقة وإذا دخل إليها أحد فلا يستطيع الخروج منها لكثافة الجند وإغلاقهم للطرق ومنعهم من نفوذ أحد دخولاً أو خروجاً.

ومع هذا أفلت عدد قليل بطرق عدّة فإمّا أنّهم خرجوا قبل المنع والتحقوا

---

(١) الإرشاد: ج٢، ص٦٩ و ٧٢.

بالإمام، أو تمكّنوا بشكل أو بآخر من عبور هذه المواقع، أو خرجوا مع جند ابن زياد والتحقوا بالإمام. لكنّ المجموع على كلّ حال قليل وأين هم من عشرات الآلاف التي جيّشها طاغية العراق على إمام الأئمّة وأملها وبقيّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووديعته.

ثمّ هناك جمع مهم: إمّا فرّ نجاةً بجلده، أو اختفى، أو تستّر بأمره فلم يُظهر رأيه والتزامه خطّ الإمام فهؤلاء لم يفعلوا كلّ ما يمكنهم فعله للالتحاق بالإمام ووقعت الواقعة فندموا أعظم الندم ثمّ شكّلوا من بعد هذا عمدة حركة التوّابين، وحركة المختار وعملوا على التكفير عن خطيئتهم بالقعود عن نصرة الإمام الذي جاء لإنقاذهم من الاستضعاف ولإنهاض الدين من كبوته بسبب بني أميّة، ولابدّ الآن من إجمال المطلب وبيان خلاصته:

إنّ الأمّة، كلّ الأمّة مقصّرة مع الحسين عليه السلام ـ بلا استثناء، إلاّ آحاد من أفراد الأمة ـ وكل فرد من أفراد الأمّة يتحمّل ـ بشكل أو بآخر ـ جزءاً من آثار القعود عن نصرة المظلوم الأعظم أبي عبد الله الحسين صلوات الله عليه وسلامه، فالأمّة بين قاتل وخاذل والتكليف غير مقتصر على أهل الكوفة حتّى تقع الملامة عليهم فقط، نعم يتحمّل أهل الكوفة الإثم الأكبر ويقع عليهم التكليف الأعظم والناس في هذه الجريمة مراتب من حيث الإثم، فلا معذرة لأحد كائناً من كان.

نعم: أردنا من خلال ذكر هذه الجوانب أن نوضّح حقيقة الحال وطبيعة الظروف ليُعلم صورة الوضع حينذاك.

ومما يجدر إلفات النظر إليه أنّه لم يُنقل أيّ اسمٍ معروف على أنّه شيعي أو موالٍ لأهل البيت وقد صدر منه خذلان للإمام على نحو الخروج إلى حربه.

فكلّ الأسماء المتوفّرة لمن شارك بشكل وآخر في الجريمة هم من الأمويين أو الخوارج أو المخالفين لمذهب الإمام أو النواصب وهكذا دواليك، ولم يرد أيّ اسمٍ غير هذه في الأحداث، وأمّا مشاركة قبيلة ما فإنّ القبائل منقسمة على نفسها من جهة عقيدية ففيها الشيعي وفيها الناصبي فورود اسم قبيلة على أنّها حاربت الإمام لا يصلح كدليل، وإذا ثبت ورود أيّ اسم شارك في الحركة ضدّ الإمام بشكل من الأشكال فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وبرئ الله ورسوله والأمّة منه كائناً من كان.

وهذه اللعنة كما تخصّ المشارك فإنّها تشمل الراضي بقتله والمعين عليه بلسان أو قلم أو يد أو نحوها، إلى أبد الآبدين، والحسين ثار الله؛ إذ هو خليفة الله في أرضه بعد جدّه وأبيه وأخيه والأدلة على هذا من كتب الشيعة والسنّة تملأ مجلّدات ومن يخف القيامة فليراجع ويتأكّد ويسأل قبل أن لا ينفعه ندم، والله على ما أقول شهيد.

موجز الحركة

بعد ورود رسائل أهل الكوفة ـ بيد بعض وجهائها ـ إلى الإمام الحسين عليه السلام، وفي الرسائل دعوة أكيدة للإمام للقدوم إلى الكوفة لقيادة أهلها ضدّ الحكم الأمويّ الفاسد، وبعد تأكيد الوجهاء لمضامين الرسائل، قرّر الإمام ـ صلوات الله عليه ـ بعث مندوبٍ عنه، يستطلع توجّهات أهل الكوفة وحقيقة نواياهم، ويستقرئ الأحداث عن كثب، ليرى رأيه النهائي في الموافقة على دعوات أهل الكوفة، والاعتماد عليهم في حركته المصيرية فاختار مسلم بن عقيل ليكون سمعه وبصره، وليستطلع له أوضاع الكوفة وأهلها، ويكتب له عمّا سيتوصّل إليه ليتّخذ قراره النهائي وهكذا كان.

إذ تحرّك مسلم مع جمعٍ اختارهم الإمام، مزوّداً برسالة منه إلى أهل الكوفة.

بسم الله الرحمن الرحيم

«من الحسين بن علي إلى الملأ من المسلمين والمؤمنين.

أمّا بعد: فإنّ هانئاً وسعيداً قَدِما عليَّ بكتبكم، وكانا آخر مَنْ قَدِمَ مِنْ رُسلِكم، وقد فهمت كلّ الذي اقتصصتم وذكرتم ومقالة

جُلّكم: إنّه ليس علينا إمام، فأقبل، لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق.

وإنّي باعث إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي.

فإن كتب إليّ أنه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجا والفضل منكم على مثل ما قدمت به رُسُلكم، وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلاّ الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحقّ الحابس نفسه على ذات الله، والسلام»[1].

انطلق مسلم أوّلاً إلى المدينة فصلّى في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وودّع من أحبّ من أهله، واستأجر دليلين، فأقبلا به عن غير الطريق العام فَضَلاّ، وأصابهم عطش شديد فعجزا عن السير، ثمّ أنّهما لاح لهما الطريق فأرشدا مسلماً إليه ومات الدليلان.

فكتب مسلم إلى سيّد الشهداء بما حصل وأظهر تشاؤمه من هذه البداية وطلب إعفاءَه من مهمّته، إلاّ أنّ الإمام أكّد له ما أمره به فواصل مسلم سفره حتّى بلغ الكوفة في الخامس من شوال فنزل في دار المختار بن أبي عبيد الثقفيّ والكوفة يحكمها والٍ من طرف يزيد هو النعمان بن بشير.

أقبلت الناس تزور مسلماً، وكلّما اجتمع إليه منهم جماعة أخرج لهم كتاب الإمام وقرأه عليهم وهم يبكون، وبدأت الناس تبايعه حتّى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً.

---

(١) الإرشاد: ج٢، ص٣٩.

فلمّا رأى مسلمٌ إقبال أهل الكوفة، ومبايعة هذا العدد له، فاستطلع أوضاع الكوفة منظراً ومسمعاً، واطمأنّ إلى صلاحية الظرف لقدوم الإمام عليه السلام ولنجاح حركته كتب إلى الإمام عليه السلام، حاثّاً له على القدوم.

في نفس هذا الظرف كتب بعض الموالين للسلطة الجائرة وأهل المطامع إلى يزيد يخبره بأوضاع الكوفة، وخطورة مسلم على كيان الدولة، وإنّ النعمان بن بشير لا يواجه الأحداث بما هو المطلوب، ويحرّشُهُ لاتخاذ الموقف المُتَصلّب، فاستشار مَنْ عنده، وعزم على إيكال أمر الكوفة وأهلها إلى عبيد الله بن زياد بتأثير من مستشاره المسيحي سرجون، فضمّ الكوفة إلى البصرة وجعله والياً عليهما معاً وبلّغه في رسالته الآتي:

أمّا بعد؛ فإنّه كتب إليّ شيعتي من أهل الكوفة يخبروني أنّ ابن عقيل بها يجمع الجموع فتطلب ابن عقيل طلب الخُرزة حتّى تثقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه، والسلام[1].

حضر ابن زياد إلى الكوفة وبمعيّته جمع منهم شريك بن عبد الله ـ وهو من الشيعة المتسترين، والذي صحب ابن زياد ليتعرّف خططه[2] ـ ولمّا وصل الكوفة ظنّ الناس أنّه الإمام الحسين عليه السلام فأظهروا عواطفهم، فاستظهر حقيقة الوضع ومسار الأحداث.

في هذه الأيّام كان مسلم في دار المختار يجمع الأموال والسلاح والرجال

---

(١) الإرشاد: ج٢، ص٤٢.

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ القرشي: ج٢، ص٣٥٦.

ويأخذ البيعة للحسين عليه السلام من الناس ويهيّئ المستلزمات لإنجاح الثورة الحسينية منتظراً قدوم الإمام عليه السلام، وكان الإمام قد بعث في هذه الأثناء بكتاب إلى أهل الكوفة ختمه بقوله:

«فإذا قدم عليكم رسولي فانكمشوا في أمركم وجِدّوا، فإنّي قادمٌ عليكم في أيّامي هذه»[1].

في هذه الأثناء سيطر ابن زياد على قصر الإمارة، ونظّم الحرس والجواسيس واتّصل برؤساء القبائل، وبدأ بتحرّك واسع للتعرّف على مكان إقامة مسلم لإلقاء القبض عليه وإخماد الحركة في مهدها، غير أنّ مسلماً تدارك الأمر وغيّر مكان إقامته من دار المختار إلى دار هانئ بن عروة وتستّر في أمره، واحتاط في تحرّكاته وأحاط مكان إقامته بمخيّم يضمّ السلاح والرجال المتهيّئين للانقضاض على كيان الدولة.

وحدثت حادثة في هذه الأثناء كان يمكن من خلال استثمارها تغيير مسار الأحداث إلى حيث الإنجاح السريع والحاسم لحركة الإمام الحسين عليه السلام، ولكن... وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«قد يرى الحُوّل القُلّب وجه الحيلة ودونها مانع من أمر الله ونهيه فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين»[2].

إنّ مسلماً لم ينتهز هذه الفرصة، لورعه وتديّنه، وهذا هو الفرق بين هذا

---

(١) الإرشاد للمفيد: ج٢، ص٧٠؛ الإنكماش: الإسراع.

(٢) نهج البلاغة للشريف الرضي: الخطبة ٤١.

النوع من الناس وبين من لا يتوقف عن ارتكاب أيّة خسيسة لتحقيق أهدافه حتّى اتّخذوها أصلاً يشيّدون عليه كيانهم (الغاية تبرّر الوسيلة).

وخلاصة الحادثة: مَرِض شريك بن عبد الله وهو في دار هانئ بن عروة وكان مسلمٌ فيها أيضاً فسمع ابن زياد بمرضه فأراد زيارته فاقترح شريك إعطاء إشارة معيّنة بعد قدوم ابن زياد إليه فيبادره مسلم ويقتله.

وحضر ابن زياد لعيادة شريك وجلس هنيئةً، فأعطى شريك الإشارة غير أنّ مسلماً لم يبادر لقتل ابن زياد وأعاد شريك الإشارة ولا أثر حتّى أحسّ ابن زياد أنّ في الجوّ شيئاً فخرج وفشلت الخطّة وضاعت الفرصة.

بعد هذا؛ جَدّ ابن زياد لكشف مكان اختفاء مسلم فكلّف رجلاً بكشف الأمر فذهب هذا إلى مسجد الكوفة وتمكّن من التعرّف على مسلم بن عوسجة فأخبره أنّه يحمل مالاً إلى مسلم فواعده كي يُدخله عليه وحصل هذا فعلاً فكشف بهذا مكان إقامة مسلم وأبلغ ابن زياد به.

أرسل ابن زياد إلى هانئ ليحضر إليه فحضر ففاجأه بخبر وجود مسلم عنده وواجهه بالجاسوس فأسقط في يد هانئ غير أنّه امتنع عن تسليمه فعذّبه ابن زياد وحثّه بعض من في المجلس بدعوى أنّ تسليم الضيف إلى السلطان لا عار فيه، فتمنّع أشدّ التمنّع فاعتُقل.

ثارت عشيرة هانئ وحاصرت قصر الإمارة مطالبة بإطلاق سلاح هانئ غير أنّ نفرين أخمدا الثورة، أحدهما ركب الموجة وقاد جموع العشيرة واستطاع تهدئة بركانها إرضاءً لابن زياد وتزلّفا إليه.

والثاني شريح القاضي الذي أبلغهم بأنّه اطّلع على هانئ في سجنه فوجده حيّاً فاستطاع بتمويهه وممالأته للسلطة تهدئتهم وتشتيت جمعهم.

لمّا بلغ مسلماً ما صُنع بهانئ أعلن الثورة واحتل الكوفة وحاصر قصر الإمارة فانهار وضع ابن زياد وشارف أمره على النهاية، غير أنّه تدارك الأمر ببثّ المرجفين وناسجي الإشاعات والأخبار الكاذبة ومن جملة ما يشيعونه قُرب وصول جيش الشام، كما يخيفون الناس بقطع الدولة لأرزاقهم، وتشتيت جمعهم في ثغور العالم الإسلامي ونحو هذه.

وقد أدّت حركة المرجفين هذه إلى إحداث تدمير واسع النطاق في بنيّة جيش مسلم، وإلى تخاذل الناس عنه وتواكلهم فانسحبت الجموع الثائرة، ورجع كلّ إلى داريه فما حلّ مساء اليوم الأوّل من الثورة حتى ترى العجب: مسلم وحيد في الكوفة دون أن يصحبه أحد، ولا قوّة مناهضة أمامه تستدعي تشرذم جيشه.

التجأ مسلم لدار امرأة كوفية تُدعى ـ طوعة ـ غير أنّ الخبر وصل بسرعة إلى ابن زياد فحشد له جمعاً من العساكر التي حاصرته ورمت على الدار التي هو فيها أطنان القصب المشتعل فخرج إليهم وقاتلهم وبعد مقاومة باسلة ذكّرت الناس بشجاعة البيت الهاشمي، نُصب له كمين وأعطي الأمان فتمّ إلقاء القبض عليه فاقتيد إلى ابن زياد الذي شتمه وأمر بضرب عنقه ورميه من أعلى قصر الإمارة فصُنع به هذا ثمّ سُحب في الأسواق كما أخرج هانئ من سجنه وضُربت عنقه أمام الناس وسُحب في الأسواق مع مسلم.

بعد استشهاد مسلم، بدأت الأحداث تتسارع، فشنّ ابن زياد حملة هائلة

لاعتقال رجالات الشيعة ومُحبّي الحسين وأنصاره وأنصار مسلم ومن يُخاف خطره لو بقي مُطلق السراح، فامتلأت السجون حتّى قيل إنّ في السجن قرابة الاثني عشر ألفاً وهو رقم رهيب بحسب وضع الكوفة وكثافتها السكّانية في تلك الأيّام.

كما قام ابن زياد بالتنكيل بالناس وفعل الأفاعيل بهم.

ثم أخذ ابن زياد بتجنيد الناس لحرب الإمام الحسين عليه السلام وإرسال الكتائب لتجول الصحارى، تبحث عن قافلة الإمام ـ سبط رسول الله وأمل الأمّة المعذّبة والمتحيّرة في دينها ودنياها ـ

هذا ملخّص لمسيرة حركة مسلم وهي على وجازتها تقتضي تأمّلاً في بعض مواطنها، وتقتضي توضيحاً، لتفهّم سبب جريان الحركة في هذا المجرى، ولنقتبس منها الدروس والعبرة، ولنستكشف أيضاً بعضاً من ملامح شخصية بطل من أبطال الإسلام، بطل واجه الدولة الطاغوتية التي قهرت الأمّة كلّها في جميع مجالات حياتها على مدى عشراتٍ من السنين وهو بَعْدُ:

رائد من روّاد الشهادة في البيت الهاشمي والذي أترع أبناؤه بكأس الشهادة.

مواقف وتساؤلات

من خلال التفاصيل التي يذكرها المؤرّخون لحركة مسلم رضي الله عنه نجد أموراً ومواقف تثير التأمّل والتساؤل لدى الناس ولاسيما الشيعة والمحبّين لآل البيت عليهم السلام.

وذلك لأنّه يظهر أنّ أوّل الوهن الذي دخل على الحركة الحسينية إنّما هو من جهة هذه الحركة ومجريات أحداثها والنتائج التي تمخّضت عنها.

فلولا هذا الحدث وذلك الموقف وتلك الإثارة وهكذا.. لما حصل كذا وكذا ولما انتهت الحركة الحسينية إلى تلك النتيجة الرهيبة ولما انتهى الحال بسيّد الشهداء إلى تلك الكارثة المهولة.

لِمَ اختاره الإمام الشهيد من دون أهل بيته؟

لِمَ لَمْ يَعْفِه من مهمّته بعدما طلب الإقالة منها وقد خيّر كثيراً من الناس بين المسير معه والرجوع إن شاءوا؟

لِمَ امتنع مسلم عن قتل ابن زياد في دار هانئ؟

لِمَ أعلن الثورة، ولم يكلّفه الإمام إعلانها بل استطلاع الأوضاع والكتابة إليه بشأنها كي يرى رأيه؟

كيف شخّص مسلمٌ أوضاع الكوفة ممّ دعاه إلى حثّ الإمام الشهيد على المجيء، مع أنّ الأوضاع انقلبت بسرعة مع العلم أنه لم تكن لهذا الانقلاب أماراته حينذاك؟

لِمَ لَمْ ينجح في السيطرة على عواطف الناس وأفكارهم ولم يُحقّق من خلالها أهدافه مع كون الساحة له، والناس توجّهت بعواطفها نحوه في أوّل الأمر؟

هل الخلل في تقصيره في الجانب الإعلامي، الاقتصادي، المخابراتي، أو لخلل في كفاءته أصلاً؟

لِمَ لَمْ يترك الكوفة بعد فشل حركته بل بقي فيها فيسّر لابن زياد إلقاء القبض عليه وإعدامه مع أنّه رأى أن لا ناصر له إطلاقاً من تلك الألوف المؤلّفة؟

لا ينقضي العجب: كيف ترك جميع الناس الصلاة خلف مسلم وتركوه وحيداً فريداً في طرقات الكوفة، فأين رجالات الشيعة، وأين بقيّة شَرَطَة الخميس؟

لِمَ لَمْ يقاتل مسلم رضي الله عنه حتّى الموت، بل وثق بأمان مَنْ شيمتُه الغدر، مع أنّه قد خَبَر مصداقيتهم قبل هذا؟

لِمَ لَمْ يترك مسلم إعلان الثورة حتّى يحضر الإمام، ولِمَ لَمْ يعد اعتقال هانئ ضمن الخسائر التي تتحمّلها الثورة على طريق النصر؟

تساؤلات كثيرة، لكن هل يمكن الجواب عنها بما يُقنع وبما يكشف الحقيقة من بين الحجب وأسباب الغشاوة؟

نعم، لكلّ تساؤل جوابه المقنع إن شاء الله تعالى وبما يكشف القناع عن وجه تلك الأحداث الجسام.

ولنسجّل أيضاً بعض الاعتراضات، ففي إيراد نقله العلاّمة الشهيد المطهّري: (إنّ كلّ المعترضين، انتقدوا تقييم مسلم لأوضاع الكوفة، وتتّهمه بالضعف)[1].

وآخر ذكره العلاّمة الشيخ باقر القرشي:

(إنّ جيش مسلم مُني بهزيمة مخزية لا مثيل لها في التأريخ، من دون أن تكون قِباله أيّة قوّة عسكرية)[2].

وطرح البعض إشكالات واستعمل أسلوباً مستهجناً في طرحه، قال:

تبقى المؤاخذة الوحيدة على توجّهات ابن عقيل:

أ ـ لم يعتمد خطّة دقيقة للمحافظة على تماسك أنصاره، وراهن على ثبات بيعتهم دون حسابٍ لمكر ابن زياد وإمكانيته في استمالتهم.

ب ـ وبرفضه لفكرة اغتياله، وتذرّعه بالقيم والمبادئ يكون قد وضع المعروف في غير أهله، ممّا أضرّ بنفسه، ومهّد لنهايته المأساوية ومن ثمّ إحباط مجهودات الحسين وأصحابه وتعريضهم لأسوأ عملية غدر.

وعموماً فإنّ المواجهات العنيفة والمصيرية لا تحتمل أيّ منهجٍ مثالي، والشجاعة وحدها لم تكن لتكفي[3].

---

(١) الملحمة الحسينية للشيخ الشهيد مرتضى المطهري: ج٣، ص٣٥٥.

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ القرشي: ج٢، ص٣٨٥.

(٣) دراسات حول كربلاء، مجموعة أبحاث: ص٧٠٣، وهذه الدراسات مطبوعة في لندن.

وقد ردّت اللجنة التي اطّلعت على هذا المقال وساعدت في نشره على كلامه المتقدّم: لم يكن هذا تذرّعاً من مسلم، وإنّما هو اعتقاد والتزام بالحديث الشريف والمبادئ، فإن لم يكن ابن زياد أهلاً للمعروف، فإنّ مسلماً كان أهلاً لذلك كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام.

وهاك لوناً آخر، لكنّه موجود في الساحة، في فهم ثورة الإمام وحركة الإمام؛ إذ يرى أنّ الإمام الحسين عليه السلام سار في ثورته مسيرة من يريد أن يموت كما سار أمير المؤمنين عليه السلام من قبله.

ثمّ ذكر ما جرى حول ابن زياد في دار هانئ وامتناع مسلم عن قتله لحديث (الإيمان قيد الفتك).

فقال: الظاهر أن هؤلاء الناس قد جُبلوا من طينة الشهادة، يثورون ولا يتّخذون في ثوراتهم سبيل النجاح إنّهم ألقوا بأنفسهم إلى التهلكة وكُتب عليهم الفشل في كلّ سبيلٍ سلكوه إلاّ سبيل الشهادة.

وهذه ـ أيضاً ـ مقالة تحتوي في طيّاتها مجموعة أفكار وآراءٍ تُشابه في خطّها العام، الآراء المتقدّم بيانها، بل لا تكاد تخرج عن ذلك الإطار فكرة وأسلوباً، يستحسن استعراض المطروح بغية مناقشة وبيان مواضع العثرة فيه:

إنّ اختيار الإمام لمسلم لم يكن موفّقاً بدرجةٍ كافية حيث ينسب إليه التردّد وضعف القلب دون الافتقار إلى الشجاعة.

ويرى: أنّ سبب اختيار الإمام عليه السلام لمسلم: عدم حصول الإمام على واحدٍ من بني هاشم يقوم بالمهمّة من غير الشباب، لعدم موافقتهم على الخروج

من المدينة، إذ توطّدت لهم مصالح مستقرّة، جعلتهم ينصرفون عن السياسة، والشباب الذين خرجوا مع الإمام، كان رأسهم العبّاس عليه السلام، وهو لا يزيد على الثلاثين.

ويحتمل أنّ مسلماً لم يكن مقتنعاً بما أسند إليه، أو متهيّبٌ من لقاء أهل الكوفة لما سَمِعَ عنهم من تقلّب الرأي، أمّا مسيره فاحتراماً لإرادة الحسين عليه السلام ومن دون رغبة منه، إلاّ أنّ اجتماع ذلك الحشد من الأنصار حوله.... يدلّ على مقدرته وحضوره القويّ بينهم، ثمّ إنّ نجاحه في أخذ البيعة، لم يكن من الأمور اليسيرة في ظلّ أجواء الكوفة المضطربة ووجود أميرها. (فراجع لكلّ هذا: ـ دراسات حول كربلاء المطبوع في لندن).

وعلى أيّ حال: نحن نجزم بأنّ مسلماً لم يقصّر في النصيحة لإمامه ودينه وأمّته، في رسائله التي بعثها، وفي إداراته للأحداث فهو اتخذ الموقف المناسب للحالة الفعليّة المعاشة.

وإلاّ فمسلم من جهة شجاعته وكفاءته ومن جهة صلابة عقيدته الإيمانية في المرقاة العليا وكان على مستوى الحدث بل أعلى.

لكن لابدّ للأمّة أن تمرّ بامتحان الأمم كما على الأفراد أن يمرّوا بامتحانهم وبحسب امتحان الأمم، فقد كبت هذه الأمة كبوة ليس لها منها نهضة، ودفعت، وستدفع ثمناً أعلى مما ستدفعه بقيّة الأمم.

وعلى مستوى امتحان الأفراد، لحقت الهزيمة بعامّة أفراد الأمّة أمام فتنة الشيطان والسلطان، نعم نجح أفراد قلائل، بهم نهضت الأمّة من جديد عبر أجيالها

المتتالية وفي مقدّمتهم مسلم، ونحن واثقون على كلّ حال ومخبتون إلى صحّة موقف مسلم ليس فقط لمسلّماتنا العقدية والدينية وإنّما دراسة شخصية مسلم وأوضاعه ودراسة القضيّة جيّدا، تستدعي هذه النتيجة.

ولا ريب، أنّ مجتمع الكوفة يومذاك، أثبت أنّه لا يستحق حكم آل محمّد، ولا يستحقّ العيش في ظلّهم، إذ لم يُراع أهل الكوفة عهودهم ووعودهم ورسائلهم التي واتروها إلى الإمام أكثر من عشر سنين ثمّ نقضوا مواثيقهم بأوّل ضربة وُجّهت إليهم من السلطة الطاغوتية.

إنّ المولى سبحانه أنعم على العالم بشكل عام، وعلى العرب بشكل خاصّ، وعلى قريش بوجه أخصّ، بمحمّد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وكان الجدير بهم أن يشكروا هذه النعمة ولا يكفروها، فيشكروها بقبولها والأخذ بما جاء به النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وبما بلّغه آله عنه، وبنصرة النبي وآله لإتمام مهمّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نشر الشريعة وتجذيرها في الأرض وهيمنتها على الشرائع والأمم كلّها.

وكذلك بنصرة آله الذين حملوا رايته وواصلوا دربه وحملوا همومه وعزموا على بلوغ هدفه مهما كلّفهم هذا من ركوب الصعاب واقتحام الأهوال وبذل كلّ غالٍ ونفيس مع طاعة مطلقة لله ورسوله في كلّ حركة وسكون، وقد وفى بعض الناس، من قريش خاصّة، والعرب عامّة، ومن أمم أخرى أيضاً، ما عاهدوا الله عليه، فصبروا وصابروا، ورابطوا وجاهدوا، وترقرقت الدماء من بين العمائم واللحى ــ والمسيرة مستمرّة ــ.

لكن أكثر الناس جبنوا وأخلدوا إلى عاجل الدنيا وزخرفها واشتملت أضالعهم على الخيانة وألوان النفاق، وسقطوا صرعى تحت سياط جلاّدي هذه الأمّة ممّن سمّوا أنفسهم بالخلفاء مع أنّ النبيّ سمّاهم بأصحاب (المُلك العضوض)[١].

وقد هرع أئمّة أهل البيت لاستنقاذ الأمّة من سيوف جلاّديها وسياطهم، وأجابوا استصراخها بعدما أخذوا عليهم العهود والمواثيق المؤكّدة.

هذا النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم يخرج إلى المدينة ويبدأ بإنشاء كيان الدولة الإسلامية إلاّ بعد بيعتي العقبة الأولى والثانية، وهذا أمير المؤمنين وسيّد الوصييّن لم يكتفِ بمبايعة أكثر من مائة ألف مسلم[٢] له في غدير خمّ بالولاية العظمى والخلافة والإمامة، حينما هرع الناس إليه صحابة وتابعين، مهاجرين وأنصاراً، رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً، ملتمسين منه ومصرّين عليه تولّي الخلافة بعد مقتل عثمان؛ لأنّه أمل الأمّة وصاحب الكفاءة الأعظم ـ الذي ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير، لإدارة شؤون المجتمع الإسلامي وللقيام بكلّ ما هو مطلوب ممّن يتولّى قيادة الأمّة وزعامتها، فلم يستجب من أوّل الأمر حتّى رأى إصرارهم وتصميمهم ـ بالرغم من استحقاقه الخلافة بالنصّ من الله ورسوله ـ ثمّ انتهى الأمر إلى أن بايعه الناس بيعة لم تحصل لأحدٍ ممّن تولّى الخلافة من قبله أو من بعده وحتى يقول عن حال الناس يومذاك معه:

---

(١) النصائح الكافية للسيد محمد بن عقيل: ص١٩٠.

(٢) الغدير للشيخ الأميني: ج١، ص٣٢.

«فما راعني إلاّ والناس كعُرف الضّبع إليّ، ينثالون عليّ من كُلّ جانب حتّى لقد وُطئ الحسنان، وشُقّ عطفاي، مجتمعين حولي كربيضة الغنم»[(١)].

وعنه عليه السلام:

«وبسطتم يدي فكففتها، ومددتموها فقبضتها، ثمّ تداككتم عليّ تداكّ الإبل الهيم على حياضها يوم وِرْدها حتّى انقطعت النعل، وسقط الرداء ووُطئ الضعيف، وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إيّاي أن ابتهج بها الصغير، وهَدَج إليها الكبير، وتحامل نحوها العليل وحَسَرت إليها الكِعَاب»[(٢)].

وهذا الإمام الحسن لم يقبل الخلافة بعد أبيه، والوقت عصيب، ومعاوية يصول بجنده على أطراف دولة الإمام، حتّى بايعه الناس ورضوه عن طواعية تامّة لم تحصل لأحد، ثمّ هذا الإمام سيّد الشهداء، لم يتحرّك من المدينة إلاّ بعدما كاتبه الناس واستصرخوه واستنهضوه أكثر من عشر سنين.

وهكذا سيكون الحال مع بقيّة الله في أرضه المهدي ــ روحي وأرواح العالمين له الفداء ــ إذ لن يتولّى أمر الأمّة إلاّ بعدما تبايعه الأمّة عن رضا وطواعية وتأكيد كما فعل أسلافهم مع آبائه الكرام البررة.

إنّ منطق معظم الأمّة ــ من بعد النبي إلى اليوم ــ هو نفس منطق الذين قالوا لموسى عليه السلام:

---

(١) نهج البلاغة للسيد الرضي، الخطبة الشقشقية وهي الخطبة الثالثة.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٩.

﴿...فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾[1].

فما كان جواب موسى اعتذاراً لربّه الجليل:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[2].

فحَكَمَ المولى سبحانه ـ كأثر وضعي عقابي لجريمتهم ـ:

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[3].

وقد ورد في الروايات أنّه يكون في هذه الأمّة ما كان في بني إسرائيل حذو القذّة بالقذة[4]، وهذا الذي جرى، هو على طبق ذاك وقد وقعت الأمّة في التيه ولا يُدرى متى ستخرج منه وتنتهي آثار جريمتها، وتفلت من براثن فعلتها.

وهنا أمر يَحْسُن التأكيد عليه، ويتعلّق بالسياسة الخاصّة لمحمّد وآل محمّد ــ صلّى الله على محمّد وآله الميامين المعصومين ـ في نشر الدين وتحكيمه وتجذيره، وفي حكم الأمّة وإدارة شؤونها، وكذلك في إدارة الصراع مع أعداء الدين.

وهذه السياسة تقوم على خصيصة يمكن استشرافها من خلال نصٍّ عن أمير المؤمنين عليه السلام:

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٢٦.

(٤) تفسير الميزان للسيد الطباطبائي: ج٣، ص٤٣٤، فقد نقل هذا النصّ والمضمون عن جامع الأصول لابن الأثير وذكر أنّه من المشهورات وقد رواه الشيعة والسُنّة.

«أيّها الناس، إنّ الوفاء توأم الصدق، ولا أعلم جُنّةً أوقى منه، وما يغدر من عَلِمَ كيفَ المَرجع، ولقد أصبحنا في زمانٍ قد اتّخذ أكثر أهلِه الغَدْرَ كَيْساً ونسبهم أهل الجهل منه إلى حُسن الحيلة، ما لهم، قاتلهم الله، قد يرى الحوّل القُلّب وجهُ الحيلة ودونها مانع من أمر الله ونهيه فيدعها رأي عين بعد القُدرة عليها وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين»[1].

إنّ سياسة محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم تقوم على قانون الإسلام نصّاً وروحاً وجوهراً ومظهراً، وسياسة الإسلام تقوم على ثوابت لا تتغيّر، بحسب الظروف والحالات أو بحسب المكان والزمان وعلى متغيّرات تقتضي تغيّر الحكم عن عنوانه الأوّلي المشرّع للحالات العادية إلى عنوان ثانوي اضطراري مشرّع للحالات الاستثنائية ولحالات الطوارئ ـ كما يُعبّر عنه في هذا الزمان ـ ولعلّ هذا التغيّر في الحكم بحسب العناوين يعدّ تسامحاً في التعبير، إذ إنّ الواقع أنّ العنوان الأوّلي هو لحالةٍ خاصّة لها حدودها وضوابطها وجوهرها ولها اعتبار حكمي خاصّ، والعنوان الثانوية هو لحالةٍ ثانية خاصّة أيضاً لها حدودها وضوابطها وجوهرها وشرائطها ولها اعتبار حكمي خاصّ بها أيضاً فهذه غير تلك فحكمها أيضاً مختلف.

كما أنّنا نلاحظ ـ بعد التأمّل في الروايات وسيرة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ـ أنّهم يلاحظون العناوين الأوّلية والثانوية في الحالات الجزئية المتعلّقة بهم أو بأفراد الأمّة، كما أنّهم يُلاحظون العناوين الأوّلية والثانوية في

(١) نهج البلاغة للسيد الرضي: الخطبة٤١.

مقاطع واسعة زمانية ومكانية بحسب ما ستجري عليه الأحداث مستقبلاً فيتّخذون الموقف المطلوب من الآن لمرحلة ما بعد عشر سنوات أو خمسين سنة أو لعلّه لمئات من السنين بحكم علمهم بما سيقع مستقبلاً في هذا المكان أو ذاك أو في طول البلاد الإسلامية وعرضها أمّا من أين عِلموا بهذا فهذا له بحث آخر مستقلٌ ليس محلّه هنا.

وممّا يُرشد لهذا بل يدلّ عليه ما ورد في وجه عفو الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه عن معاقبة أعدائه ببعض أنواع العقوبات التي يستحقّونها بحكم الشرع نتيجةً لجرائمهم وإفسادهم في الأرض رعايةً للرساليّن الحقيقيّين حملة لواء الحقّ والفرقة الناجية من هذه الأمّة ـ شيعة أهل البيت عليهم السلام ـ إذ ورد عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام:

«لَسيرة علي ـ صلوات الله عليه ـ في أهل البصرة كانت خيراً لشيعته ممّا طلعت عليه الشمس، إنّه عَلِمَ أنّ للقوم دولة فلو سباهم لسُبيت شيعته».

قلت: فأخبرني عن القائم عليه السلام يسير بسيرته؟ قال:

«لا، إنّ عليّاً عليه السلام سار فيهم بالمنّ لما علم من دولتهم، وإنّ القائم يسير فيهم بخلاف تلك السيرة لأنّه لا دولة لهم»[1].

وهذا المعنى ورد بعدّة أسانيد فراجعها في الوسائل.

فالنتيجة أنّهم سلام الله عليهم لا يستجيزون فعل أيّ شيء من أجل تحقيق

---

(١) وسائل الشيعة للشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي: كتاب الجهاد، الباب ٢٥ من أبواب جهاد العدوّ، ج١٥.

الأهداف فهناك ما يصحّ التحرّك ضمن دائرته، وهناك ما لا يصحّ مهما بلغت الظروف، وهذا أحد الفوارق المهمّة جدّاً بينهم وبين غيرهم ــ سواء أكان هذا الغير وليّاً لهم أم عدوّاً ــ.

كما أنّنا نلاحظ ـ بعد التأمّل في الروايات والسيرة أيضاً ــ التزامهم ببعض السلوكيات ممّا لا لزوم بحقّه في الشريعة، وإنّما يقتضيها علوّ النفس وسموّ الذات وبُعد الهمّة وشدّة المحبّة لله سبحانه، والرغبة العظيمة في فعل أقصى ما يحقّق رضاه.

فهذا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يخيّره من الله سبحانه بين أمرين أحدهما شديد مع تعريفه بأنّ الاختيار لن يُنقص له مقاماً عند الله سبحانه فيختار الأشدّ.

وهذا أمير المؤمنين عليه السلام ما عرض له أمران كلاهما لله رضا إلاّ اختار أشدّهما عليه، وكذا الزهراء والحسنان وبقيّة الأئمّة التسعة إلى المهدي روحي فداه.

وهذه القاعدة لها مصاديق كثيرة في سيرتهم عليهم السلام ومن شاء استقصاها ولعلّ من أمثلتها المشرقة ما خلّدته سورة الدهر حين أعطى الإمام والزهراء والحسنان طعامهم لمسكين ويتيم وأسير ثلاثة أيّام وهم صيام ولم يتناولوا شيئاً غير الماء حتّى بلغ منهم الجوع مبلغاً عظيماً وحتّى هتف النبيّ صلى الله عليه وآله حين دخل عليهم ورأى آثار الجوع في وجه حبيبته الزهراء وولديه الحسن والحسين:

«وا غوثاه بالله يا أهل بيت محمّد تموتون جوعاً»[(١)].

[ولاحظ أنّهم أعطوا طعامهم لأسير مع أنّه كافر بطبيعة الحال] فإذا بجبرئيل يهبط ويقول للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«خذ يا محمّد هنّأك الله في أهل بيتك».

وبلّغه سورة هل أتى فليتأمّل المؤمن فيها وليستشرف من خلالها على شيء من عظمة محمّد وآل محمّد وقدرهم عند الله سبحانه، وتأمّل في الحسين عليه السلام وحاله يوم الطف وقد بلغ به العطش مبلغاً عظيماً والمصائب تترى عليه، ونساؤه وصبيته في جوعٍ وعطشٍ وأخطارٍ لا تستقصى، وقد فقد صحبه وأهل بيته، والجيوش الفرعونية تحيط به تريد تفريق روحه المقدّسة عن بدنه الطاهر، نراه قد اقتحم الجيوش وولج في شريعة الماء وأراد شرب الماء كي يُبلّ ريقه ويتقوّى على قتال الفجرة الكفرة وإذا بفرسه يُسارع بمدّ رأسه ليشرب فإذا به يقول له:

«أنت عطشان وأنا عطشان والله لا ذُقت الماء حتى تشرب»[(٢)].

حتّى في أحلك الظروف، يقصدون أعظم مراتب السموّ ويُسارعون إلى

---

(١) بحار الأنوار للشيخ محمد باقر المجلسي: ج٣٥، ص٢٤٧، وللاطّلاع على مصادر السُنّة في شأن نزول سورة هل أتى في أمير المؤمنين وسيّدة النساء وسيدي شباب أهل الجنّة الحسن والحسين؛ راجع فضائل الخمسة للسيد الفيروزآبادي: ج١، ص٥٤، فقد نقلها عنهم وقد ألّف الحافظ العاصمي كتاباً في مجلّدين أسماه ـ زين الفتى في تفسير سورة هل أتى ـ ذكر فيه نزولها فيهم عليهم السلام؛ وراجع شواهد التنزيل: في الآيات النازلة في أهل البيت عليهم السلام للحاكم الحسكاني: ج٢، ص٣٩٣، والحسكاني من أعلام السُنّة.

(٢) بحار الأنوار للشيخ محمد باقر المجلسي: ج٤٥، ص٥١.

رفيع الدرجات، ويسلكون الأشدّ الأسمى مع جواز الأرفق الأسهل، وبهذه النفوس القدسية، والإخلاص الذي لا نظير له في ساحة الوجود، وبغيرها من عظيم الملكات ارتقوا سُلّم المعالي حيث لا يلحقهم لاحقٌ وقدّمهم الله سبحانه على جميع خلقه وأوجب طاعتهم وجعلهم أولياء الأمور ونصّبهم خلفاء في أرضه بالاسم والوصف كيلا يعتذر معتذر، ويتهرّب من ساحتهم ولا يتهم منافق.

إنّ المنهج الذي سلكه محمّد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم دفع بقصيري النظر وناقصي الإيمان إلى الشكّ والتشكيك في صحّة مسيرتهم وإلى الاعتراض على أوامرهم وأحكامهم.

منها: اعتراض من اعترض على صحّة صلح الحديبيّة[١] حتى واجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم باعتراضاته، ثمّ إنّه صرّح بأنّه قد شكّ في نبوّة النبيّ في ذلك اليوم، والشكّ في نبوّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كفر.

ومنها: اعتراض من اعترض على النبيّ في كتابة كتاب لا تضلّ الأمّة بعده وكان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه الأخير إلى أن بلغ في اعتراضه على النبيّ ومحاولته في منعه من كتابة الكتاب أن تفوّه بمحضر جماعة بما يُعدّ شتيمةً للنبيّ الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم[٢].

وهناك اعتراضات أخرى مارسها رجال ونساء متعدّدون في مقابل أحكام

---

(١) النصّ والاجتهاد للسيد عبد الحسين شرف الدين: ١٤٧؛ الفصول المهمّة للسيد شرف الدين: ص٩٦؛ المغازي للواقدي: ج١، ص٦٠٧؛ الفصول المختارة للسيد المرتضى: ص٢٧.

(٢) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ج١٣، ص٣٢، فقد نقل الرواية عن صحيح مسلم؛ وراجع لها أيضا: النص والاجتهاد: ص١٢٥.

الكتاب والسنّة تجد بعضاً منها في كتاب (النصّ والاجتهاد) للسيّد عبد الحسين شرف الدين.

واعتراضات المتقدّمين وغيرهم ممّن أتى بعدهم ممّا لا وجه لها بل فيها دلالة على فقد صاحبها للإيمان أو نقصانه فيه والوجه: أنّه بعد ثبوت عصمة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعصمة أهل بيته وتسديد النبيّ من الله سبحانه، كما أنّ أهل بيته سفن نجاة الأمّة وعِدْلُ القُرآن في الهداية لا يبقى مجال في الاعتراض عليهم، وبماذا يعتذر هؤلاء في مقابل هذه الأدلّة القاطعة للعذر واللجاج، وفي حديث الثقلين وحديث السفينة الدلالة الواضحة على صحّة نهج آل محمّد وأصحيّته على كلّ نهج مهما افترضنا ذلك النهج، وإنّ حكمهم مقبول عند الله تعالى وطريقهم مؤدٍ إلى الجنّة ومن تبعهم فهو مرضيّ عند الله تعالى ومن الفائزين بالجنّة ومن الناجين من النار بخلاف نهج غيرهم.

على أنّنا نعتقد، ـ والحديثان دالاّن ـ إنّ طريق محمّد وآل محمّد، ونهجهم، وحكمهم، هو الصحيح وغيرهم ضلال، ومتّبع محمّد وآل محمّد إلى الجنّة، ومتّبع غيرهم إلى النار، كائناً من كان.

ثم إنّ من يتأمّل في الكتاب والسُنّة يعثر على وجه ما كان يصدر من المعصومين والسرّ فيه، هذا ـ مثلاً ـ أمير المؤمنين يُبيِّن الظرف السائد في أيّامه والذي أثّر التأثير المهمّ في مسيرة حكمه:

«أفسدتم عليّ رأيي بالعصيان، حتّى لقد قالت قريش: إنّ ابن أبي طالب رجلٌ شجاع ولكن لا علم له بالحرب.

للّه أبوهم، وهل أحدٌ منهم أشدّ لها مِراساً، وأقدم فيها مقاماً منّي، لقد نهضت فيها وما بلغتُ العشرين، وها أنذا قد ذَرّفتُ على الستّين، ولكن لا رأي لِمَن لا يُطاع»[1].

كما بيّن الإمام الحسن وجه صلحه مع معاوية لمن اعترض عليه وأساء القول له[2].

وبيّن سيِّد الشهداء وجه حركته المقدّسة لجمع اعترضوا عليه وحاولوا ثنيه[3] عن مسيرته بدعوى غدر أهل الكوفة ـ وهو أدرى منهم بهذا وأشدّ معاناة لها حين كان بصحبة أبيه الوصيّ وأخيه المجتبى حتّى بلغ الأمر أن سلّم أخوه السبط مقاليد الخلافة لابن آكلة الأكباد مؤسّس الملك العضوض ـ.

وهكذا كان دأب الأئمّة ـ عليهم الصلاة والسلام ـ في بيان ظروفهم ووجه ما يصدر عنهم لشيعتهم وغيرهم، مع موقعهم في الإسلام وخلافتهم لله ورسوله في الأرض ووجوب طاعتهم على الأمّة كلّها ـ بلا استثناء ـ بنصّ الكتاب والسنّة.

وقد صدر عن مهدي آل محمّد من بيان وجه غيبته ـ ممّا يجري في نفس سياق دأب الأئمّة عليهم السلام في توضيح بعض أوجه حركتهم وأحكامهم للأمّة بما يقطع دابر الشبهة والفتنة ويُعين المؤمنين في تثبيت عقائدهم الدينية ـ.

فعنه روحي له الفداء:

«وأمّا علّة ما وقع من الغيبة، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول:

---

(١) نهج البلاغة للسيد الرضي: الخطبة ٢٧.

(٢) مسند الإمام المجتبى عليه السلام للشيخ عزيز اللّه العطاردي: ص٣٨٣ ـ ٣٨٤.

(٣) معالم المدرستين للسيد مرتضى العسكري: ج٣، ص٥٦؛ الملهوف للسيد ابن طاوس: ص١٣٢.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ... ﴾[١].

إنّه لم يكن أحدٌ من آبائي إلاّ وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه وإنّي أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحدٍ من الطواغيت في عُنقي.

وأمّا وجه الانتفاع بي في غيبتي، فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبتها عن الأبصار السحاب، وإنّي لأمان لأهل الأرض، كما أنّ النجوم أمانٌ لأهل السماء، فأغلقوا أبواب السؤال عمّا لا يعنيكم، ولا تتكلّفوا علم ما قد كُفيتم، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج فإنّ ذلك فرجكم»[٢].

مناقشة التساؤلات:

اعتراضنا على المقالة الأولى:

أ ـ أنّه استعمل كلماتٍ ليس من المناسب استعمالها مع بطل الإسلام مسلم رضوان الله تعالى عليه، بل قد يُعدّ في استعمالها نوع إهانة لشخصه الكريم مثل: راهن، تذرّعه.

ب ـ صياغة بعض الجمل بشكل تؤدّي معنىً غير مناسب بحقّ مسلم وإن لم يكن هذا في آحاد الكلمات المستعملة في الجملة مثل (إحباط مجهودات الحسين، تعريضهم لأسوأ عملية غدر).

ج ـ يظهر من خلال كلام الكاتب أنّه يحكم على مسلم رضي الله عنه من خلال النتائج الحاصلة عن حركته، والأمور لا تُقاس بنتائجها عند الحكم على

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٠١.

(٢) الاحتجاج للشيخ الطبرسي: ج٢، ص٥٤٤.

قادتها ومسيّري دفّتها.

إذ على المرء أن يعمل بتكليفه الشرعي أوّلاً، وبحسب معطيات الحالة التي أمامه، وبحسب إمكانياته، كلّ هذا مشفوعٌ بقدرته وكفاءته وإخلاصه، وأمّا النتائج فلا يستطيع امرؤٌ ـ غير المعصوم عليه السلام ـ من استكشافها.

ومسلم قام بضبط حركته على وفق إمكانياته وبعد دراسة الواقع الخارجي ضبطاً جيّداً ثمّ حصل ما لم يكن بالحسبان، وفلت الزمام، فما وجه الملامة عليه؟

ومن يُعِدْ قراءة خارطة الأحداث ويدرس الأوضاع بتأمّل يرَ ويطمئن إلى أنّ مسلماً أدّى ما عليه واقعاً ولو كان أيّ أحدٍ مكانه ـ باستثناء المعصوم ـ لما صنع أكثر ممّا صنعه مسلم، ويؤيّد هذا بعدم ورود أيّة رواية مهما كان ضعفها في نسبة شائبة تقصير إلى مسلم.

أمّا أنّه لم يعتمد خطّة دقيقة للمحافظة على تماسك أنصاره: فما الداعي إلى خطّة للمحافظة على أنصار كاتبوا الإمام السبط لأكثر من عشر سنوات معاهديه على النصرة ومستغيثين به، ومؤكّدين مواثيقهم وعهودهم بما لا يقبل النقض على أنّ البلاء الذي يستغيثون منه هو ما أحاط بهم لا بأهل البيت بالخصوص ومن السلطة الأموية الكافرة نفسها، وقد أرسلوا زعماءهم وخاصّتهم إلى حيث مقرّ الإمام في المدينة حاملين للرسائل ومؤكّدين لصحّة مضامينها، ثمّ أرسل الإمام إليهم مسلماً يستطلع الأوضاع فرأى الحال كما كُتِبَ للإمام وأكثر، ومن بَعْدُ أخذ مسلم عليهم البيعة فأعطوها والسلطة قائمة والوالي الأموي يحكم الكوفة فما توقّفوا ولا تهيّبوا، ثمّ إنّه جرّد منهم آلافاً زوّدهم بالسلاح وأحاط بهم مقرّه

ككتائب خاصّة، وارتكز مسلم في وجوده إلى أعظم الزعماء من رجالات الكوفة، إذ استقرّ أوّلاً في دار المختار، ثمّ تحوّل مستتراً إلى دار هانئ والثاني منهما أمره نافذ عند آلاف الفرسان يطيعونه على كلّ حال لبواعث قبليّة، فأيّ خطّة مع هذا الإحكام كلّه؟!

د ــ وحول:

(١) رفض مسلم لاغتيال ابن زياد.

(٢) وأنّه قد تذرّع بالقيم والمبادئ.

(٣) ووضع المعروف في غير أهله.

(٤) وأضرّ بنفسه ومهّد لنهايته المأساوية.

(٥) وأحبط مجهودات الحسين وأصحابه وعرّضهم لأسوأ عملية غدر.

وختم الكاتب كلامه: بأنّ المواجهات العنيفة والمصيرية لا تحتمل أيّ منهج مثالي، والشجاعة وحدها لم تكن لتكفي،ــ انتهى مجمل كلامه ــ

فلا ينقضي عجبي من طرح الكاتب، صياغةً وفكرة، أمّا الصياغة فواضح عليها الإساءة وعدم التأمّل في كيفيّة اختيار الكلمات، وكيفيّة صياغة الجمل، بالطريقة الأنسب التي فيها إيضاح الفكرة بدون الخروج عن موازين البحث والدراسات العلمية.

كيف يُعبّر عن بيان مسلم ــ رضوان الله تعالى عليه ــ للسبب الذي دعاه إلى التوقّف في الفتك بابن زياد بأنّه تذرّعٌ.

أفكان مسلم يتهرّب من مخاطبيه ويفتعل لهم الحجج، بدون أن يكون فيها بيّنةٌ ووجهٌ شرعي صحيح يقتضي التوقّف عن اغتيال ابن زياد والفتك به.

المسألة ليست مسألة معروف يوضع في أهله أو غير أهله، بل هناك حكم شرعي تضمّنه حديث ثابت صدوره عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فمع صدوره وثبوت الحكم في هذا المورد لابدّ من التنفيذ، وأمّا أنّ المستقبل كذا وكذا، فمن يدري ما يُخبئه المستقبل وعلى أيّة قاعدة نسير وتحت أيّة ضوابط حتّى تكون أعمالنا محقّقة لآمالنا المستقبلية، وعلى الكاتب أن يجيب على هذا السؤال!

إنّ الفرق بين الإنسان المؤمن بالإسلام والمؤمن بالآخرة وبالحساب والعقاب وبين غيره هو عين ما صنعه مسلم، وما يصنعه ابن زياد.

فمسلم يُلاحظ في حركته مراعاة الضوابط الشرعية والتحرّك على وفق الأمر الإلهي والانتهاء عند نهيه، والالتزام بالقواعد والمبادئ والمُثل الشرعية، ونتائج العمل إنّما تتحدّد بحسب حصول تمام العلل التي لها مدخلية بالعمل، فإذا اختلّت علّة امتنعت النتيجة، ومسلم قام بما ينبغي منه، والخلل في غيره، وليست نهاية الدرب هنا بل هناك موت وعذاب قبر وقيامة، وعذاب الأبد ـ جهنّم ـ إضافة إلى ما لا يُحصى من أنواع العقوبات والعذابات التي يلاقيها العاصي في مسيرته الوجودية، ولم يُطلب من مسلم إنجاح القضيّة على كلّ حال وكيف اتّفق بل العمل بالميزان الشرعي بحسب متطلّبات الحالة، والباقي أمره بيد الله سبحانه وكلّ من يدّعي غير هذا فليتجنّب الآثار السيّئة لسلوكه الحياتي.

﴿...وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ...﴾[1].

مسلم يعمل ضمن قوانين الدين وموازينه، وكلّ من على نهج محمّدٍ وآل محمّد حقيقة فهم على خطّ مسلم وطريق مسلم ومنهاج مسلم يسيّرون دفّة حياتهم ويبنون لآخرتهم.

ومن العجيب قوله: إنّ المواجهات العنيفة والمصيرية لا تحتمل أيّ منهج مثالي.

فلِمَ نقاتلهم إذن؟ نقاتلهم لتطبيق أحكام الإسلام وتنفيذ أوامر الله وعلى هذا اختلفنا معهم وجاء مسلم ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فما هو المعروف والمنكر؟

هما ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ربّه جلّ وعلا من أوامر ونواهٍ فإذا خالفها مسلم فما الفرق بين المنهجين يا تُرى؟

أوليس قد ترك أمير المؤمنين ـ من قبل ـ ابن ملجم وهو يعلم أنّه قاتله؟ بل ذكر هذا لبعض المقرّبين منه.

أو ليس كلّ المنافقين الذين دخلوا في الإسلام خوفاً أو طمعاً ومنهم أبو سفيان ومعاوية كان بسماحٍ من النبيّ وبِغَضٍّ منه وهم الذين فعلوا الأفاعيل بالإسلام وبذرّية النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فلِمَ سمح لهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الفرصة؟

ساحة الحياة الدنيا، ساحة اختبار وكشف لمعادن الناس وفيها يتبيّن ويتميّز

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.

التبر من التراب، والحرب سجال بين الحقّ والباطل منذ آدم عليه السلام إلى يوم الناس هذا وحتّى ظهور منقذ البشرية، فتحليل قضيّة مسلم وحركته، بهذا اللون من البيان فيه جناية على مسلم وعلى رمز من رموز الإسلام وحركة عظيمة الشأن تميّزت فيها الأشياء، ووضع من خلالها النقاط على الحروف، وأوجدت منعطفاً جديداً في حياة الأمة من جهة، وفي حياة قادتها الربّانيّين من جهة أخرى؛ إذ دخلت الأمّة في التيه ولم تخرج بعد منه، وبدأ الأئمّة عليهم الصلاة والسلام نهجاً ثابتاً في إدارة شأن الأمّة وفي إدارة الصراع مع الطواغيت.

علي الوردي:

ومنطق علي الوردي أعجب.

أ ـ فهو يحكم على المقدّمات بحسب نتائجها وقد تقدّم منّا الجواب عن هذه الفقرة.

ب ـ ويظهر من كلامه أنّه لم يدرس قضيّة مسلم بشكل جيّد بل سمع خطبةً أو قرأ نصّاً وكفى وإلاّ فمتابعة أطراف الموضوع لا تقتضي أن يحكم عليه بأنّه ألقى نفسه في التهلكة وأنّه لا يهتمّ لنجاح الحركة بل يهتم لنيل الشهادة فقط.

ج ـ إنّه لا يهتمّ ـ عند تحليله للحدث ولتحرّك مسلم ـ للموازين الشرعية ومقدار تأثيرها في فكر مسلم وسلوكه، بل يقيس عمله بما يقيس به غالب الناس أعمالهم، خصوصاً في زماننا هذا، أي بملاحظة حسابات الربح والخسارة الآنيّة العاجلة.

د ـ يقول: فَهُم يثورون ولا يتّخذون في ثوراتهم سبيل النجاح، وواضح من

التأمّل في كلام الوردي، مدى ضحالة تحليله، وجنايته على مسلم وجهوده، فلو قرأ السيرة وتابع مصادرها وتأمّل فيها لعرف أنّ مسلماً قد أتقن غاية الإتقان عمله في الكوفة وسعى لسدّ كلّ ثغرة، وجدّ في أمره، غير أنّ انهيار الكوفيّين وانسحابهم عنه مع عدم وجود خطر يتهدّدهم فعلاً والحركة ناجحة مائة بالمائة لو استمرّت في إمكانياتها المتوفّرة حتّى مجيء الإمام السبط والتحاق الآلاف التي جاءت معه من مكّة بالحركة والتحاق بقيّة الكوفيّين والتحاق جيش البصرة ــ والذي كان في طريقه إلى الكوفة ــ وإعلان ابن الزبير حركته في مكّة وأهل المدينة في المدينة وغيرها من الأمور التي كانت مهيأة أو متوفّرة، لكن ما ليس بالحسبان قد وقع، وفلت الزمام سريعاً، والسبب الوحيد: الإشاعات والأراجيف فلا واقع يتهدّد الكوفيين.

ويتّضح من هذا إسفاف الوردي في قوله ـ إنّهم ألقوا بأنفسهم إلى التهلكة ـ ولو عرف مورد الآية وسبب نزولها ومجال تطبيقها لما استشهد بها.

وقوله: كُتب عليهم الفشل في كلّ سبيل سلكوه إلاّ سبيل الشهادة؛ فإنّي أجيبه أنّ من يُجاهد ويضحّي في سبيل دين تعداد نفوس أتباعه اليوم مليار ونصف من البشر فإنّه لم يكتبْ عليه الفشل في كلّ ما سلكه، ومن يعمل ويبلغ أتباع مذهبه وشيعته قرابة المائتي مليون فلم يكتب عليه الفشل ومن فكرهم وحديثهم ينتشر يوماً بعد يوم في كلّ جهات المعمورة حتّى في أقصى أراضيها فإنّه لم يكتب عليه الفشل ولم يُلقِ بنفسه في التهلكة، وإنّما الذي ألقى نفسه في التهلكة من باع دينه وآخرته بمتاع أيّامٍ قلائل ثمّ مات وتبرّأ منه حتّى أهل ملّته

ولاسيما قومه، ثمّ لا أثر لقبره، ولا مأثرة له يُذكر بها إلاّ الخزايا والفضائح.

نحن نفخر بمنهج مسلم الذي هو منهج الإسلام الأصيل، والذي يحوي ضوابط وحدوداً على المرء ألاّ يتعدّاها فهناك ما يجوز فعله دائماً، وهناك ما يجوز في الضرورات، وهناك ما لا يجوز أبداً، كما أنّ الضرورات لها قانونها أيضاً، فلا تجوز كلّ ضرورة وضمن مساحةٍ مطلقة.

حجر بن عديّ خيّره معاوية بين سبّ عليٍّ عليه السلام أو ذبحه وذبح ولديه فاختار الذبح لنفسه ولولديه ولم يسبّ عليّاً فهل أنّ حجراً ألقى نفسه في التهلكة ولم يتّخذ في عمله سبيل النجاح.

الإسلام والإيمان تشيّد بدم عليّ والحسين صلوات الله عليهما وبدم مسلم ودم حجر وولديه وكلّ من جاهد وأخلص والتزم بحدود الشريعة وضوابطها والنصر من الله سبحانه، وإلاّ فمحمّد وآل محمّد من أقدر الناس على تحقيق ما يأملون لصلتهم بالله سبحانه لكنّ طريق النصر لا يمرّ عبر هذه الطرق وأمثالها.

مناقشة المقالة الثالثة:

ونلمس في هذه المقالة نفس اللهجة عند التحدّث عن المعصوم عليه السلام وعن مسلم رضي الله عنه ونفس التوجّه الفكري عند تحليل الأحداث، وكلّها ممّا لا ترقى إلى مستوى الحدث العظيم، ولا تستند إلى الأساس العقائدي المطلوب توفّره قبل التعامل مع النصوص، ولنبيّن مفصّلاً:

أ ـ إنّ اختيار الإمام لمسلم لم يكن موفقا ـ:

لقد تحدّثنا عن هذه المسألة في فصل ـ اختيار الإمام لمسلم ـ بل في ثنايا

مجموعة من الفصول، ونقول أيضاً: إنّ اختيار الإمام الحسين عليه السلام بحكم معصوميّته وعدم إمكانيّة خطئه لدلالة نصوص كثيرة على هذا مرويّة في كتب الشيعة والسُنّة ومن أهمّها حديث الثقلين، وحديث السفينة، قائم على قواعد صحيحة ومقتضيات الحكمة ولا شكّ، بل في خصوص قضيّة مسلم فإنّ اختيار الإمام له قائم على ما تقدّم وعلى واقعيّة كون مسلم: الرجل المناسب في الموقع المناسب، وقد دلّ تسلسل الأحداث على صحّة هذا الرأي؛ إذ إنّ مسلماً أتّخذ في عموم ما مرّ به من أحداث، الموقف الصحيح، وهذا الموقف إمّا تقتضيه المصلحة مع عدم مخالفته لحكم شرعيّ، وأمّا موقف مطلوب شرعاً كعدم فتكه بابن زياد وهو إنسان متديّن جاء إلى الكوفة ليقيم قواعد الإسلام والإيمان فإذا فعل ما نهى عنه الله سبحانه فقد وقع في نفس المحذور الذي يُحاربه وهو فعل المنكرات ومخالفة أحكام الشريعة، وهو تلميذ علي بن أبي طالب والحسن والحسين، وسيرة هؤلاء الأئمّة الثلاثة عليهم السلام مفعمة بأمثال هذه المواقف والأحداث التي اختاروا فيها رضا الله سبحانه على فوزٍ معجّل يحصل بطرق غير سليمة وغير مقبولة ويقتضيها الغدر، أمّا النتائج فالتوفيق بيد الله سبحانه، وسيّد الشهداء عليه السلام يقول للفرزدق ــ وهو في طريقه إلى العراق ــ إن نزل القضاء بما نحبّ فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجال فلم يتعدّ من كان الحقّ نيّته، والتقوى سريرته.

فليس الباعث لمسلم على التوقّف في اتخاذ بعض القرارات أو التمهّل فيها هو ضعف القلب بل التديّن والحكمة، وليس ضعيف القلب من يقدم على مثل

هذه الأمور، وينجح في جزء كبير منها، ومن يُقاتل المئات وهو فرد وحيد غريب.

نعم، المؤامرة ضخمة، والدولة دموية، والوالي من أمكر الولاة وأشرسهم، وأكثر الناس غَدَرَةٌ خَذَلَة.

أمّا عدم اختيار الإمام لغيره فإنّ هذه مسألة دليلها معها، إذ من اختيار الإمام له نستكشف أفضليّته على غيره ـ بحكم معصوميّة الإمام عليه السلام المقطوع بها ـ.

على أنّ محمّد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر كانا مريضين، وابن عبّاس كان بصيراً ـ أعمى ـ وليس المطلوب توفّر شرطٍ واحدٍ في المبعوث لهذه المهمّة المصيرية بل شروط، منها التديّن والإيمان والحكمة والشجاعة والعلم بالأحكام ونحوها من الشروط اللاّزم توفرها لينجح السفير في تحقيق الهدف الذي يريده الإمام المعصوم ـ الحسين عليه السلام ـ

ولعلّ أهم شرط في هذه القضية إمكانية انصياع الناس له، وكذلك اعتقاده بإمامة الحسين واستحقاقه لمقام الخلافة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكلّ هذه الشروط وغيرها كانت متوفّرة في مسلم، ولعلّ بعضها لم يكن متوفّراً في غيره فلا يصلح لهذه المهمّة وإن صَلُحَ لغيرها.

وأمّا عدم اختيار الإمام لغيره من شيوخ بني هاشم من جهة عدم موافقتهم فهذا الرأي تبرّع من الكاتب إذ لم يرد ـ تاريخياً ـ أنّ الإمام عرض هذه المهمّة على أحدٍ من بني هاشم فرفض، نعم هم أشاروا عليه بعدم التوجّه إلى الكوفة لكنّ هذا شيء وامتناعهم عن الذهاب مع طلب الإمام منهم شيء آخر فدعوى الكاتب لم تقم على دليل بيِّن.

ثمّ أيّ غضاضةٍ في أنّ بني هاشم كانوا شباباً فهم شبابيّتهم مانعة من اختيارهم لهذه المهمّات وهذا علي بن أبي طالب عيّنه رسول الله ـ بأمرٍ من الله تعالى ـ خليفة على كلّ المسلمين من بعده ووصيّاً له وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة أي بقدر عمر أبي الفضل العبّاس رضي الله عنه والذي كان عمره في معركة الطفّ أربعاً وثلاثين سنة.

أمّا مسلم فكان في الخامسة والأربعين[1]، وهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عيّن أسامة بن زيد وعمره سبعة عشر عاماً قائداً لأعظم جيشٍ إسلامي ـ في العدد والهدف إذ المقرّر توجههم لمحاربة الدولة البيزنطيّة ـ وقد جمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الجيش معظم المسلمين بما فيهم أبو بكر وعمر.

نعم استثنى عليّا صلوات الله عليه، وقد طعن بعض الصحابة ـ العدول جدّاً ـ في تأمير أسامة ـ مع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عيّنه وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى بنصّ القرآن العزيز ـ إلاّ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم زكّاه من هذه الناحية وأصرّ على أمره المقدّس[2].

وهؤلاء حكّام العالم ـ قديماً وحديثاً ـ فيهم من هو في العشرين ومن هو في الثلاثين وهكذا وقد أداروا دولهم وسكتت الناس عنهم، فَلِمَ تتحرّك الألسنة

---

(١) في تنقيح المقال للشيخ المامقاني أن عمر مسلم في ذلك الوقت كان ثمانياً وعشرين سنة، راجع التنقيح: ج٣، ص٢١٤.

(٢) راجع لهذه القضية: النص والاجتهاد للسيد شرف الدين: ص٣١، فقد نقل هذه القضية عن مصادر العامّة فشكر الله سعيه ونوّر ضريحه.

ضدّ خصص بني هاشم الذين تلقّوا عقائدهم ودينهم عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والوصي وسيّدي شباب أهل الجنة عليهم السلام، زعماء الأمّة كلّها وقادتها رغماً عن الكلّ بالنصوص الموجودة في كتب الكلّ.

ثم مع التسليم بكون عمر مسلمٍ ثمانياً وعشرين سنة فهو غير مؤثر بتاتاً؛ إذ إنّه حين وصل إلى الكوفة استقبله أهلها واخبتوا له وبايعه منهم ثمانية عشر ألفاً، واستمرّوا على هذا الحال حتى ورد ابن زياد الكوفة وبدأت الأمور تنتكس.

وأمّا عدم قتله لابن زياد فقد بحثنا هذا مفصّلا في فصل خاصّ وبيّنا دواعيه الدينية ـــ للحديث النبوي ـــ أو الاجتماعية، عند طلب هانئ وزوجته، وهم أصحاب الدار التي يسكنها مسلم.

وأمّا أنّ مسلماً لم يكن مقتنعاً بما اسند إليه: فإنّ المرء إذا كان متديّناً فعليه تأدية تكاليفه الدينية سواءٌ أقتنع بها أم لا، خصوصاً إذا كان الأمر صادراً من المعصوم مباشرةً، وموجّهاً إليه بالخصوص، كما هو الحال في قضيّة مسلم، ومسلمٌ متديّن، وقد قام بما عُهد إليه خير قيام ـ رضوان الله تعالى عليه وجزاه عن الأمّة كلّها خيرا ـــ وأظهر أشدّ الحرص على إتمامه للمهمّة وفقاً لتوجيهات الإمام وللأحكام الشرعية عموماً، ولم يصدر منه ما هو خلاف الشرع أو ما يُستنكر عليه، ونتائج الأعمال بيد الله سبحانه، وقد حارب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بأحُد وانكسر جيشه، كما حارب بحنين وانهزم جُنده والملامة في الموردين على المنهزمين والمتخاذلين، وما يلحق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الملامة شيء.

والحال في مسلم كذلك فهو وإن لم يكن معصوماً إلاّ أنّه لم يُخطئ في خطوةٍ ولو كان أيّ أحدٍ من المؤمنين الخُلّص مكانه لما فعل في كلّ حدث إلاّ ما صنعه مسلم؛ إذ تصرّفه هو التصرّف الأحسن في وقته ومن يدّعِ غير هذا فليدفع عن نفسه الآثار السيئة لأعماله.

﴿...وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ...﴾[1].

ثمّ إنّ اعتراف الباحث بما ذكرناه في ذيل كلامه دليل على عدم صحّة بعض استنتاجاته المتقدّمة.

وأخيراً أقول: الرجاء ممّن يكتب أو يتحدّث عن قادة الأمّة ـ ولم يكن له غرض سيّئ يدفعه إلى هذا النحو من التحليل ـ فليتّق الله ربّه، وليخف يوم الحساب، وليتأكّد من صحّة أدلّته ووجاهة تحليلاته.

﴿...فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾[2].

وقال تعالى:

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾[3].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٦.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٥٦.

اختيار الإمام لمسلم

من جملة ما يمكن طرحه من تساؤلات في إطار قضيّة مسلم رضي الله عنه هو وجه اختيار الإمام له من بين أهل بيته، ودون اختياره لوجه من وجوه الشيعة ممّن له وجاهة وسابقة في صحبة أو جهاد، والجواب عن هذا التساؤل من خلال حيثيّات:

فيمكن إثبات صلاحيته للمنصب الذي اختاره لأجله الإمام المعصوم عليه السلام، من خلال نفس عملية الاختيار مع ملاحظة الظرف الذي يُحيط بالحسين عليه السلام وقضيّته.

مرّةً، يكون اختيار الإمام شخصاً لمهمّةٍ لا لغرض تحقيق تلك المهمّة وذلك الهدف، بل لأجل غرضٍ آخر يبغيه من خلال هذا التعيين كما ثبت عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه عيّن بعض الصحابة لمهمّات، ولقيادة جيوش ثمّ عزلهم قبل التنفيذ أو ظهر فشلهم الفظيع في أداء تلك المهمّات فإنّ الواضح من خلال هذا، أنّ الهدف من التعيين لم يكن لتحقيق ذلك الهدف وإنّما لبيان أنّ هؤلاء لا يصلحون لشيء لقصور قابلياتهم وذاتياتهم عن إمكانية الاعتماد عليهم لشيء.

وقضيّة مسلم لم تكن من هذا القبيل قطعاً، لأنّ الظرف لم يكن ظرف اختبار لكون المرحلة مصيرية في حياة الإسلام والتشيّع والأمّة.

ولأنّه لا أثر لكشف عدم قابلية مسلم القيادية لعدم ترتّب أثر مستقبلي على هذا الكشف، فمن كلّفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتبليغ سورة براءة ـ مثلاً ـ وأرجعه قبل أدائه المهمّة، اتّضح حقيقة حاله من خلال الأمر بعزله؛ إذ من لم تكن فيه الجدارة لتبليغ آيات، كيف يؤتمن على الإسلام والأمّة ككلّ، بل كفاءة فيه لهذا بالأولوية.

وكان في هذا الإيضاح فائدة، لأنّ هؤلاء المعزولين قادوا العالم الإسلامي فيما بعد ورضي بهم بعض الأمة وتلك الحادثة ـ حادثة العزل ـ حجّة عليهم.

ومرّة أخرى: يكون التعيين لأجل تحقيق تلك المهمّة وليس من وراء التعيين أيّ هدف امتحاني للأمّة، أو للمعيّن، فلابدّ أن يكون الشخص المعيّن جامعاً للصفات التي يمكن تحقيق ذلك الهدف من خلال تعيينه مع توفّر هذه الصفات فيه.

فإن عُيِّنَ لتحقيق هدف اقتصادي فلابدّ أن تكون له خبرة واسعة في هذا الميدان وأن تكون له عقلية اقتصادية بحيث يمكن تحقيق الأهداف السامية للأمة في الحقل الاقتصادي.

وإن عُيّن في الحقل السياسي فلابدّ أن يكون جديراً بتحمّل هذه المسؤولية وله من الكفاءات في هذا الميدان ما يُرجى تذليل الصعاب به وهكذا إن عُيّن في الجانب العسكري، أو الاجتماعي، أو التربوي.

وخلاصة القول: إنّه لابدّ أن يكون حائزاً ــ في الأقلّ ــ على الكفاءات المطلوبة في الميدان المعيّن فيه وإن لم يكن هو أفضل الناس من كلّ جانب، وهذا الرأي يلتزمه السيّد الخوئي رحمه الله في أبحاثه الرجالية حيث يبحث دلالة توكيل الإمام لرجل في مهمّة معيّنة فهل التوكيل دالّ على جلالته ورفعة شأنه، أو وثاقته ــ في الأقلّ ــ أم لا تدلّ الوكالة على شيء من هذا بل غاية ما تدلّ عليه كفاءته في المهمّة المعيّن لها، ولهذا المُلتزم شواهد عديدة، والمختار عنده هو الدلالة على ما لابدّ من توفّره فيه لأجل أدائه المهمّة الملقاة على عاتقه غير أنّ دلالة تنصيب مسلم لهذه المهمّة لها شأن آخر مختلف تماماً عن الحيثيتين المتقدّمتين[1].

فخصوصيّة قضيّة سيّد الشهداء عليه السلام وظرفه لا تسمحان أبداً باختيار مبعوثٍ وفقاً لإحدى تينك الحيثيتين، بل لابدّ من توفّر صفات عالية فريدة في المكلّف لهذه المهمّة.

أمّا اختياره من بين بني هاشم، فإنّ جمعاً من هذه العائلة المباركة كانت تعوقه أسبابه الخاصّة عن دخوله في حيّز إمكانية اختياره.

فمن بين شيبةٍ فاقد للبصر كابن عبّاس، أو مريض كمحمّد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر، أو صغير السنّ لا تكاد تنصاع له الأمّة وتلقي بزمامها بين يديه ومنهم من لا يحمل تلك العقيدة الإيمانية المطلوبة للتعامل مع الإمام الحسين كإمام معصوم خليفة لرسول الله بتنصيب من الله سبحانه فهو واجب الطاعة مطلقاً ــ

(١) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ج١، ص٧٥؛ وراجع بحوث في فقه الرجال وهو محاضرات للسيد علي الفاني الاصفهاني: ص١٣٦، حول الوكالة في الأمور المهمّة والخطيرة.

والموقف يتطلّب من يحمل بين جوانحه هذا المعتقد بمرتبةٍ عالية ـ كما أنّ هناك من فيه خصوصية تقتضي إبقاءه مع الإمام كأبي الفضل العبّاس.

وأمّا اختياره دون الصحابة والوجهاء فإنّ مسلماً من البيت الهاشمي وكلّما كان المندوب من سلالة هذا البيت الطاهر، كان تأثيره في تحقيق الهدف أسرع وأوقع وقد عرفنا كم من ثورة وقعت عبر التاريخ وهزّت عروش الطواغيت من زمن بني أميّة إلى يومنا هذا، كان من أسباب قوّة تأثيرها كون قائدها سيّداً منتسباً للبيت الهاشمي، وممّا عاصرناه الثورة الإسلامية في إيران التي قادها الإمام السيّد الخميني رحمه الله، وكان العراقيّون يعبّرون عن الجمهورية الإسلامية الإيرانية بدولة السادة، وكذا تأثير هذا الأمر في الانتفاضة الشعبانية المباركة سنة ١٩٩١م في العراق حيث كان للسادة العراقيّين حضورهم في هذه الانتفاضة وحتّى تيقّنت الحكومة الصدّامية من تأثير هذه الشريحة في الشعب والانتفاضة لدرجة تحدُّث صحافتهم عن هذا الجانب.

وهذا الأمر لا يمكن إنكار آثاره لكثرة شواهده ووضوحه حتّى في مناطق غير الشيعة الإمامية.

والعرب بالخصوص يتفهّمون أمر اختيار المندوب من عائلة المنتدب ويولونه أهمّية أكثر ممّا لو كان المبعوث من غير عائلته ولعلّ الأمر أوسع من دائرة العرب، فإنّ عموم المجتمعات تندفع لاحترام من ينتسب إلى من يقدّسونه ويعظّمونه كما يشمئزون ممّن ينتسب إلى من يعادونه ويبغضونه.

نعم، الأوحدي لا يتأثّر بهذا، بل يأخذ بمقاييس الشرع والعقل في هذا الأمر

وسواه ــ وقليل ما هم ــ.

هذا كلّه مع عدم ملاحظة الصفات الخاصّة المتوفّرة في شخص مسلم رضي الله عنه ومع عدم ملاحظة الصفات اللاّزم توفّرها في مبعوث الإمام عليه السلام لهذه القضيّة وفي هذه الظروف بالذات.

فقد دلّ اختيار الإمام المعصوم عليه السلام لمسلم رضي الله عنه لأجل تحمّل أعباء السفارة إلى أهل الكوفة في ذلك الظرف العصيب، على ملكات وخصال عظيمة ونادرة توفّرت في هذا الهاشمي الربّاني، وهذا أيضاً ما فهمه الشيخ محمد حسين الأصفهاني وصاغ فهمه في أبيات جليلة تجدها في أرجوزته[1]، وكذا الذي فهمه الشيخ المامقاني وذكره في تنقيحه[2]، لم تكن خصال مسلم ومزاياه الفريدة لتبرز واضحة ومعلنة عن رفعة صاحبها وجلالته لولا تلك السفارة الميمونة، على الرغم من كثرة بني هاشم وتوفّرهم بمحضر الإمام عليه السلام وتأهّل جملة منهم لأمثال هذا المقام وللمراتب الرفيعة.

فالسفارة في ذلك الظرف العصيب من عمر الإسلام والأمّة وأهل البيت من أصعب المهام وأعسرها لاسيما إلى ذلك المجتمع الكوفي الذي عانى أمير المؤمنين عليه السلام منه الكثير؛ إذ جاهد عليه السلام لنيل طواعيتهم له، وائتمارهم بأوامره ونواهيه، ولترسيخ مكارم الخصال فيهم ومنها التصبّر على القتال والجلاد.

ولطالما اشتكى أمير المؤمنين عليه السلام تكاسلهم وتقاعسهم وتواكلهم،

---

(١) الأنوار القدسية: ص١٣٦، وما بعدها.

(٢) تنقيح المقال للشيخ عبد الله المامقاني: ج٣، ص٢١٤.

وهو مَنْ هُوَ في الصبر والحلم وسعة الصدر.

وأدّى التواكل والتمرّد المتواصل لأهل الكوفة على أوامر الإمام الوصي إلى أسوأ النتائج وأفدح الخسائر حتّى قال لهم الإمام عليه السلام:

«أفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان حتّى لقد قالت قريش: إنّ ابن أبي طالب رجلٌ شجاع ولكن لا علم له بالحرب، لله أبوهم، وهل أحدٌ منهم أشدّ لها مِراساً وأقدم فيها مقاماً منّي، لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنا ذا قد ذرّفت على الستّين ولكن لا رأي لمن لا يُطاع»[1].

وورد فيهم غير هذا كثير، بل اشتهر عنهم الغدر والخذلان فكم من حركة ثورية اعتمد قائدها على نصرة أهل الكوفة وإسنادهم فبايعوه وأعطوه العهد والميثاق ثمّ غدروا به وخذلوه وفرّوا إلى مأمنهم أو أسندوا عدوّه في مكافحته.

مثل هذه البلدة تحتاج لسفير وقائد ذي خصائص استثنائية، يتمكّن ممّا لا يتمكّن منه غيره بما يمتلكه من سعة صدر وبُعد نظر ومعرفة بطبائع المجتمع ويمتلك العلم والحزم إلى غيرها من الصفات المساعدة له في مثل هذه الحالة.

لقد كشف مسار الأحداث فيما بعد أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد اختار الرجل المناسب لهذه المهمّة الشاقّة العسيرة فقد ظهر منه معتقد عظيم بالإمام وإخلاص ونزاهة وتفانٍ في جنب الله سبحانه وفدائية قليلة النظير.

سيرته في الكوفة تدلّ على ديانة عظيمة تؤكّد على أنّها ممّا لا مثيل لها في تلك الأيام وفي مثل ذلك الظرف مكاناً وزماناً.

---

(١) نهج البلاغة للسيد الرضي: الخطبة ٢٧.

ومع أنّ الظاهر من بعض المصادر، أنّ تكليف الإمام له مقتصر على استعلام الموقف الحقيقي للكوفيّين والكتابة إلى الإمام عليه السلام بصورة ذلك الواقع مع أخذ البيعة منهم للإمام، ويعجّل.

غير أنّه لم يتوقّف عند حدود هذا التكليف بل مضى أبعد من هذا بكثير بما أدّى به من تكليف كمؤمن يشعر بالمسؤولية تجاه الأحداث الجسام الجارية في هذا البلد، ويسعى في إبراء ذمته أمام المولى سبحانه وينصح لإمامه جُهْدَه، كما قام بالتصدّي لما يصطلح عليه في زماننا بالأمور الحسبيّة وهي الأمور التي تتطلّب موقفاً محدّداً غير أنّه لم يُعلم توجّه التكليف به إلى شخص ما فإنّ مسلماً سعى بكلّ جهده ليكون في مستوى الحدث فهو يدفع بالأمور إلى اتجاه المحافظة على الوضع الذي يهيئ الأجواء للإمام ويُنجح له سعيه، أمّا أنّ بعض سعيه لم تتحقّق به النتائج فهذا شيء لا يعود ملامته عليه فالمرء عليه أداء تكليفه وليس عليه استحصال النتائج الملائمة فإنّ النتيجة تتحقّق تبعاً لتحقّق أجزاء العلّة كلّها والجزء الذي أمره بيد مسلم قد حصل وبقي ما على غيره والآخرون نكلوا وخذلوا.

الواقع أنّه لم يمكن أمامه أن يفعل أكثر ممّا قام به وأنجزه وقد أدّى ما عليه، وليس على المرء أن يوفّق في مسعاه ويحقّق بل عليه السعي النزيه في حدود تكليفه وقدراته، والنجاح إنّما يتنجّز بمطاولة وتحقّق بقيّة الأسباب، ومنها: وفاء أهل الكوفة بوعودهم وصدقتهم فيما عاهدوا الإمام ومسلماً عليه، ولو حصل هذا لكنّا اليوم نعيش في كنف دول آل محمّد، استمراراً لحال أجدادنا، وستؤول منّا إلى أبنائنا.

ما ظهر من مسلم ضمن دائرة أحداث الطفّ من سلوك دلّ على ديانة وورع، دلّ على التزام بأحكام الإسلام مهما كانت النتائج ولعلّ من أعظم الشواهد على ذلك توقّفه عن قتل ابن زياد مع شدّة حاجة القضية الحسينية إلى التخلّص من هذا الشخص الذي لا يحوي إهابه غير الخسّة والجريمة والإلحاد.

وقد أضحى مسلم بسلوكه هذا مصداقاً لقول عمّه أمير المؤمنين عليه السلام):

«قد يرى الحُوّل القلّب وجه الحيلة ودونها مانع من أمر الله ونهيه فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين»[١].

الإسلام يريد القائد الكفوء للمهمّة التي يُكلَّف بها فضلاً عن ديانته وتقواه وبذا قامت دولة الإسلام المرضيّة.

كفاءة وديانة.

وهما متوفّرتان بنسبةٍ عالية جدّاً في مسلم، فضلاً على صفات أخرى يعزّ اجتماعها في واحد قد اجتمعت في مسلم.

أمّا النجاح في المهمّة فهو موكول إلى الربّ الجليل.

---

(١) نهج البلاغة للسيد الرضي: الخطبة ١٤.

مسلم يُعلن هدف الثورة الحسينية

قال مسلم بن عقيل رائد الشهادة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام العظمى، جواباً لابن زياد لمّا سأله عن علّة مجيئه للكوفة وبعدما اتّهمه بتشتيت أمر أهلها وتفريق كلمتهم:

(ما لهذا أتيت، ولكنّكم أظهرتم المنكر، ودفنتم المعروف، وتأمّرتم على الناس بغير رضىً منهم وحملتموهم على غير ما أمركم به الله وعملتم فيهم بأعمال كسرى وقيصر فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف وننهى عن المنكر وندعوهم إلى حكم الكتاب والسُنّة، وكنّا أهل ذلك كما أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله)[1].

هكذا لخّص مسلم قضية الحسين، ومشكلة الأمّة، في مقرّ الحكم، أمام الطاغية، وجهاز حكمه، وقادة جنده.

نحن نريد الإسلام، نريد تطبيق القرآن، لم نَهْدِم مُلك كِسرى وقيصر، ليظهر من المجتمع الإسلامي كسرى وقيصر.

---

(١) الملهوف للسيد ابن طاوس: ص١٢٢.

نريد الإسلام والقرآن، وتحكيم إرادة الله سبحانه وتشريعاته في الأرض والناس عبيدٌ لله، عليهم إطاعة الله سبحانه والانصياع لأوامره مطلقاً، وعلى الآخرين استحصال رضا الأمّة في الأمور التي يرجع أمر الاختيار فيها إليها، ومن يتمرّد، يُنهَ ويُدافع، وأحقّ من قام بالأمر والنهي، ذريّة رسول الله، وحَمَلة علمه، وأولياء الأمور بعده، وأعمل الناس بشريعته، من هم مهوى الأفئدة، وملجأ المستغيث، وقد ضجّت إليهم الأمّة وعجّت، إذ طال عليها ليلها، وآن الأوان لإيقاف الانهيار والدمار.

لقد واجه مسلم الطغاة بشجاعة مكتسبة عن أهل البيت النبويّ، واجههم وبينه وبين الموت شعرة، لم يخنع، ولم يتنازل، ولم يعتذر، بل صرّح بالظلامة أمامهم ونقل إليهم موقف أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

بِمَ أجاب ابن زياد مسلماً؟

أ ـ واجهه بالشتيمة والسباب.

ب ـ أوعده أن يقتله قتلةً لم يُقتلها أحد في الإسلام.

ج ـ واجهه بالافتراء وتلويث السمعة وسقط الكلام.

إناءٌ ينضح بما فيه.

لا تجد له كلمة شرف، ولا خصلة كريمة، ولا تصرّف ينمّ عن طهارة ذات، واستقامة فكر، وانتماء إلى مبدأ شريف.

ما زالت كلّ الأمم تعظّم أهل بيت قائدها وزعيمها وصانع تأريخها وذاتها،

ومَنْ في ساحة الوجود أعظم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي وصل لنا حبلاً بالله سبحانه بجهوده وتضحياته وإخلاصه وجعل دنيانا دار كرامة قبل أخرانا ونشر فينا الفضائل والكرائم وميّزنا على أمم الأرض بكلّ خصلة حسنة وإلى يوم الناس هذا، ليس من أمّةٍ في الأرض كالأمّة الإسلامية في جوانب حُسنها، وحتّى حينما تدهورت لم تبلغ في مجالات كثيرة ما بلغته الأمم من سقوط.

مَنْ في ساحة الوجود أعظم من رسول الله، فمن أجدر من أهل بيته بالتكريم والتعظيم وبالرعاية والالتفات، إذ هم على نهجه، وحملة لوائه أليس لهم حقّ التعبير عن رأيهم، أليس ـ لمقام تميّزهم ـ لرأيهم تميّز وتقدّم على آراء غيرهم.

آل النبيّ الذين قال صلى الله عليه وآله وسلم في حقّهم:

«إنّي تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، فإن تمسّكتم بهما لن تضلّوا من بعدي»[1].

---

(١) نفحات الأزهار للسيد علي الميلاني: ج١، ص٣٤٧؛ وقد تعرّض لمصادر حديث الثقلين في كتب العامّة جمع منهم السيد علي الميلاني في كتابه نفحات الأزهار حيث خصّص له مجلّداتٍ ثلاثة، والسيد مرتضى الفيروز آبادي في فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج٢، ص٤٣؛ والأميني في الغدير: ج٣، ص١١٨؛ وسلطان الواعظين في ليالي بيشاور: ص١٧٠؛ وقد عدّ محقق الكتاب في هامش: ص١١٥، بعض المصادر السُنّية التي نقلته وهاك أسماءها: مسند أحمد، صحيح مسلم، صحيح الترمذي، المنمّقات لمحمّد البغدادي، الطبقات الكبرى لابن سعد، المطالب العالية لابن مخلّد، إحياء الميّت، الأناقة، البدور السائرة، الدرّ المنثور، سنن الدارمي، حلية الأولياء إلى تمام ٦٦ مصدر وقال في ختام كلامه: هذا قليلٌ من كثير، وذكره سليمان الحنفي القندوزي في ينابيع المودّة: ج١، ص٩٥؛ ونقل مصادره العاميّة أيضاً السيد الخوئي في البيان: ص٥٠١؛ وراجع مائة منقبة لابن شاذان: ص١٤٠.

أهكذا تتعامل ساسة الأمّة معهم، أهكذا تُعرِض الأمّة عنهم وعن أقوالهم وسيرتهم؟!

لقد بلّغ مسلم موقفهم إلى الأمة وإلى السلطة في موقفٍ يُرهب صناديد الرجال، ويُدهشهم.

لقد أدّى مسلم كلّ ما عليه ووفى لإمامه ودينه وأمّته.

فَلَمْ يَقُم هذا القائد الهاشمي العظيم بإبلاغ رسالة الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة وينقل صورة الأوضاع إلى سيّد الشهداء عليه السلام فقط.

لم يحصر نفسه ضمن حدود السفارة المباركة، إذ السفير من يحمل رأياً أو رسالة يبلغها إلى الطرف الثاني، ومن تمامية مهمّته استطلاع رأي الطرف الثاني وموقفه لإبلاغه إلى مُرسله.

لم يقصر مسلم نفسه على هذا العمل، بل قام بمهمّات شاقّة في تلك المنطقة الحسّاسة من نواحي العالم الإسلامي تزخر بمتناقضات المواقف والآراء والأحداث وتعيش تقلّبات مبدئية وعقيدية وسياسية بشكل دائم وسريع بحكم الأحداث الجسام التي تموج بها وتذهل أهلها لتطلّبها الموقف الحازم السريع.

ومسلم فرع من شجرة متجذّرة في وادي المكارم، وباسقة إلى عنان السماء في جميع امتداداتها.

فهو من أبي طالب جدّه العظيم؛ إلى آدم، معروف النسب والمكارم.

ووالده عقيل تاريخه حافل ومشهور.

والأجواء التي تحيط به أجواء النبوّة والإمامة، وأكرِم بها وكفى! فهي دالّة على توفّر كلّ شيم الخير وكلّ موادّ السعادة الأبدية في هذا المحيط.

ولذلك حينما نقرأ سيرته من جهة صفاته الميمونة، نجد دقائق في سيرته تجدّد له رفعةً وتثير فينا غبطةً أنْ اشتملت هذه الشخصية الكريمة على أرفع المكارم ولم تهمل التفاصيل الدقيقة.

وشأن مثل هذه الشخصية ــ دائماً وأبداً ــ التقديس عند سُلاّك الطريق الإلهي، والإهمال عند أهل الدنيا وعبّاد السلطة والوجاهات.

أهداف حركة مسلم

لا ريب أنّ هدف مسلم من حركته ونهضته، هو نفس الهدف من وراء حركة الإمام سيّد الشهداء عليه السلام تقريباً لتبعيّة حركته لحركة الإمام عليه السلام.

ولتوفّر الدواعي لذكر هذه الأهداف هنا نُجمل ذكر بعضها تاركين الاستقصاء والتوسّع لكتابنا حول الثورة الأصل ـ ثورة الإمام الحسين عليه السلام ـ

أ ـ إزاحة بني أميّة على نحو الحصر والتعيين عن سدّة الحكم في الدولة الإسلامية، لخصوصيتهم في ريادة الكفر والكيد للإسلام، ولتجذّر الكفر والشرك في نفوسهم، وهم في العداوة للإسلام وأهله كالنار تحت الرماد، فمتى تتهيّأ لهم الظروف المناسبة يدمرون كلّ شيء ويوهون كلّ بناء، وقد فعلوا كلّ ما وصلت إليه يد قدرتهم من حين تولّيهم السلطة، وقد ابتدأت سلطة بني أمية بتولّي عثمان للخلافة، كما ابتدأت سلطة معاوية بتولّيه لحكم الشام بتنصيب من عمر، وما توقّفوا فيه، فإنّما للعجز عنه أو لعدم الالتفات إليه، وأحد أسباب عجزهم، المواجهة الدموية الهائلة التي واجههم بها الإمام الوصي عليّ أمير المؤمنين وسبطا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسن والحسين عليهم السلام وبقيّة الأئمّة

أيّام خلافتهم ـ السجّاد والباقر والصادق عليهم السلام، وقد سار على نهج هؤلاء الأئمّة وتأثّر بتوجيهاتهم من ذريّتهم وشيعتهم ـ

وهناك من قاوم بني أميّة وإن لم يكن من تيّار أهل البيت إلاّ أنّه تأثّر بنهجهم في كيفيّة إدارة الصراع مع بني أميّة، إذ استوعب الدرس من أهل البيت في أنّ بني أميّة لا يفهمون غير لغة السيف، إذ لا يحملون بين جوانحهم غير فكر الجاهلية وهمومها، وأين هم من أهداف الأنبياء والربّانيّين.

لقد كسر الأئمّة الأبرار ـ الخلفاء الحقّ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ طوق الرعب الذي ضربه بنو أميّة حول الأمّة التي أصابها الهلع والتذبذب والتحيّر، فالأمّة التي حاربت مع النبي على التنزيل، بدأت تحارب مع الوصيّ وخلفائه على التأويل[١]، فالقرآن والكعبة والصلاة وأحكام الإسلام باقية بأسمائها دون محتواها، قد أفرغ آل أميّة تلك الحقائق من الهدف الذي شرّعت لأجله وتركوا الأمّة تحمل اسم الإسلام دون مضمونه.

الأمّة تمرّدت على الأصنام وعلى زعماء مكّة لأجل الله، ثمّ عادت تخنع تحت نفس أولئك الزعماء بنفس الأفكار والمحتوى غير أنّ المظاهر بقيت مظاهر إسلامية.

انظر إلى هذه المحاورة بين معاوية وابن عباس:

يقول معاوية ـ بعد كلام تقدّم منه ـ: فإنّا قد كتبنا في الآفاق ننهى عن ذكر مناقب عليّ وأهل بيته فكُفّ لسانك.

---

(١) راجع مصادر الحديث النبوي في أنّ عليّاً عليه السلام يقاتل على التأويل كما قاتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على التنزيل؛ فضائل الخمسة من الصحاح الستّة للفيروزآبادي: ج٢، ص٣٤٩.

فقال: يا معاوية، أتنهانا عن قراءة القرآن؟

قال: لا.

قال: أفتنهانا عن تأويله؟

قال: نعم.

قال: فنقرؤه ولا نسأل عمّا عنى الله به؟

ثمّ قال ــ ابن عبّاس ــ: فأيّهما أوجب علينا، قراءته أو العمل به؟

قال: العمل به.

قال: فكيف نعمل به ولا نعلم ما عنى الله به؟

قال ــ معاوية ــ: سَلْ عن ذلك من يتأوّل على غير ما تتأوّله أنت وأهل بيتك.

قال: إنّما أنزل الله القرآن على أهل بيتي، أفأسأل عنه آل أبي سفيان؟ يا معاوية، أتنهانا أن نعبد الله بالقرآن بما فيه من حلال وحرام، فإن لم تسأل الأمّة عن ذلك حتّى تعلم تهلك وتختلف.

قال: اقرؤوا القرآن وتأوّلوه ولا ترووا شيئاً ممّا أنزل الله فيكم، وارووا ما سوى ذلك.

قال: فإنّ الله يقول في القرآن:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[1].

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٢.

قال: يا ابن عبّاس، إربع على نفسك، وكُفّ لسانك، وإن كنت لابدّ فاعلاً فليكن ذلك سرّاً، لا يَسْمعه أحدٌ علانية[1].

هذا مثال والأمثلة لا تُعدّ ولا تُحصى على نهج بني أميّة مع الأمّة.

إنّ هدف إزاحة بني أميّة بالخصوص له ما يبرّره؛ لأنّ أيّة فئةٍ تحكم فإنّما تريد الحكم لشهوة الحكم ولنيل المِتع والامتيازات التي يوفّرها لهم، وبنو أميّة يريدون الحكم لهذا وزيادة، والزيادة هي هدم الإسلام وتحطيمه وإزاحة قوانينه من دائرة التنفيذ وإعادتها جاهلية فكراً وسلوكاً مع لزوم الإبقاء على هذه الدولة المترامية الأطراف بل والسعي لتوسعتها، إذ أصبحت هذه الدولة هي الدولة الأموية لا الدولة المحمّدية الإسلامية فهي تحقّق أهداف بني أميّة وتبني أمجادهم وتوفّر الرفاهية لهم ولأولادهم ومن يُحسب عليهم، فكلّ شيء لم يفعله فروع الشجرة الملعونة في القرآن فلأنّهم لم يجدوا ثغرة ينفذوا من خلالها لتحقيقه، وإلاّ فهم لم يتركوا حجراً على حجر في الجملة، والتواريخ المدوّنة في أيّامهم ومن أتباعهم تصرخ بجرائمهم التي لا تُعدّ ولا تنتهي، ولو أردنا تسجيل جرائم معاوية وحده لما تمكّنا من حصرها فكيف بمجموعهم.

٢ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

فإنّ المَلِك الأموي، والولاة الذين يحكمون طبق أوامره وتوجيهاته ويزيدون عليها ـ لأنّهم يعلمون هدفه ورغباته فيسارعون في التزلّف إليه بفعلها وهذه تعدّ بنظرهم فطانة وشطارة ـ قد ملأوا الأرض بالظلم والمفاسد والأفعال

---

(١) الاحتجاج للطبرسي: ج٢، ص٨٢.

المخالفة لنصّ الشريعة وروحها وأهدافها.

أيّ شيءٍ يُريده الإسلام من الحاكم والوالي يتحقّق في عهد بني أميّة أصلاً أو تحقّق لكم لا بمقاييس الشريعة وشروطها نعم تحقّق عكسه.

فالحُكم يُراد لنشر الإسلام، ولتطبيق القرآن والسُنّة، ولحفظ دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم، ولنشر الفضيلة، ولاستتباب الأمن، ولتهيئة الأجواء والأسباب لترقي المسلمين فكراً وسلوكاً وخُلقاً وكمالاً، ولتربيتهم على توجيه النظر أوّلاً إلى الحياة الآخرة مع عدم نسيان الحياة الدّنيا ونحو هذه من الأهداف الكثيرة جدّاً من عُهدة التكاليف المُناطة بها.

غير أنّ الحكم عند بني أميّة ونحوهم، أضحى لغايات أخرى، وعلى الحكّام والولاة والقضاة والشرطة وعلماء السوء، العمل ــ كلّ من جهته وبإمكانياته ــ لتحقيق هذه الغايات ومنها:

أ ــ حكر السلطة لبني أميّة، فهم الملوك، وهم الحكّام، وهم الأمراء، وبيدهم أزمّة الأمور، هُمْ ونساؤهم وذراريهم ومن يُحسب عليهم.

ب ــ فسح المجال لتمتّع بني أميّة بملذّات الحياة، بأقصى ما يُمكن فلا يتمنّون شيئاً وسُخّرت كلّ الإمكانيات التي يوفّرها الحكم لتحقيقه.

ج ــ أن تنهج الأمّة النهج الذي يرتئيه بنو أمية في العقيدة والفكر والسلوك وغير هذه من الغايات التي تدور في هذا الفلك ممّا لا مجال هنا لاستقصائه.

وقد عمل بنو أميّة وولاتهم على تحقيق غاياتهم وأهدافهم بكلّ قدرتهم وإمكانياتهم فقتلوا، وصلبوا، وسملوا الأعين، وشرّدوا، وهدّموا الدور، وشتّتوا

القبائل، وصادروا الأموال.

ومن أعظم ما جناه بنو أميّة تتبّعهم ذريّة النبيّ الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم قتلاً وتشريداً حتّى جعلوا كلّ واحدٍ منهم تحت نجم، عاشوا متخفّين، وماتوا مجهولين إلاّ أن يخرج ثائر فيستشهد في المعركة أو يبطش الكيان الحاكم به بعد إلقاء القبض عليه.

والجناية العظمى الأخرى: إزاحة الإسلام الحقيقي عن مسرح الحياة وتضييع جهود النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في ترسيخ الشريعة ونشرها وتحكيمها والارتقاء بالبشرية إلى مراتب أكمل.

٣ ـ إنقاذ الأمة من حالة الاستضعاف:

بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام ـ الذي حصل نتيجة شدّة مؤامرات معاوية من جهة وتخاذل الأمّة وتكاسلها عن مواجهته العسكرية من جهة أخرى ـ أظهر معاوية ما تكنّه ذاته من خبث، ونفسه من أحقاد، فأشاع الإرهاب والظلم في طول البلاد الإسلامية وعرضها، وخصّ الكوفة من ظُلمه بالحصّة الأكبر، فسلّط على حواضر الإسلام وبلدانها أخسّ الولاة وأبعدهم عن الإسلام وتعاليمه، وزوّدهم بتوجيهات تقضي بتركيع الأمّة، وسلب إرادتها، وتشتيت جمعها، وتبديد طاقاتها، وإشغالها بتوافه الأمور، وضروريات الحياة، وإتعابها بملاحقة السلطة، حتّى عاد كلّ امرئٍ همّه كيف يُنقذ رقبته وما يتعلّق به من نفسٍ وعرضٍ ومال، كما أنّه فتح باب الرُشا لشراء الضمائر والذمم لإحكام قبضته على المجتمع فهذا يبيع دينه وضميره والتزاماته بحفنةٍ من الدراهم والدنانير، وذاك يتخلّى عن دنياه حفظاً لدينه إلاّ أنّه ينام

في خوف ويأكل في خوف ويتجوّل في خوف لا يدري متى يُعتقل، وكيف ينجو بجلده، فلا تجد في الأمّة غير خاسرٍ لدينه أو خاسرٍ لدنياه.

توجّهت الأمّة إلى القائد الحقيقي والمنقذ الحقيقي، الذي حذّرهم مثل هذا اليوم نتيجة الإهمال والتقاعس وعدم المبالاة بأداء التكاليف الإلهية.

توجّهت الأمّة إلى آل محمّد، وكان سيّد آل محمّد في تلك الحقبة الحسين ابن علي سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيّد شباب أهل الجنّة وأحد أصحاب الكساء وآية التطهير وآية المودّة وغيرها من الآيات والنصوص النبويّة التي لا تُحصى ولا تُستقصى، فاستصرخته واستغاثت به.

عن الإمام الباقر عليه السلام:

«محنة الناس علينا عظيمة، إن دعوناهم لم يجيبونا، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا»[١].

فماذا يفعل الإمام وقد استصرخته الأمّة، كما عاهدته على النهوض معه وعلى مؤازرته ونصرته حتّى تحقيق الهدف من النهضة.

وكتاب الله يقول:

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾[٢].

---

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٢، ص٦٥، ح٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ٧٥.

حَزَمَ الإمام أمره، وأرسل مسلماً رائداً له، يستطلع الأوضاع وصمّم على مواجهة بني أميّة وكسر شوكتهم واستثمار هذه الفرصة السانحة والنادرة لإنعاش الإسلام من جديد، وإعطاء الأمّة فرصة جديدة لتغيير وضعها البائس ولاسترجاع عِزّها الذي كانت فيه أيّام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأيّام الوصيّ عليه السلام.

إنّ بني أميّة قد كفأو الإسلام على وجهه، وعادوا بالناس القهقرى إلى جاهلية تفتقد بعض عناصر حُسن كانت في الجاهلية الأولى، فحرّفوا عقائد الإسلام وأحكامه، وابتزّوا مقام الأوصياء وقتلوا وشرّدوا كلّ من يلتزم بعقيدته ولا ينصاع لتوجيه السلطة الباغية واشتروا الضمائر وسلّموا المناصب لأراذل الأمّة، فتجد أزنى ثقيف يحكم الكوفة ومن لا يُعرف له أب حتّى قيل له ابن أبيه يحكم البصرة وعلى هذه الشاكلة فقِس.

أين ذهب الصحابة والتابعون وقرّاء القرآن وعلماء الأمّة والأتقياء والمجاهدون والأبدال؟

أخَلَتْ بلاد المسلمين من هؤلاء حتّى يُولّى المغيرة وزياد وابن زياد ونحوهم الحكم وفي دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم ومقدّساتهم.

فليحكم ضميرك يا مثقّف القرن الحادي والعشرين!

مسلم يهيئ الوسائل لإمامه

كانت الكوفة ـ حين وصول مسلم رضي الله عنه إليها ـ تحت إدارة الوالي الأموي النعمان بن بشير، الذي عيّنه معاوية في هذا المنصب، وأقرّه يزيد عليه.

ويظهر أنّ وجود هذا الوالي في الكوفة كان سبباً من أسباب هيجان أهل الكوفة، وتصاعد النشاط الثوري فيها في الحقبة التي زامنت أيّام مرض معاوية وموته وصعود يزيد على دست الحكم في البلاد الإسلامية.

والسرّ في الأمر: ما أشارت إليه بعض المصادر التاريخية من أنّه ضعيف أو يتضعّف[1]، فلم يتّخذ في مواجهة الحركة الثورية الناشطة في الكوفة، ما يتناسب وروح السياسة الأموية مع الأمّة، والمبتنية على القسوة وشدّة البطش والتنكيل والأخذ على الظنّة والتهمة، وإخماد كلّ جذوة وإسكات كلّ صوت، وإن كان المصدر بيت النبوّة.

وممّا يُنقل عنه خطبته في أهل الكوفة بعد قدوم مسلم رضي الله عنه إليها وانثيال الناس عليه تبايعه:

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢، ص٤٢.

أمّا بعد: فاتّقوا الله عباد الله، ولا تُسارعوا إلى الفتنة والفُرقة، فإنّ فيها يهلك الرجال، وتُسفك الدماء، وتُغتصب الأموال، إنّي لا أقاتل من لا يُقاتلني، ولا آتي على من لم يأتِ عليّ، ولا أنبّه نائمكم، ولا أتحرّش بكم، ولا آخذ بالقَرْف، ولا الظنّة والتهمة، ولكنّكم إن أبديتم صفحتكم لي ونكثتم بيعتكم، خالفتم إمامكم، فو الله الذي لا إله غيره، لأضربنّكم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن لي منكم ناصر، أما إنّي أرجو أن يكون من يعرف الحقّ منكم أكثر ممّن يُرديه الباطل.

فقام إليه عبد الله بن مسلم بن ربيعة الحضرمي حليف بني أميّة، فقال:

إنّه لا يُصلح ما ترى إلاّ الغُشم، إنّ هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوّك، رأي المستضعفين.

فقال له النعمان: أكون من المستضعفين في طاعة الله، أحبّ إليّ من أن أكون من الأعزّين في معصية الله(١).

ومن المحتمل جدّاً أنّ معاوية قد عيّنه في منصب والي الكوفة لغاية محدّدة وهي تتّضح بعد بيان مقدّمة:

إنّ معاوية ـ بعدما اغتصب مقام الحكم الأوّل من الإمام الحقّ الحسن السبط صلوات الله عليه وسلامه ـ وكان عداؤه الأعظم متوجّهاً إلى أهل الكوفة لأنّهم مادّة جيش الإمامين عليّ والحسن عليهما السلام، وبحكم كون الكوفة عاصمة لدولتي الإمامين فإنّها تحوي شيعتهما وقادة دولتهما وخيرة أنصارهما لإضافة إلى

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢، ص٤١ ـ ٤٢.

الجند الذي حاربا به الطليق معاوية صبّ غضبه الهائل على العالم الإسلامي ككلّ وعلى هذه المدينة بشكل خاصّ متميّز، وممّا تميّزت به هذه المدينة أنّه نصّب لمقام الولاية فيها أقسى من عرفهم العالم الإسلامي من الولاة، وأغلظهم وأبعدهم عن مظاهر الرحمة الإنسانية والالتزامات الدينية والشيم العربية التي عُرفت حتّى عند أهل الجاهلية، فقتلوا وشرّدوا وسجنوا وعذّبوا وصادروا الممتلكات ونفوا من الأرض وبلغ الأمر أن يصرّح بعض المؤرّخين بأنّه لم يبق في الكوفة من الشيعة أحد معروف مشهور، فهم بين مقتول أو مصلوب أو محبوس أو طريد أو شريد[1]، وما بقي إنسان له عُلقة بعلي وولده ومذهبه إلاّ وقُتل أو أتت عليه الفجائع والدواهي.

ويكفيك لتعرف فظاعة معاوية وشدّة القسوة التي أدار بها رحى الحكم في العالم الإسلامي أنّه لا يُعرف في أيّامه خروج أحد عليه بثورة بالرغم من المظالم العظيمة التي وقعت على العالم الإسلامي ككلّ وعلى أهل البيت النبوي وأتباعهم بالخصوص.

وعلامة ثانية: انّه تمكّن من تولية ابنه المستهتر يزيد على العالم الإسلامي ورَفْعِهِ على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعدما حاول بكلّ قواه إزاحة عليّ عليه السلام أمير المؤمنين، ووصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وشاد الإسلام بسيفه، ومن نزل ثلث القرآن[2] في إعلان فضله ومقاماته عن مقام الزعامة والخلافة، ثمّ سعى بكلّ قوّة حتّى نجح، في إخراج سبط رسول الله صلى الله عليه

(١) راجع الاحتجاج للشيخ الطبرسي: ج٢، ص٨٤.

(٢) راجع شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ج١، ص٥٨، ح٥٩.

وآله وسلم، وابن علي وفاطمة عليهما السلام وريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن وصفه رسول الله بأنّه سيّد شباب أهل الجنّة وأنّه إمام إن قام وإن قعد[1] من مقام حكم العالم الإسلامي.

ثمّ يأتي بالجاهل الفاجر الكافر الذي لا يعرف من الدنيا غير اللهو والفجور فيرفعه على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويسلّمه زمام حكم العالم الإسلامي ويسلّمه دولة لا تحدّ ــ شرقاً وغرباً ــ وآل بيت النبي، والصحابة، والتابعون، والعلماء، والزهّاد، وغيرهم، من أولي المجد والشرف، ملأ بصره فما رعى لأحدٍ حرمة، ولا خاف عذاب القبر، ولا سوء الحساب، ولا السعير، ففرَضَهُ على المسلمين أجمعين وما صنع مثل هذا أحدٌ قبله، بل ما فكّر أحد فيه.

أقول: إنّ معاوية، بعدما نكّل بالأمّة، وهضم حقوقها، واستأسد عليها، وصنع بالكوفة بالخصوص أعظم ممّا صنع بالعالم الإسلامي كلّه، بواسطة زياد بن أبيه والمغيرة بن شعبة فإنّه حاول إظهار شيء من التخفيف ــ نسبة عن السابق ــ والتقليل من نسبة الضغط والهضم للمجتمع الكوفي فعيّن لهم النعمان بن بشير الذي هو أموي النزعة والسياسة إلاّ أنّه معدّ لطورٍ ثانٍ من السياسة الأموية، وهذا الذي عرفناه، من ديدن الساسة في العالم، فإنّهم إذا أرادوا تغيير سياستهم من جهة ما، فإنّهم يعهدون بتلك الجهة، إلى شخصٍ آخر من أنصارهم، تتناسب توجّهاته وحركته مع الخطّة التي يريدون اتّخاذها وتنفيذها في تلك الجهة.

وهذا هو الذي صنعه معاوية مع الكوفة حينما عيّن النعمان بن بشير والياً

---

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ القرشي: ج١، ص٩١، ح١٢؛ وذكر وروده في الإتحاف بحبّ الأشراف: ص١٢٩.

عليها وحينما أراد يزيد تنفيذ نظام حكم صارم دموي في الكوفة لم يعهد بالأمر إلى النعمان بل عهد بالكوفة إلى عبيد الله بن زياد ـ لع ـ لكونه الشخص المناسب في المكان المناسب للمرحلة الفعلية التي تعيشها الكوفة وذلك بنظر يزيد ـ لع ـ

وهذا الأسلوب في تعيين المسؤولين وتغييرهم، نراه كثيراً ونلاحظه من مسؤولي الدول، أو المؤسسات، فالأسلوب واحد.

إلاّ أنّ خطأ معاوية ـ وهو خطأ كثيراً ما يقترفه الطغاة ويحصل عنه نفس النتائج، أنّه عهد إلى النعمان بعد فعل الأفاعيل بالكوفة وأهلها بحيث هدم كلّ الجسور فيما بينه وبينهم وأصبح لكثير من الناس ثارات شخصية وعقائدية مع الكيان الحاكم.

فهيّأ تعيين النعمان متنفّساً للناس في الكوفة، فكثرت التجمّعات والتكتّلات واللقاءات الثورية، وبدأت الناس تتحدّث وتعلن وتحرّض وتتّفق وتراسل الإمام سيّد الشهداء وتعاهده على النصرة وتحثّه على القدوم.

وساعد على هذا جدّاً، انشغال الدولة بمرض معاوية وهلاكه ومجيء يزيد للحكم، ولا خصائص فيه تمكّنه من الإمساك بزمام الحكم والسيطرة على دفّته كما هو الحال في أبيه، ولذلك قامت عليه ثلاث ثورات في سنين ثلاث وكلّها ضخمة، وفي أعظم مراكز العالم الإسلامي: الإمام الحسين في كربلاء ـ القريبة من الحاضرة العظيمة: الكوفة ـ وثورة أهل المدينة، وثورة ابن الزبير في مكّة.

كانت الكوفة تعيش عصر غفلةٍ من طرف الكيان الحاكم في الجملة فاستيقظت على مسلم بين ظهرانيها، فأقبلت عليه كتهافت الفراش، وبذلك وصفهم

سيّد الشهداء عليه السلام في خطبته يوم الطفّ:

«ولكنّكم استسرعتم إلى بيعتنا كطيرة الدبا، وتهافتّم إليها كتهافت الفراش»[1].

ومسلم رائد للحسين عليه السلام يستعلم له وضع الكوفة وأهلها ويكتب له بمجمل حالها كي يتّخذ الإمام عليه السلام قراره، فرأى مسلم منهم ما اطمأنّ معه إلى صحّة النهضة وأنّ الأوان قد آن، فكتب مسلم إلى الإمام بالأجواء التي عاشها وبحقيقة ما يجري.

وهو إنّما كتب للإمام، بعدما أخذ البيعة له من الناس، وتوثّق منهم بالمواثيق وتأكّد من إقبال الناس عليه.

ومع كلّ ما تقدّم، لم يترك مسلم الأمر حتّى يحضر الإمام ويعدّ للأمر عُدّته، بل أخذ يهيئ أسباب النهضة والنصر ويستجمع القوى.

أ ـ اتّخذ مقرّاً منيعاً ـ لكون صاحبه زعيماً صالحاً موالياً، وهو المختار الذي قاد فيما بعد حركة الأخذ بثأر الإمام الشهيد عليه السلام ـ

وحينما اقتضى الأمر ـ بعد مجيء ابن زياد ـ انتقل إلى مقرّ جديد أمنع وأخفى هو دار هانئ بن عروة زعيم قبيلة مذحج.

ب ـ أخذ يجمع الرجال والسلاح والمال وأحاط مقر إقامته بمخيّم يحوي هؤلاء المقاتلين المستعدّين للانطلاق بإشارة منه للانقضاض على الكيان المتجبّر.

---

(١) الاحتجاج للشيخ الطبرسي: ج٢، ص٩٨.

ج ـ أخذ البيعة للإمام من الناس حتّى ورد أنّه بايعه ثمانية عشر ألفاً من أهل الكوفة وهؤلاء لوحدهم جيش كامل يكفي لهدّ أركان الدولة أو في الأقلّ، هم الجمع الذي يصحّ إشعال فتيل الثورة به ومناجزة الدولة وتهيئة المجال لالتحاق بقيّة البلدان والأقوام بها، فينهار الكيان الحاكم.

د ـ لقاءاته بالناس وتهيئتهم نفسيّاً، ونفخ الروح فيهم، وإعدادهم لاستقبال الإمام السبط عليه السلام، وللجهاد معه بهمّةٍ عالية.

مسلم الذي حضر إلى الكوفة دون عُدّة وعدد، لاستطلاع الأوضاع وحكايتها للإمام عليه السلام قد أضحى خلال أيّامٍ متزوّداً بالعدّة والعدد ومتهيّئاً لاستقبال الإمام بعد أن ذلل صعاب له سُبل إنجاح الحركة.

وهذه هي الطريقة الصحيحة لانتظار الإمام، أي بتهيئة الظروف والأسباب للظهور والحضور والنصر، وقد قام مسلم بهذه المهمّة العسيرة لوحده حين كان الأمر أمره، والمسؤولية مسؤوليّته خير قيام.

ولكن... ما صنعه مسلم، سَبَبٌ ضِمن أسباب، وجزء العلّة، وللأسباب الأخرى أحكامها.

البيعة

يجب إطاعة الله سبحانه وإطاعة رسوله، وإطاعة الإمام المعصوم المنصوب للإمامة ولزعامة وقيادة الأمّة من الله ورسوله، إطاعة تامّة مطلقة لا يستثنى منها حكم ولا حالة، إلاّ ما صدر الترخيص بتركه أو فعله من جهتهم وإلاّ عُدّ المرء عاصياً ومستحقّاً للعذاب الأليم.

ومن موارد الإطاعة اللاّزمة، نصرة النبيّ والإمام المعصوم ـ المنصّب من الله ورسوله بالاسم والوصف اللّذين يحصران الإمامة فيه ـ في جهادهما وفي دفاعهما عن الإسلام والأمّة وكذلك نصرتهما في الدفاع عن شخصيهما ضدّ كلّ خطر يتعرّضان له، وكذلك في الموارد التي يأمران الفرد فيها بإظهار النصرة سواءٌ اقتنعنا بوجود الموجب له ظاهراً، أم لا.

فحقّ الإطاعة بشكل عام، وحقّ النصرة بشكل خاصّ، من حقوق النبي والإمام المعصوم، اللاّزم القيام بها وتأديتها من جهة الأمّة، بدون أيّ قيدٍ أو شرط، وهذا كلّه معلوم من الشريعة، بل لعلّه من الواضحات البديهيات.

ومع كلّ هذا لا يبقى وجه للبيعة إذ لا تقدِّم شيئاً ولا تؤخّر، ما دام حقّ الطاعة والنصرة ثابتاً على كلّ حال.

والبيعة أن يَمْسَح المبايِع على يد المبايَع قاصداً العهد والعقد والميثاق معه على الولاء والطاعة وأن يقول له: أبايعك على كتاب الله وسنّة رسوله....، هذا ما كان يحصل خارجاً في المجتمع الإسلامي[1]، وكانت هذه البيعة تؤخذ من عموم الأمّة لإعلان الولاء للخليفة الحاكم، وضماناً لعدم المشاركة في الخروج عليه في حملاتٍ عسكرية لقلب نظام الحكم أو لزعزعته ونحو هذه.

أمّا على مستوى الكتاب وسنّة النبيّ وآله الأطهار فقد ورد ذكر البيعة في الكتاب العزيز كما أخذ النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم البيعة على الناس في موارد عدّة، وأخذها الإمام سيّد الأوصياء، وكذا الإمام الحسن السبط، والإمام الحسين السبط سيّد الشهداء.

وورد في النصوص أنّ الإمام المهدي سيُبايع عند إعلان دعوته، وقيام دولته، عجّل الله سبحانه ظهوره ورزقنا رضاه في ظهوره وغيبته.

قال الله سبحانه:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[2].

وقال جلّ جلاله:

---

(١) إذا أردت المعنى الفقهي الدقيق للبيعة فراجع: ولاية الفقيه للشيخ المنتظري: ج١، ص٥٢٣؛ وراجع لإتمام الاطلاع على جوانب موضوع البيعة: تذكرة الفقهاء للعلامة الحلّي: ج٩، ص٣٩٨؛ المرجعية والقيادة للسيد كاظم الحائري: ص٥٦؛ النظام السياسي في الإسلام للمحامي أحمد حسين يعقوب: ص٦٩.

(٢) سورة الفتح، الآية: ١٠.

﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾[1].

وقال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[2].

هذه تمام الآيات في البيعة، وأمّا السنّة والسيرة فقد قدّمنا ذكر بعض منها من أخذ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وبعض أوصيائه البيعة على الأمّة في بعض الموارد ولسنا هنا في مقام استقصائها غير أنّا نجيب على تساؤل نحتمل طرحه في هذا المجال وهو: إذا كانت البيعة لا أثر لها في مواردها لوجود حقّ الطاعة التامّ المطلق من كلّ جهة لله ولرسوله وللإمام، ولوجوب نصرتهم وإطاعتهم على الناس كافّة دون أي استثناء، إلاّ ما رخّصوا هم فيه.

فبم نفسّر ورودها في الكتاب والسنّة وقيام سيرة المعصومين في مواردها، وسيرة القادة السياسيّين والعسكريين من المسلمين ممّن تولىّ الخلافة والولاية والحكم أو من هو بصدد العمل للوصول إليها أو ممّن يعمل للتمرّد على الدولة وشنّ الغارات على أطرافها على أخذها من الأمّة؟

واضح أنّ المستفاد من الآيات المباركة هو أصل المشروعية في تلك

(١) سورة الفتح، الآية: ١٨.

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ١٢.

الموارد لا لزوم الإتيان بها.

ونحن نعلم من مضمون هذه الأدلّة وجوب إطاعة النبيّ والإمام المعصوم على كلّ حال سواء أكانت هناك بيعة في المقام أم لا.

إلاّ أنّ البيعة ليست بلا أثر، بل هي عقد صحيح معتبر له واقعية، وهذا ظاهر من الآية المباركة:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ...﴾[1].

والذي نستفيده في المقام هو:

أنّ البيعة تفيد التأكيد في الموارد اللاّزمة أصلاً، بحكم وجوب إطاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإمام عليه السلام هنا، فإذا نكث المرء بيعته مع أنّ المورد لازم الطاعة حتماً وعلى كلّ حال فقد عصى الأمر الإلهي، وترتّب على هذا العصيان عقوبته الدنيوية والأخروية، وآثاره الوضعية، كما يُعدّ ناكثاً لعهده وعقده ويترتّب على هذا النكث أثره أيضاً فهنا معصيتان لكلّ منها آثار في الدنيا، وفي الآخرة.

أمّا في الموارد التي لا أمر للمعصوم ـ نبيّاً أو إماماً ـ فيها ولا إلزام لكن كانت مبايعة المسلمين للمعصوم مؤدّية إلى تنجّز تكليفٍ ما على المعصوم أو على المسلمين فهنا تظهر فائدة البيعة كعلّة للتنجيز ويتحمّل المرء إثماً كبيراً في نكث بيعته هذه وقد عُدّ نكث الصفقة ـ الذي هو تعبير آخر عن محلّ الكلام ـ

---

(١) سورة الفتح، الآية: ١٠.

في بعض النصوص من كبائر الذنوب[1] وهو شامل للمقامين والفرعين ــ هذا والذي تقدّمه ـ إلاّ أنّ البيعة في الفرع الأوّل أثّرت تأكيداً في أصل اللزوم وعقاباً عند نكثها، بخلاف الفرع الثاني حيث أفادت البيعة إلزاماً وأثّرت عقاباً عند النكث.

ولا ريب أنّ البيعة عقد من العقود، والعقود لا تؤثّر أثرها إن كانت مأخوذة بالإكراه فلا يجب الالتزام بمفادها في هذه الموارد.

ومن المعلوم في مذهبنا ـ الشيعة الإمامية ـ حرمة إطاعة الحكّام الظالمين، وكلّ حاكم لم يقرّ المعصومون صحّة ولايته على الأمّة، ويجب خلعهم، وهذا في غير موارد التزاحم أو موارد الضرورة التي تسمح بالإبقاء عليهم رعاية لعناوين أخرى كما هو مبحوث في محلّه من الفقه الإسلامي المبارك.

وكما أنّه من المعروف عند الإمامية أنّ أمير المؤمنين عليه السلام طلب معونة المسلمين بعد يوم السقيفة مع حصول البيعة منهم لصاحبها ولم يُبالِ الإمام بتلك البيعة مع حراجة الموقف في تلك الحقبة إلاّ أنّه عليه السلام لم يكن قد بايع بعد ـ على فرض مبايعته عليه السلام فيما بعد، وقد نفى المفيد هذا الأمر بشدّة ــ.

نعم التزم الحسنان بعقد الصلح مع معاوية فلم يستجيبا لكتب أهل الكوفة من بعد الصلح إلى سنة ستّين للهجرة وكان جواب الإمام المظلوم سيّد الشهداء عليه السلام إنّه مع حياة معاوية فلا تحرّك، وبعده فإنّه سيرى رأيه:

«فألصقوا رحمكم الله بالأرض وأمكنوا في البيوت واحترسوا من الظنّة ما

---

(١) بحار الأنوار للشيخ محمد باقر المجلسي: ج٢٧، ص٦٨.

دام معاوية حيّاً فإن يُحدث الله به حدثاً وأنا حيّ كتبت إليكم برأيي والسلام»[1].

لكنّ هذا التزام بعقد الصلح لا البيعة وهما متغايران.

نعم وردت نصوص على صدور البيعة من المعصومين عليهم السلام، وإنّ بيعتهم هذه وإن كان صدورها تحت ظروف لا يخفى حالها على أحد، وأنّهم عليهم السلام بايعوا والسيوف تقطر دماً، بحيث إنّهم بايعوا وما تُركوا، بل استشهدوا واحداً بعد واحد، وهذا الجواد قُتل وعمره خمس وعشرون سنة والعسكري وعمره ثمان وعشرون سنة، إلاّ أنّهم مع ذلك التزموا بمضمون البيعة ــ والتوجيه: أنّ لمقامهم مدخلية في الوفاء بالبيعة وإن أخذت منهم تحت تلك الظروف المهولة، وقد ورد عن المهدي عليه السلام إمام عصرنا:

«إنّه لم يكن أحد من أبائي إلاّ وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه وانّي أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحدٍ من الطواغيت في عنقي»[2].

يبقى أمرٌ مهمّ:

وهو أنّ البيعة كان لها أثر كبير ديني ونفسي في ربط المرء بما بايع عليه وفي إظهار التزامه بمضمون البيعة، ولذلك كان الاهتمام بها ظاهراً، وإن لم يهتمّ بها أمير المؤمنين عليه السلام ذلك الاهتمام فتلك النفس الكبيرة العظيمة التي أذهلت الدنيا في كلّ سلوكياتها لم تحرص على أخذ البيعة من ألدّ الأعداء، فقد

---

(١) حياة الإمام الحسن عليه السلام للشيخ القرشي: ج٢، ص٢٣٠.

(٢) الاحتجاج للشيخ الطبرسي: ج٢، ص٥٤٥.

عُرف عن جمع تركهم مبايعة الإمام الوصيّ عليه السلام بعد أن بايعته الأمّة جمعاء ــ غير معاوية ومن تحت إمرته ــ وبايعه المهاجرون والأنصار والبدريّون وأصحاب بيعة الرضوان لم يتخلّف منهم أحد بل فرحت الأمّة بخلافته وبيعته فرحة لم تحصل لأحد حتّى عبّر عنها الإمام عليه السلام:

«وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إيّاي أن ابتهج بها الصغير وهدج إليها الكبير وتحامل نحوها العليل وحسرت إليها الكِعاب»[1].

هكذا كانت بيعته ومع ذلك تركها سعد بن أبي وقّاص وأسامة بن زيد وبعض آخر، كما أعرض الإمام عن مبايعة مروان بن الحكم له بعد يوم الجمل وقال فيه:

«أو لم يبايعني بعد قتل عثمان؟ لا حاجة لي في بيعته، إنّها كفّ يهودية لو بايعني بكفّه، لغَدَرَ بِسُبّته»[2].

مبايعة الكوفة لمسلم:

من جملة ما هيّأه مسلم للإمام القائد الحسين عليه السلام هو أخذه البيعة من أهل الكوفة وهي تدلّ على التزامهم بنصرة الإمام ومعاضدته في مسيرته التي اعتزم القيام بها بعدما كاتبوه قرابة عشر سنوات لأجلها.

وبأخذ مسلم البيعة منهم، وبجمعه للرجال والمال والسلاح حتّى بلغ عدد المتهيّئين منهم قرابة الأربعة آلاف مقاتل، وغيرها من جلائل الأعمال التي قام بها

(١) نهج البلاغة للسيد الرضي: الخطبة ٢٢٩.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٧٣.

عند قدومه يكون مسلم قد وطّد الأمر للإمام السبط وأحسن إدارة الأمر فلم يكتفِ بمجرّد استطلاع أوضاع الكوفة والكتابة للإمام بحقيقة الحال بل عمل على تهيئة الظرف الأحسن لاستقبال الإمام.

والأمور تُقاس بظرفها الفعلي ولا تُقاس بنتائجها؛ إذ إنّ النتائج من الغيب ولا يعلمه إلاّ الله سبحانه، ومن آتاه الله من علمه، والإمام الحسين كان يعلم بحقيقة الحال، ومجريات الأحداث، علماً مستفاداً عن جدّه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، إلاّ أنّه عليه السلام عليه أن يجري على وفق السياقات الطبيعية في التعامل مع الأمّة، فإنّ الأمّة إذا أظهرت البيعة والتأييد فعلى الإمام قيادة الوضع إلى تحقيق أهداف الإسلام الكبرى، وهكذا فعل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، مع العلم أنّ أحداثاً وغزوات متعدّدة، هرب فيها الصحابة كأحُد وحنين، وخيبر ـــ عند بعث أبي بكر وعمر ـ وغزوات أخرى نصّ عليها المؤرّخون وكُتّاب السيرة، ولم يؤثّر هذا في مسيرة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

وهكذا ـ أيضاً ـ صنع الإمام سيّد الأوصياء حينما بايعه الناس بعد هلاك عثمان مع علمه ـ بتعليم من النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ـــ بظهور طوائف الناكثين والقاسطين والمارقين[1] ضدّه، وهكذا أبو محمّد الحسن السبط، والحسين عليهم السلام على نهجهم وسيرتهم في العمل وقيادة الأمّة.

---

(١) فضائل الخمسة للسيّد الفيروزآبادي: ج٢، ص٣٥٨؛ فقد نقل روايات عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في أنّه صلى الله عليه وآله وسلم أمر عليّاً أمير المؤمنين بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، عن كتب العامّة، منها تحديث أبي أيّوب الأنصاري في خلافة عمر بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر علياً عليه السلام بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

ومع أنّه يجب على الأمّة إطاعة ا لحسين على كلّ حال.

ومع أنّها كاتبته قرابة عشر سنوات.

ومع أنّها كتبت إليه آلاف الرسائل بعد هلاك معاوية تطلب قدومه.

ومع أنّها بايعت سفيره مسلماً وعاهدته على النصرة.

فإنّها خذلته وخذلت سفيره؛ إذ أسلمته إلى العدوّ الأكبر ــ ابن زياد ــ ثمّ تحرّكت على الإمام الشهيد، فشاركت في ذبحه بشكل أو بآخر، فكفأت الإسلام على وجهه، وشربت كأس السمّ إلى آخر قطرة، ولا يزال العذاب المختلف أشكاله وأنحاؤه يصبّ عليها صبّاً، ولعذاب الآخرة أخزى.

الإيمان قيد الفتك

سنحت لمسلم بن عقيل رضي الله عنه فرصة لا تقدّر بثمن، لقتل عبيد الله بن زياد، إلاّ أنّ مسلماً ترك ابن زياد يفلت دون أن يخدشه خدشة.

وكان لقتل ابن زياد ـ لو تمّ ـ أن يقلب مسار الأحداث كلّها رأساً على عقب، ويُغيّر مصير الأمّة وإمامها، ويقصم ظهر الدولة الأموية التي اعتمدت على هذا الشخص لإعادة الاستقرار في الكوفة لصالحها.

والحجّة التي استند إليها مسلم لترك ابن زياد يفلت من قفص الأسر ومن مصيره المحتوم الذي كان بينه وبينه قاب قوسين أو أدنى هي رواية عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم تمنع من القتل بهذه الوسيلة.

خلاصة الحادثة:

شريك بن الأعور شخصية إسلامية مهمّة في المجتمع يومذاك ـ وهو شيعيّ مُتَسَتِّر ـ حضر من البصرة إلى الكوفة بمعيّة ابن زياد وذُكر أنّه صَحِبَ ابن زياد ليكون عيناً عليه وليتعرّف على خطَطِه، وقد تمارض في طريق البصرة ليعرقل مسيرة ابن زياد حتّى يدخلها الإمام الحسين عليه السلام فلم يُفْلِح[1].

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ القرشي: ج٢، ص٣٥٦.

مرض مرضاً شديداً بعد وصوله الكوفة ـ وكان قد حلَّ في دار هانئ ـ

بلغ ابن زياد خبر مرض شريك فأرسل إليه من يُبلغه بعزمه على زيارته، فانتهز شريك الفرصة، وحاول الاتّفاق مع هانئ ومسلم على اغتيال ابن زياد عند حضوره، وأن يتولّى مسلمٌ المهمّة بنفسه عند إشارة شريك.

حضر ابن زياد، وتهيّأت الفرصة، وأصدر شريك الإشارة المتّفق عليها، ولم يخرج مسلم من مكمنه لاغتيال ابن زياد وتكرّرت الإشارة حتّى فطن ابن زياد إلى أنّ هناك ما يقتضي خروجه فأسرع بالخروج.

وسُئل مسلم عن السرّ في عدم خروجه وتنفيذ ما اتّفق عليه في ابن زياد فكان من ضمن جوابه أنّه ورد عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قوله:

«الإيمان قيد الفتك»[١].

فلا مجال إذن لاغتيال ابن زياد وللفتك به وأخذه على حين غرّةٍ وغفلة.

لماذا يا مسلم؟

أهذا السبب وهذه الرواية، العلّة الحقيقيّة وراء التوقّف عن إزاحة أعظم حجر عثرة في طريق الحركة الحسينية؟ أم أنّ هناك أسباباً أخرى شكّلت بمجموعها العلّة التامّة للتوقّف عن تنفيذه الاغتيال.

وهل هذا الحديث الشريف صادر عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم؟

---

(١) بحار الأنوار للشيخ المجلسي: ج٤٥، ص٩٧، وسيأتيك سرد مصادر أخرى لها؛ وفي لفظ القندوزي الحنفي (لا إيمان لِمَنْ قتل مسلماً) فراجع ينابيع المودّة: ج٣، ص٥٧.

كيف والاغتيال السياسي من أركان نجاح القوى الثورية ضدّ الطواغيت والجبابرة الذين أحاطوا أنفسهم بما لا يحصى من أشكال الحماية لوجودهم، بما لا يُرجى معه إمكانية إزاحتهم عن سدّة الحكم ومنصب القهر والجبروت بغير هذه الوسيلة فلا تنفع مفاوضة ولا يصغي إليك أحد والجبابرة لا يُرهبهم، مثل خوف الاغتيال، ولا يؤدّبهم مثيله فهم لا يخشون الحروب؛ لأنّهم أعدّوا لها عُدّتها، أمّا الاغتيال فهو سببُ أرَقٍ دائم لهم وعلّة لاضطرابهم وسلب هناءة عيشهم وسبب أيضاً لصدور بعض القرارات والأعمال المفيدة للأمّة من قِبلهم.

فهل يمكن ترك الطواغيت يسحقون كلّ زهرة ويئدونَ كلّ مكرمة بالتزام حرمة اغتيالهم، وهل الاغتيال لأمثال هؤلاء ولاسيما في مثل هذه الظروف ممّا لا حكم للعقل فيه أم يحكم بقبحه؟ الجواب: إنّه يحكم بحسنه التامّ، وقبح تركه، بل شناعته، ففي ترك أمثال هؤلاء، هلاك البلاد والعباد ودمار كلّ المقدّسات، ودخول الناس في ميادين الكفر أفواجاً، واضمحلال الحقّ وإشاعة الفجور.

وهل يُحتمل أنّ كون مسلم هو المنفّذ أثّر عنواناً ثانوياً لعدم حُسن صدور فعل الاغتيال منه ولو تولاّه أيّ أحدٍ لجاز؟

وقد يكون للأعراف والتقاليد والسُنن الاجتماعية الدائرة أثرٌ في البين فإنّ الناس في ذلك العصر كانت تعدّ مثل هذا الفعل غدراً وقبيحاً جدّاً ومن مثل مسلم بالخصوص، أمّا في مثل عصرنا ومع تغيّر السنن الاجتماعية فليس الأمر بتلك المرتبة من القبح ولاختلاف الزمان والمكان وأحكامهما وتأثيراتهما في الموضوعات، وللأحكام بالتبع، ففي الحالة الأولى يؤثّر الوضع الاجتماعي عنوانا

ثانوياً في المقام فيحرم الاغتيال، دون الحالة الثانية فيبقى الأمر على عنوانه الأوّلي، إلاّ أن هذا هنا غير تام لأن مسلماً استند إلى الرواية لتعليل امتناعه، ولم يستند إلى حيثيّته ووضعه الخاص.

رواية ـ الإيمان قيد الفتك ـ:

في مرسلة أبي صباح الكناني: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ لنا جاراً من همدان يُقال له الجعد بن عبدا لله يسبُّ أمير المؤمنين عليه السلام، أفتأذن لي أن أقتله؟ قال:

«إنّ الإسلام قيد الفتك، ولكن دعه فستكفى بغيرك»[1].

وعن أبي جعفر الثاني:

«وإيّاك والفتك، فإنّ الإسلام قد قيّد الفتك»[2].

وما رواه السيّد المرتضى عن مسلم أنّه اعتذر عن عدم قتل ابن زياد بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال:

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٧، ص١٣٧؛ ونقل صاحب وسائل الشيعة هذه الرواية باختلاف في العبارة فراجع الوسائل: ج٢٩، ب٢٢، من أبواب ديّات النفس، ح١؛ إذ صاحب الوسائل نقلها عن الكافي: ج٧، باب النوادر من كتاب الديّات، ح١٦؛ وصاحب البحار نقلها عن المناقب: ج٣، ص٣٦٤؛ وهي في حقيقتها رواية واحدة عن أبي الصباح الكناني إلاّ أنّها تختلف في اللفظ والتفاصيل بحسب ما في الكتابين ـ وما نقلناه في المتن فالنصف الأول من رواية البحار، غير أن نصّ الكافي أهم لاشتماله على قرينة توضّح المقصود من الفتك.

إذ فيها قول الراوي للإمام: لئن أذِنت لي فيه لأرصدنّه فإذا صار فيها اقتحمت عليه بسيفي فخطبته حتى أقتله، قال: فقال: يا أبا الصباح، هذا الفتك وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الفتك، يا أبا الصباح إن الإسلام قيد الفتك ولكن دعه فَستُكفى بغيرك... إلى آخر الرواية.

(٢) موسوعة الإمام الجواد عليه السلام: ج٢، ص١٢٤، عن رجال الكشي.

«إنّ الإيمان قيد الفتك»[(١)].

ونقلها أبو الفرج في المقاتل عنه عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنّ الإيمان قيد الفتك فلا يفتك مؤمن»[(٢)].

والحديث نفسه رواه أبو داود في سننه عن أبي هريرة[(٣)].

فهذه الرواية موجودة في كتب المقاتل، بل في كتب العامّة والخاصّة غير أنّ المفيد في الإرشاد وابن طاوس في الملهوف لم يتعرّضا لأصل القصّة وللرواية حين سردا أحداث الطف وهو أمر ملفت للنظر.

وتعرّض السيّد المرتضى في ـ تنزيه الأنبياء ـ لهذه الواقعة من خلال بيانه: أنّ أسباب ظَفَرِه ـ سيد الشهداء عليه السلام ـ بالأعداء كانت لائحة ـ فذكر هذا الحديث، وهذه الحادثة وقال ـ ولو كان فَعَلَ مسلم من قتل ابن زياد ما تمكّن منه، ووافقه شريك عليه، لبطل الأمر ودخل الحسين عليه السلام الكوفة غير مُدافَع عنها وحسر كلّ أحد قناعه في نصرته واجتمع له من كان في قلبه نصرته وظاهره مع أعدائه[(٤)].

وتعرّض لهذا المطلب أيضاً الشهيد المطهري على ما في الملحمة الحسينية:

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٥، ص٩٧، عن تنزيه الأنبياء للسيّد المرتضى.

(٢) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٤٤.

(٣) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٤٤ الهامش (١) وهذه الرواية نقلتها مصادر عدّة فراجع حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي: ج٢، ص٣٦٥؛ ومسلم رضي الله عنه للسيّد المقرّم: ١٩٤؛ ونصّ أبي الفرج منقول عن الفتوح لابن أعثم: ج٥، ص٧٣؛ بحذف فاء ـ فلا ـ على ما في كتاب مبعوث الحسين: ص١٥٠؛ وراجع أيضاً: مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ص١٥٣.

(٤) بحار الأنوار: ج٤٥، ص٩٧.

ج٣، ص١١٦، والمقرّم في ــ مسلم: ص١٩٤ ــ وفي مقتل الحسين عليه السلام: ص١٥٣، والشيخ باقر القرشي في حياة الحسين عليه السلام: ج٢، ص٣٦٥، ومحمد علي عابدين في مبعوث الحسين عليه السلام: ص١٤٩.

فيمكن أن يُقال في توجيه فعل مسلم وتوجيه الرواية بأنّ معنى الرواية ليس هو تحريم الاغتيال مطلقاً ــ وإن التزمه بعض الفقهاء، منهم الشيخ المفيد، ويحتمل أن يكون افتاؤهم هذا استناداً إلى هذه الرواية ــ إذ إنّها تنصّ على تحريم الفتك، والفتك غير الاغتيال وذلك جمعاً بين هذه الرواية ــ على فرض التسليم بصدورها وهو غير بعيد ــ وبين ما دلّ على جواز الاغتيال، منها:

ما عن داود بن فرقد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في قتل الناصب؟ فقال:

«حلال الدم ولكنّي أتّقي عليك فإن قدرت أن تقلب عليه حائطاً أو تُغرقه في ماء لكيلا يشهد به عليك فافعل»[1].

وفي رواية أنّ عبد الله بن النجاشي قال للإمام الصادق عليه السلام: إنّي قتلت ثلاثة عشر رجلاً من الخوارج كلّهم سمعته يبرأ من عليّ بن أبي طالب عليه السلام فسألت عبد الله بن الحسن فلم يكن عنده جواب، وعظم عليه فقال: أنت مأخوذ في الدنيا والآخرة، فقال أبو عبد الله عليه السلام:

«وكيف قتلتهم يا أبا بحير؟».

فقال: منهم من كنت أصعد سطحه بسلّم حتّى أقتله ومنهم من دعوته بالليل

(١) وسائل الشيعة للشيخ الحرّ العاملي: ج٢٨، ص٢١٧.

على باب فإذا خرج قتله[١] ومنهم من كنت أصحبه في الطريق فإذا خلا لـي قتلتـه، وقد استتر ذلك عليّ.

فقال أبو عبد الله عليه السلام:

«لو كنت قتلتهم بأمر الإمام لم يكن عليك شيء في قتلهم ولكنّك سبقت الإمام فعليك ثلاث عشرة شاة تذبحها بمنى وتتصدّق بلحمها لسبقك الإمام وليس عليك غير ذلك»[٢].

ويؤيّدنا فيما فهمناه، ما عن أبي جعفر الثاني، وننقله بتامه، عن إسحاق الأنباري قال: قال لي أبو جعفر الثاني عليه السلام:

«ما فعل أبو السمهري لعنه الله يكذب علينا، ويزعم أنّه وابن أبي الزرقاء دعاةٌ إلينا، أشهدكم أنّي أتبرّأ إلى الله عزّ وجل منهما، إنّهما فتّانان ملعونان، يا إسحاق أرحني منهما يُرح الله عزّ وجلّ بعيشك في الجنّة».

فقلت له: جعلت فداك يحلّ لي قتلهما؟

فقال:

«إنّهما فتّانان يفتنان الناس ويعملان في خيط رقبتي ورقبة مواليّ فدماؤهما هدر للمسلمين وإيّاك والفتك فإنّ الإسلام قد قيّد الفتك وأشفق إن قتلته ظاهراً أن تُسأل لِمَ قتلته؟ ولا تجد السبيل إلى تثبيت الحجّة ولا يمكنك إدلاء الحجّة فتدفع ذلك عن نفسك فيُسفك دم مؤمن من

---

(١) الصحيح: قتلته، كما هو الظاهر.

(٢) وسائل الشيعة: ج٢٩، ص٢٣٠.

أوليائنا بدم كافر، عليكم بالاغتيال»[1].

فيظهر من كلام الإمام ـ من خلال نهيه عن الفتك تجويزه للاغتيال ـ أنّ هذا غير ذاك.

وورد أنّ معاوية دخل على عائشة، فقالت له: أما خِفتَ أن أقعد لك رجلاً يقتلك؟ فقال: ما كنت لتفعليه وأنا في بيت أمان وقد سمعت النبيّ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يقول ـ يعني: الإيمان قيد الفتك ـ كيف أنا في الذي بيني وبينك وفي حوائجك؟

قالت: صالح، قال: فدعينا وإيّاهم حتّى نلقى ربّنا عزّ وجلّ[2].

ومن الواضح أنّ معاوية لم يستشهد بالرواية وإنّما أشار إليها كما فهمه شارحها ولعلّه أحمد صاحب المسند.

ثمّ إنّ الشيخ الأميني صاحب الغدير ـ الذي نقل الرواية المتقدمة ـ لم يعترض على تطبيق الفتك على هذا المورد، فيظهر ارتضاؤه له وهذا يؤيّد ما سنذكره من معنى الفتك، كما أنّه أثبت مضمون الرواية ـ الإيمان قيد الفتك ـ فانظر ما قال: أما كان لعائشة أن تُفحم الرجل بأنّ الإيمان لو كان قيّد الفتك ـ وهو قيّد الفتك ـ فلماذا لم يقيّده؟ وقد فتك بآلافٍ من وجوه المؤمنين، وأعيان الأمّة المسلمة، ولم يأمن من فتكه أهل حرم أمن الله ـ مكّة ـ ولا مجاورو بيت أمانه ـ المدينة[3] ـ.

(١) موسوعة الإمام الجواد عليه السلام للشيخ الخزعلي: ج٢، ص١٢٤؛ عن رجال الكشي: ح١٠١٣.

(٢) الغدير: ج١٠، ص٤٨٥؛ عن مسند أحمد: ج٤، ص٩٢.

(٣) الغدير: ج١٠، ص٤٨٦.

والذي تبيّن لنا من خلال نصوص القضيّة وكلام أهل اللغة[1]:

أنّ الاغتيال: مفاجأة بالقتل، والقيام به عن غفلة من القتيل.

أمّا الفتك: فقتل مع الغفلة وزيادة، أي هو اغتيال وزيادة، وهذه الزيادة هي السبب في اختلاف حكمه عن الاغتيال، للاختلاف في حقيقتهما.

فالفتك هو اغتيال والظرف ظرف أمن، إذ يأمن المجني عليه من الجاني سواءً أكان هناك وعد بالأمان أم لا.

فقتل امرئ فجأة وفي غفلة منه والظرف ظرف أمان كوجود ابن زياد في دار هانئ لعيادة مريض، فابن زياد بحكم وجوده في دار هانئ وبحكم الأعراف السائدة في مثل هذه الحالة في تلك الأزمنة بل حتّى في زماننا هذا ــ وإن كان بنسبة أخفّ ــ مطمئن تماماً عن أن يصدر من صاحب البيت تجاهه ما يهدّد حياته؛ إذ هو نحو غدرٍ وهو من أعظم العار على مرتكبه في العُرف يومذاك فمثل هذا

---

(١) في النهاية لابن الأثير: الإيمان قيد الفتك، أي الإيمان يمنع عن الفتك كما يمنع القيد عن التصرّف النهاية: ج٤، ص١٣٠، والفتك أن يأتي الرجل صاحبه وهو غارٌ غافل فيشدّ عليه فيقتله، المصدر نفسه: ج٣، ص٤٠٩، فراجع: البحار: ح٤٧، ص١٣٧.

وفي المنجد: ص٥٦٨، فتك بفلان: بطش به، أو قتله على غفلة.

وفي هامش البحار، شَرَحَ محقّق الكتاب هذه الرواية بقوله: إنّ الإيمان يمنع من الفتك الذي هو القتل بعد الأمان غدراً كما يمنع القيد من التصرّف؛ البحار: ج٤٤، ص٣٤٤، هـ١.

ولا يخفى على القارئ الكريم ـ بعد ملاحظته لما سنبيّنه ـ أنّ ما فهمناه من الرواية بمعونة بعض الروايات وقرائن أخرى منها طبيعة ما فهمه مسلم رضوان الله تعالى عليه منها وتطبيقه لها، وبعد ملاحظة أن لم يكن أمان من مسلم أو هانئ أو شريك لابن زياد حين حضوره لدار هانئ، هو أنّ الفتك يُراد منه: الاغتيال في وقت كون المستهدَف ـ بالفتح ـ في مأمن من المستهدِف ـ بالكسر ـ لحصوله منه على تصريح بالأمان أو لوجوده في داره ـ كما هو الشأن عند العرب ـ أو لأمثال هذه من الفروض التي تؤدّي مؤداها وتختلف ـ مصداقاً ـ بحسب الزمان والمكان.

الاغتيال والظرف هذا الظرف يُعدّ فتكاً.

والمسألة ـ من وجهة فقهيّة ـ تحتاج لتوسعة في البحث للبتّ فيها.

النتيجة: إنّ مسلماً امتنع عن قتل ابن زياد في دار هانئ والأسباب المذكورة لهذا الامتناع:

١ ـ قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الإيمان قيد الفتك».

أو الإسلام، على اختلاف الروايات.

٢ ـ إنّ هانئاً منع مسلماً من قتل ابن زياد في داره[1].

٣ ـ إنّ امرأة هانئ منعت مسلماً من قتل ابن زياد في دار هانئ[2].

٤ ـ إنّ مسلماً لم يحبّ قتل ابن زياد[3].

فإن كان السبب الأوّل هو علّة الامتناع، فلأنّ ابن زياد قد أرسل إلى شريك أنّه يريد زيارته، وحضر فعلاً، فحصوله في دار هانئ لأجل أمثال هذه الغاية وفي ضمن تلك الأجواء والتقاليد فيه تأمين عُرْفيّ، فامتنع مسلمٌ من قتله لانطباق الرواية على هذا المورد.

وإن كان للسببين الثاني والثالث، فقد احترم مسلم إرادتهما، لأنّ البيت لهما، والموقع موقع عشيرتهما، وهانئ زعيم العشيرة، وقتل ابن زياد سيجرّ العشيرة إلى

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ القرشي: ج٢، ص٣٦٢ وص٣٦٥.

(٢) مسلم للسيد عبد الرزّاق المقرّم: ص٩٤.

(٣) إبصار العين للشيخ محمد السماوي: ص٤٣.

فاجعة كبرى، إذ تتعرّض إلى مواجهة شاملة مع أتباع ابن زياد وحرسه ومع جيش الشام الذي سيحضر بلا شكّ لإخماد ثورة الأهالي ضدّ السلطة والأخذ بثأر ابن زياد.

كما أنّه يحتمل أنْ يَلحق بالعشيرة عار لقتلها الضيف ــ وهو ابن زياد ــ (وذلك بحسب حسابات هانئ وزوجته إن كان تمنّعهما لأجل هذه السنن وأمثالها) وهذه السُنّة وأمثالها ممّا تراعيها القبائل العربية أشدّ المراعاة.

ونحن وإن كنّا نتوقّف عن استحقاق هذه المسألة للمراعاة لأنّ لولي الأمر وهو الإمام المعصوم ومن ينوب عنه ملاحظة جهات المصلحة والمفسدة والتصرّف على وفق العناوين الأوّلية والثانوية لمراعاة مصالح الإسلام العليا وأهدافه الكبرى فكان من حقّ مسلم أن يخالف رغبة هانئ وزوجته ويقتل ابن زياد مهما كانت النتائج المترتّبة لتوقّف حفظ الإمام الحسين وتحقيق أهدافه واستمرار مسيرته على قتل هذا الطاغوت، وأمّا رغبة هانئ وزوجته وحرمة دارهما ونحو هذا فإنّ الإمام المعصوم أولى بكلّ إنسان من نفسه، وما يتعلّق به بنصّ حديث الغدير الذي نصّ فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أنّه (مَنْ كنت مولاه فهذا عليّ مولاه)[1] وهذا التنصيب جارٍ لبقيّة الأئمّة المعصومين عليهم

---

(١) حديث الغدير العظيم، ألّف فيه العلاّمة الكبير الشيخ عبد الحسين الأميني موسوعة الغدير، في أحد عشر مجلّداً استقصى فيه رواته من الصحابة والتابعين والعلماء عبر القرون، وأسماء مؤلّفات فيه فراجع: ج١، ص٢٦ ـ ٢٧؛ إذ سرد إجمالاً أسماء المؤرّخين والمحدّثين الذين ذكروا واقعة الغدير وحديثها، بل راجع المجلّد الأوّل بعمومه لفائدته التي لا يمكن الاستغناء عنها.

وراجع لحديث الغدير أيضاً ـ فإنّه من أهمّ الأحاديث، ويومه من أهمّ الأيّام في تاريخ الإسلام ـ نفحات الأزهار للسيد علي الميلاني: ج٦ ـ ٩؛ وراجع فضائل الخمسة: ج١، ص٣٤٩.

السلام بحكم الأدلّة الأخرى المبيّنة لمشاركة الأئمّة بعضهم لبعض في مجموعة من الخصائص والمناصب وتميّز بعضهم عن بعض بخصائص أخرى ـ وليس هنا محلّ التفصيل ـ ولعدم القول بالفصل.

إلاّ أنّه يمكن أن يقال: إنّ الإمام المعصوم ــ ومن يقوم مقامه في بعض المهمّات والمناصب ــ لم يُعمل صلاحيّاته في هذا الميدان لعدم تبلور هذه المفاهيم في المجتمع الإسلامي وعند الشيعة أيضاً فلذا اضطرّ مسلمٌ رضوان الله ــ تبارك وتعالى ـ عليه إلى ترك ابن زياد، وعدم قتله مراعاةً لهذه الأمور، التي هي من الأمور القاهرة في تلك الأيّام.

وهذا كلّه من التوسّع في البحث، ومن باب تكثير الافتراضات ــ الواردة تاريخياً بطبيعة الحال ــ والتأمّل في وجهها والجواب عن الإشكالات الواردة بسببها لو صحّت، إلاّ أنّ الكلام ـ كلّ الكلام ـ في تحليل رواية ــ الإيمان قيد الفتك ـ وتوجيه انطباقها على المقام، وقد قدّمنا الوجه فيه، أسأل المولى سبحانه التسديد فيه، والعفو عن كلّ زلل.

مسلم يُشعل فتيل الثورة

لم يكن من المقرّر أن يبادر مسلم بإعلان الثورة، بل كان عليه استطلاع الأوضاع، والكتابة إلى الإمام بشأنها، وتهيئة الأجواء لاستقبال الإمام، وهو الذي يقرّر طريقة العمل بعد وصوله إلى الكوفة، ويشرف ميدانياً على حركة الجمع الثائر.

ولكن مسلماً أشعل فتيلها للإمساك بزمام الأمور قبل أن تفلت نهائياً ولمّا يحضر الإمام السبط، القائد الأصيل والحقيقي للثورة.

الذي غيّر مجرى الأحداث: حصول ابن زياد على خبر مكان اختفاء مسلم في الكوفة.

فقد سخّر ابن زياد جاسوساً من أتباعه، ليحصل له على هذه النتيجة.

فتفنّن الجاسوس في طريقة التوصّل إلى معرفة المكان، وذلك بالاتّصال برجال من الشيعة وتوثيق نفسه لديهم، والتمويه عليهم بأنّه من محبّي آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأنّه يحمل مالاً لمسلم يسند به ثورته على أن يلتقيه شخصياً فيُسلّمه المال وهكذا كان.

فعرف مكان مسلم وأبلغ ابن زياد أنّ سكنى مسلم رضي الله عنه في دار هانئ بن عروة.

بعث ابن زياد إلى هانئ، وواجهه بالجاسوس، فأسقط في يد هانئ، إذ لا يستطيع بعد هذا إنكاراً.

إلاّ أنّه رفض رفضاً قاطعاً تسليم مسلم إلى ابن زياد، نعم، أن يُخرجه من داره فهذا ممكن، أمّا أنْ يُسلّمه إلى التعذيب والقتل وهو ضيفه فهذا المستحيل بعينه، وإن ترتّبت عليه العواقب الوخيمة.

عُذّب هانئ التعذيب الشديد، وألقي به في السجن.

لقد انكشف محلّ اختفاء مسلم لابن زياد.

ومن قبل قد انكشفت أهداف وجوده في الكوفة.

وابن زياد هو من يُعرف بالدموية والجبروت.

وقد اعتقل الشخص الذي هو من قادة جنده ـ أي جند مسلم ـ وزعيم قبيلة عظيمة، ومن هو مقيم في داره.

واعتقاله كان بسببه، ولعلّه يُقتل.

فوجوده ـ مسلم ـ أصبح في خطر فقد يتعرّض للاعتقال وللقتل.

والأسباب التي هيّأها مهدّدة بالانفراط.

والناس بالمُبايعة مُعرّضة للاعتقال والتعذيب وللتشتّت في الأقلّ.

والحركة الحسينيّة كلّها أصبحت في معرض الخطر والانطفاء.

والإمام السبط نفسه في خطر، فهو مطلوب للسلطة التي تريد قتله بأيّة وسيلة.

البناء المحمّدي كلّه في خطر.

سينهار كلّ شيء، بسبب غير متوقّع وغير محسوب.

وعشيرة هانئ، أستهدأ لو قتل زعيمها؟ أم ستنقلب على مسلم وتُلقي عليه اللوم لأنّه سبّب الكارثة؟ فهذه العشيرة المتهيّئة لنصرة الإمام ستكون معارضة لحركة الإمام أو خاذلة ما دام الحال هكذا.

لابدّ من عمل شيء يوقف الانهيار.

ما من حلّ غير إعلان الثورة والإمساك بزمام الأمور قبل أن تفلت نهائياً.

إنّ ترك الأمور تجري كيفما اتّفق، وتحمّل عواقبها، قد يؤدّي إلى نتائج غير مرضيّة إطلاقاً.

منها: أن يشنّ ابن زياد هجوماً مباغتاً على مساكن عشيرة هانئ لاعتقال مسلم رضي الله عنه، وهذا يستلزم لحوق تدمير واسع النطاق بعشيرة هانئ وممتلكاتها، وقد يعرّضهم هذا الهجوم للإبادة، ولمختلف ألوان البطش الأموية، كالاعتقال والقتل ومصادرة الممتلكات وهدم البيوت والتهجير، والمعروف عن بني أميّة عدم تورّعهم عن شيء بما فيه بيع نساء المسلمين في الأسواق واستباحتهنّ، كما صنع بسر بن أرطأة أيّام معاوية بأهل اليمن المسلمين المؤمنين.

ومنها: أن يؤدّي ضغط السلطة المتجبّرة ببعض أفراد عشيرة هانئ إلى تسليم مسلم إلى ابن زياد، وفيه الخطر العظيم على مسلم وحركته ومن يرتبط به، كما به إلحاق العار بعشيرة هانئ، وتفتّت جيش مسلم، ووقوع الفتنة بين أنصاره.

فلم يكن أمام مسلم إلاّ احتمال أقلّ ما يُمكن من الخسائر،واستباق الأحداث بإعلان الثورة، وكفّ يد السلطة لحين قدوم الإمام عليه السلام.

وهكذا كان.

لِمَ استعجل مسلم المواجهة

قد يُستشكل، ويُثار تساؤل على أنّ المهمة المبعوث مسلم إليها، هي استطلاع أحوال الكوفة وإبلاغ الإمام بالحال كي يتّخذ الإمام القرار المناسب، فلِمَ وَسَّعَ مسلم رضي الله عنه ساحة عمله، واتّخذ مواقف متعدّدة، آخرها وأعظمها إعلان الثورة، واحتلال الكوفة، والدخول في المواجهة المباشرة مع النظام الفاسد.

وقد يستشهد لانحصار مهمّته في مساحة ضيّقة ببعض النصوص الروائية والتاريخية، منها على سبيل المثال:

ما عن الشيخ المفيد رحمه الله: أنّ سيّد الشهداء عليه السلام كتب إلى أهل الكوفة كتاباً أرسله مع مسلم رضي الله عنه حين بعثه إليهم:

«وإنّي باعث إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي فإن كتب إليّ أنّه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجا والفضل منكم على مثل ما قدِمت به رسلكم وقرأتُ في كتبكم أقدِم عليكم وشيكاً إن شاء الله».

قال المفيد: ودعا الحسين بن علي عليهما السلام مسلم بن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنهم فسرّحه مع قيس بن مسهّر الصيداوي، وعمارة بن عبيد السلولي وعبد الرحمن بن عبد الله الأرحبي وأمره بتقوى الله وكتمان أمره واللطف

فإن رأى الناس مجتمعين مستوسقين عجّل إليه بذلك[(١)].

وقال أيضاً: وقدّم أمامه ابن عمّه مسلم بن عقيل رضي الله عنه وأرضاه للدعوة إلى الله والبيعة له على الجهاد[(٢)].

فلا يظهر من كلام المفيد أنّ هناك أمراً من الإمام لمسلمٍ بالقتال بل عليه استعلام الوضع وأخذ البيعة والكتابة إلى الإمام بحقيقة الحال.

ويُمكن أن يُجاب:

بأنّ النصوص التاريخية لا يمكن لها أن تنهض ببيان جميع ما اتّفق عليه بين الإمام ومسلم، إذ لعلّ هناك وسائل أخرى، أو أوامر وبيانات شفهية مباشرة من الإمام إلى مسلم قبل سفره، أو بعد سفره بواسطة ثقات ونحو هذه، إذ لا يُعقل أنّ الإمام اختصر مراده وتوجيهه لمسلم بما ذكرته النصوص التاريخية.

ثمّ إنّ مسلماً عاش دهره في بيت الإمام ووعى التشريع بكليّاته وجزئياته من خلال المعايشة اليومية مع الأئمّة الأطهار عليهم السلام كما عاش الأحداث بالتفصيل، ووعى كيفيّة معالجة الأئمّة للأحداث ووجهة تصريفهم لها بما يناسب التشريع والمصالح.

فهو خزانة علم يحمل بين جوانحه الكثير من العلم والتجارب والإحساس بالمسؤولية والمعاناة فهو يُمكن له أن يباشر بعض المهام ويعالجها بما اختزنه طيلة هذه السنين.

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢، ص٣٩.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢، ص٣١.

وثانياً: إنّ بعض توضيحات الإمام له، يمكن أن لا تصلنا تاريخياً للزوم التكتّم في هذه الإرشادات والبيانات والتوجيهات، كما هو الحال في مثل هذه المهمّات ومثل هذه الظروف، ثمّ تذهب هذه الأسرار والبيانات مع صاحبها إلى العالم الآخر وتبقى الأمور مبهمة تاريخياً، حتّى يوضحها أحد المعصومين، أو تبقى سرّاً من الأسرار.

وثالثاً: على مسلم الالتزام بما في الرسالة إضافة إلى أوامر الإمام الشفهية والمتتابعة إليه أيضاً عبر السفراء الآخرين.

إلاّ أنّه ـ بحكم علمه وتديّنه وتقواه ـ يلزم عليه القيام بتكاليف أخرى دينية أو إنسانية بحسب متطلّبات الظروف ومستجدات الأحاديث.

الكوفة كانت تعيش غلياناً وأحداثاً مصيرية متسارعة، إذ هَلَكَ معاوية وقام يزيد مكانه، فقبل أن يلتقط يزيد أنفاسه ويعي الأمور، ويدرك وجهة الأحداث، لابدّ من عمل شيء سريع يقصم ظهره، ويشغله بجراحه، فعلى رئيس القوم أن يدير دفّة الأحداث ويوجّه جمهور الأمّة زعماءها لما فيه لمّ الشمل وحفظ النظام وإعداد العدّة للمواجهة ومشاغلة السلطة إلى حين تسديد الضربة القاضية.

الكوفة مقبلة على حدثٍ عظيم وهو قدوم سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليها لقيادة أهلها إلى ما به إحداث زلزال في كيان السلطة الحاكمة وإيقاظ الأمّة في عموم العالم الإسلامي وما به إنهاء مأساة البشرية المعذّبة المنهكة والإجهاز على البغاة المرتدين المجرمين، فكيف يمكن ترك الكوفة تجري فيها الأحداث كيفما اتّفق وبدون توجيه مركزي ودون السيطرة على الدفّة فيها

ولاسيما بعدما كتب مسلم إلى الإمام عليه السلام بالقدوم.

حاول الطاغية يزيد تضييق الأرض برحبها على الإمام عليه السلام، وبدخول مسلم إلى الكوفة وأخذه البيعة من الناس فإنّ الإمام عليه السلام قد أصبح في مواجهة مكشوفة تماماً مع السلطة الجائرة وقد قرّر عليه السلام الحضور مع نسائه وصِبيته وخُلّص صحبه إلى الكوفة ليأمن على الجميع وليبدأ حركته المقدّسة، فهل يمكن ترك الكوفة تفعل فيها الأعاصير دون ضبط حركتها حتّى وصول الإمام عليه السلام؟

إنّ ما حصل فيما بعد كان يخشاه مسلم ويحذره وقد حاول وقف عجلة التدهور واستمات في هذا السبيل.

لم يكن لمسلم أن يترك الأمور تجري دون اتخاذ الموقف المناسب.

لم يكن له ترك الكوفة في مرجل دون إعمال جهده في تسيير وتوجيه الحدث.

العمل كلّه في هذا اليوم، وما بعد، سيترتّب على أحداث اليوم.

لكنّ الكوفة قلبت له ظهر المجنّ وتركته وحيداً يصارع الطاغوت، فسقط البطل شهيداً وحرمت الأمّة نفسها من نسائم الحريّة من جديد.

وهناك رأي ــ وهو غير مرضيّ على أيّ حال ــ يقول: إنّ مسلماً أعلن الثورة بعد اعتقال هانئ، لعلمه بأنّه سيلقى نفس المصير[1].

وسبب عدم ارتضائه:

---

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ القريشي: ج٢، ص٣٨٠.

أ ــ إنّه رأي يحتاج إلى دليل يدعمه وهو مفقود في المقام.

ب ــ إنّ هذا الرأي لا يمكن المصير إليه مع وجود الوجوه الأخرى، وهي أقرب إلى الواقع بكثير من هذا الرأي مع ملاحظة جوانب الموضوع الفقهية والعقائدية والواقعية.

ج ــ إنّ هذا الوجه يناسب إمرءاً يسعى إلى سلطان، وهمّه بناء كيان يتمتّع به ويغرف من طيّباته، ولا يناسب امرءاً جاء للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولتحكيم الإسلام في الأرض، ولإطاعة إمام معصوم هو خليفة الله في الأرض، ولفعل المستحيل من أجل إنقاذ أهل البيت من المصائب والمكائد والمؤامرات المحيطة بهم، ولإنقاذ الأمّة المؤمنة المستضعفة من أحطّ مجرمي الأرض، ولإنهاض الإسلام والشريعة من جديد.

أمّا مسألة الخوف من الاعتقال فهذا آخر ما يفكّر به مسلم لدلالة النصوص والسيرة على هذا، لا لمجرّد حسن الظنّ به، وللتبرير لمنهجه على كلّ حال، فهو رضوان الله تعالى عليه غير محتاج لتبرير شيء من عمله، ومراجعة النصوص التاريخية المتوفّرة بحقّه بدقّة وإمعان تُفضي إلى هذه النتيجة.

نعم، إن كان المقصود من تخوّفه الاعتقال، إنّما هو لتخوّفه على حركة الإمام ونهضته من أن تكبو، وتكبو معها كل الآمال، بل يتعرّض الإمام معها للخطر العظيم القطعي، فهذا في محلّه تماماً، إذ عليه المحافظة على نفسه لدفع عجلة الأحداث إلى الأمان، إلى أن يتمكّن من تسليم الأمانة ــ وفيها الروح ــ إلى ولي الأمر، الإمام القائد الحسين بن علي عليهما السلام.

مسلم في الساحة

أعلن مسلم الثورة، وسيطر على الأوضاع بسرعة.

وأوّل ما يلاحظ في طريقة إدارته للأحداث؛ تواجده المستمرّ بين الناس لتوجيههم التوجيه الصحيح، ولشحذ هممهم.

ومعلوم أنّه لولا تواجده في الساحة لحصلت استباحة للطرف المغلوب، وهرج ومرج كما يحصل في كلّ مكان تنحسر عنه يد السلطة وتفلت مقاليد الأمور، وما يُخاف منه لم يحصل.

مسلم المشبع بالروح الإيمانية، المتمثّلة قوانين الإسلام في سلوكه، الذي بلغ التزامه إلى مرتبة بحيث لم يقتل ابن زياد وهو العدوّ الأوّل ورأس الحربة عند حضوره في دار هانئ، لأنّ مبدأً إسلامياً يمنع من استعمال الفتك في مثل هذا الحال فكيف به في بقيّة الأمور.

ألقِ بصرك حيث شئت في شرق الأرض وغربها، أتجد لمسلمٍ نظيراً؟! وهكذا هو الإسلام.

مسلم هاشميّ متشبّع بالروح والمفاهيم الهاشمية وكلّها نُبل وسموّ وتعالٍ عن سفاسف الأمور ورذائلها، فتجلّت تلك الروح فيه حتّى كفّ يد أنصاره عن رذائل الأعمال ووجّههم نحو الهدف السامي المراد تشييده.

واقلب الحال عند ذكر عدوّه ـ آل أميّة وأنصارهم ـ الذين يقتلون الرضيع، ويسلبون المرأة حجلها بدعوى: إن لم أسلبها سلبها غيري، ويقتادون عائلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ النساء والصِبية ـ بأسوأ حال، ولم يُعرف عنهم أنّهم أسروا أحداً من ساحة المعركة بل كان همّهم القتل، وقطع الرأس، ونيل الجائزة، وكفى.

إن تواجد مسلمٍ في ساحة الأحداث إن لم يُفِد الحركة ويدفع بها إلى الأمام ويبث فيها روحاً حماسياً عالية فهو لم يؤثّر فيها سلباً قطعاً.

كيف: وجوده أدّى إلى إقبال الكوفيين من كلّ حَدبٍ صوب للمشاركة في التعجيل بانهيار الكيان الحاكم ولطيّ صفحة بني أمية ولتعضيد حركة مسلم رضي الله عنه، ولعلّ المشاركة الواسعة هي أحد أسباب الانهيار السريع؛ إذ ظهرت فيهم روح التواكل واضحة مما دفع هذا وذاك إلى الانسحاب من الساحة، وإذا بالانسحاب يستشري ويتوسّع وهذه إحدى الآثار السيئة لجريمة ـ الفرار من الزحف ـ فالانهيار حدث: لروح التواكل، وحب السلامة، والخوف العظيم من بطش الأمويين.

مسلم يقود المدينة الأعتى:

الكوفة مدينة الأجناد، أسّست لتكون مقرّاً للعساكر ومجتمعاً لها فمنها يكون الانطلاق إلى فتح البلدان، ومن خلالها تُرفد الجيوش الإسلامية لما تحتاج إليه من عدّةٍ وعَدَد.

فهي من أهمّ المدن في المجتمع الإسلامي وأكثرها تحسّساً لمجريات

الأحداث، ومن أمسك بها أمسك بزمام الأمور، وبخناق الدولة.

هذه المدينة أرّقت كلّ من حكمها، أتعبت أمير المؤمنين، كما أتعبت أعداءه، أرّقت الدولة الأموية كثيراً وشغلت ساستها وأرعبتهم حتّى ما رأوا لها علاجاً غير عتاة الولاة وأشرسهم وأقذرهم وغير سياسة الفتك والإبادة والقتل والنفي وهدم المنازل.

هذه المدينة العصيّة على قادتها، اختار لها إمام الهدى الحسين بن عليّ ابن عمّه مسلم بن عقيل قائداً ومرشداً لها، ورائداً له.

كيف يتمكّن غريب ليس من أهلها من الدخول إليها ومن الإمساك بزمام الأمور فيها ومن السيطرة على شيوخها ورؤسائها وأهلها مع الالتفات إلى حضور كيان الدولة الطاغوتية وجهازها في ساحتها بوجود الوالي وأتباعه وحرسه وجنده ومواليه.

يا له من تكليف شديد يُناط بمسلم ذي الروح الملائكية.

إنّ هذا التكليف كشف عن جوانب العظمة في مسلم.

علمه، استقامته، ورعه، إيمانه، فدائيته، هيبته، بلاغته وفصاحته، معرفته بخصوصيات المجتمع وسننه، تمسّكه بإمامة الحسين عليه السلام وبحقّه في القيام مقام النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لحراسة دينه، وإدارة شؤون دَوْلَتِه، وإرشاد أمّته.

مسلم في الأسر

لم تتمكّن القوّة العسكرية الضاربة الأموية من إلقاء القبض على مسلم، وهو فرد واحد لم يتصدّ لإعانته أحد غير ما صدر من طوعة، وهم جند مدرّب مسلّح يعدّون بالمئات.

لم يتمكّنوا منه أبداً رغم سيوفهم ورماحهم ونبالهم وجموعهم حتّى فعلوا فعلة الجبناء الغدرة اللئام.

لقد عرضوا عليه الأمان وأن لا خوف عليه، ونصبوا له الكمائن.

ومن نافلة الكلام أن نبيّن أنّ مسلماً يعلم علماً قطعيّاً أن لا أمان لهؤلاء إذ لم يُعرف في قاموسهم عنوانٌ لفضيلة أو مكرمةٍ، أو معانٍ إنسانيةٍ نبيلةٍ، أو احترام ميثاقٍ إذ الغدر شأنهم في طول مسيرتهم الوجودية جيلاً بعد جيل.

معاوية غدر بالإمام الحسن بعد عقد الصلح ونكث على منبر المسلمين أمام الإمامين السبطين، وأمام الجيشين وفي بيت الله ــ مسجد الكوفة ــ عهوده والتزاماته، ثمّ ما فتئ حتّى قتله.

أيّ أمانٍ لجمع بايعوا الإمام المعصوم بعدما كاتبوه واستنهضوه عشرة أعوام، ونكثوا خلال يومٍ، ومنهم أماثل الكوفة وعيونها، فكيف بذوي نزعة السوء منهم، لقد أخذ منهم الوعد بالأمان، وإنْ علم أن لا أمان لهم ولا ميثاق، لأنّه لا حلّ آخراً في البين ـ وفي نصٍّ آخر أنّهم مع وعده بالأمان فقد حفروا له حفيرة فسقط فيها وتمكّنوا حينذاك منه ـ

إذ لو لم يلتزموا بالأمان فسيقتلونه وهو مصيره المحقّق على كلّ حال، وقتله بأمان أفضل؛ لأنّه سيحقّق نتيجةً أفضل، إذ فيه إلحاق الخزي والعار بالفئة الحاكمة ويظهر حقيقة التزامها بالخطّ الإسلامي أمام أوليائها الذين ما فتئوا يوالونها ويَدينون بطاعتها والتزام إسلاميّتها مع كلّ ما جرى منها وهل هذا منهم إلاّ مخادعة لأنفسهم.

الفئة الحاكمة ما تمكّنت من أسر شخص واحد إلاّ بالخديعة ثمّ غدرت به وقتلته وما تحمّلت التزاماً إسلامياً واحداً إلاّ وحلّت عقدته ونفّذت في سيّدها الحقيق مأربها الخسيس.

ثمّ إنّ قبول مسلم بالأمان يعطيه فرصة لتدارك بعض أموره؛ منها: محاولة إيصال خبر وضع الكوفة الفعلي إلى سيّد الشهداء كي يتّخذ موقفاً إزاء الوضع الجديد، فلا يصل إلى الكوفة، أو يقدمها بعد الاستعداد لها استعداداً أمثل، يناسب ما بلغت إليه الأمور وأظهرته الفئة المتغطرسة من بطش.

مسلم يحاول المستحيل

ما إن ننتهي من ذكر مكرمة لمسلم رضوان الله تعالى عليه، أو مأثرة عنه، حتّى تطالعنا أخرى تحكي عن جوانب العظمة في هذه الشخصية، ممّا يكشف عن سموّها وكمالاتها، وعن استحقاقها لرفيع المقام، وللمنصب الذي عهد إليها.

ومن مآثره: اهتمامه بإيصال خبر الوضع الجديد لأهل الكوفة إلى الإمام الحسين عليه السلام.

إذ إنّ الكوفة بعدما بقيت تُراسل الإمام عليه السلام سنين عِدّة كي يقدم إليها ويتسلّم زمام أمرها إلى حيث إسقاط دولة أمية ـ فروع الشجرة الملعونة في القرآن ـ وإقامة دولة آل محمد سفينة نجاة الأمة، ومن بعدها أرسل الإمام مسلماً ليطّلع على أحوال الكوفيّين عياناً فوصلها مسلم ورأى إقبال الناس عليه ومبايعتهم له مع أن الحكومة الأموية قائمة وواليها في الكوفة موجود مبسوط اليد، كتب مسلم إلى الإمام بالحضور وإذا بأهلها ينكثون عهدهم ويتنصّلون من بيعتهم بعد بدء الإمام بمواجهة السلطة وحيث لا يمكن التوقّف.

فحاول مسلم المستحيل في سبيل إيصال خبر انتقاض وضع الكوفة وانقلاب الأمور فيها وغدر أهلها إلى سيّد الشهداء عليه السلام.

إذ كلّف اثنين من قادة الجيش الأموي بإيصال الخبر إلى الإمام عليه السلام، أحدهما: محمد بن الأشعث بن قيس، قائد الجيش الأموي الذي اعتقله، والذي بذل الأمان له.

وثانيهما: عمر بن سعد بن أبي وقّاص قائد جيش الكفر الذي حارب ابن رسول الله وذبحه وقتل خيرة الهاشميّين والمؤمنين، وسبى نساء النبيّ وعائلته وصغار أولاده.

ومن هذا الاختيار نعلم ظروف مسلم رضي الله عنه ومستوى الأناس المحيطين به في تلك الساعات الأخيرة من حياته المقدّسة، وشدّة إصراره على إيصال الخبر بكلّ طريق ممكن إلى الإمام القائد صلوات الله عليه.

وهنا أمران نؤكّد عليهما:

الأمر الأوّل: الإيثار ونكران الذات من مسلم تجاه إمامه وقائده خليفة رسول الله وحامل رايته الحسين بن علي عليهما السلام، وهذا ظاهر في طول مسيرة مسلم.

إلاّ أنّ دلالته هنا وعبرته أعظم لأنّ الخطر الفعلي محدِقٌ به ومع ذلك لم يأبه لنفسه، ومسلم في سلوكه هذا يمثّل الطرف الآخر في الوجود الإنساني والطرف الأوّل يتمثّل في غالبية الناس من التفكير في أنفسهم أوّلاً والتأمّل في حسابات الربح والخسارة الآنيّة قبل الإقدام على عملٍ ما.

الأمر الثاني: محاولة مسلم تدارك ما قام بإبلاغه للإمام في رسالته السابقة، من توفّر الأوضاع الملائمة للثورة ضدّ الأمويين، والتزام أهل الكوفة بنصرة الإمام عليه السلام عبر العقود والوعود التي قطعوها على أنفسهم لمسلم.

وكانت محاولة مسلم لإيصال الخبر للإمام كي يتدارك الأمر ويتّخذ الموقف المناسب، فيها استماتة واضحة، إذ التجأ ـ لعدم توفّر المعاضد والنصير ـ إلى تكليف رجلين هما من قادة الجيش الأموي للقيام بهذه المهمّة.

ولكن، هل وَثِقَ مسلمٌ حقّاً بقيام هذين بهذه المهمّة فيوكل إليهما هذا الأمر العظيم؟

والجواب يتّضح من خلال التأمّل ممّا قدّمناه.

إذ لم يكن لمسلم خيار، وما من أحد يثق به الوثاقة المطلوبة كي يكلّفه فقد احتوشه الذئاب من كلّ مكان وقطعوا كلّ صلةٍ بينه وبين كلَ من له عُلقة ولاءٍ بمسلم فأنّى له بمن يُرسله إلى الإمام.

ثمّ إنّ هذين ـ عمر بن سعد ومحمد بن الأشعث ـ لم يكونا في تلك الآونة، عدوّين لمسلم تلك العداوة المطلقة التي يحدّث عنها التأريخ في ابن زياد وفي شمر بن ذي الجوشن، نجد مثلاً أنّ عمر بن سعد حاول التنصّل من الخروج لحرب الإمام حينما كلّفه بهذا ابن زياد غير أنّ الأخير خدعه بولاية الريّ وجرجان إن حارب الإمام وأنهى له هذه القضية بما تُريده الفئة الحاكمة الفاسدة فوقع في الفخّ وتمكّن منه الشيطان إذ أتاه من نقطة ضعفِه.

ثمّ لم يزل ابن سعد يحاول الوصول إلى حلّ وسط في كربلاء مع الإمام وقارب الأمر هذا، إلاّ أنّ ابن زياد ـ بتحريض شمر ـ قطع عليه محاولاته وألجأه إلى اعتقال الإمام باستسلام تامّ أو قتاله وقتله، وعند هذه النقطة من الأحداث انقطعت العُلقة تماماً بين ابن سعد وبين الطرف الآخر ـ طرف الإمام وصحبه ـ

فهو إلى ما قبل المعركة بأيّام كان قابلاً لانتهاج خط أبي هريرة وخط أبيه سعد بن أبي وقّاص وهو خط الصعود إلى الجبل أو خط الحياد كما هو مصطلح هذا الزمان.

وأمّا محمّد بن الأشعث فهو وإن كان من خط الكيان الحاكم إلاّ أنّه كان يمكن تكليفه بمهمّة من هذا القبيل، إذ إنّ إيصال الخبر إلى الإمام ليس فيه إذكاء خطرٍ ضدّ الكيان الحاكم بل على العكس فيه إيقاف خطرٍ يتهدّده ولا يُعلم عواقبه.

مسلمٌ إذن، فعل ما نالته يد قدرته في إيصال الخبر إلى الإمام.

وأمر آخر يُنبئ عن شدّة إيمان مسلم وقوّة يقينه:

روي أنّه طلب من جلاّديه أن يمهلوه كي يصلّي ركعتين قبل أن ينفّذوا جريمتهم العظمى فيه، فصلّى ثم دعا الله سبحانه أن يوصل الخبر إلى سيّد الشهداء بما جرى.

الواضح: إنّ كلّ ما صنعه مسلم في هذا الغرض قد آتى نتائجه وحصل ما كان يرجوه.

أمّا ابن سعد وابن الأشعث فقد بعثا ـ كلٌّ على انفراد ـ من يُبلّغ الإمام رسالة مسلم بما آلت إليه الأحداث.

فعن تاريخ الإسلام للذهبي: أرسل ابن سعد رجلاً على ناقة إلى الحسين يُخبره بقتل مسلم بن عقيل(١).

---

(١) تأريخ الذهبي: ج٢، ص٢٧٠ و ص٣٤٤.

وفي الأخبار الطوال؛ وصول رسول محمّد بن الأشعث وعمر بن سعد إلى الإمام بما كان سأله مسلم أن يكتب به إليه من أمره، وخذلان أهل الكوفة إيّاه، بعد أن بايعوه[١].

وروى الطبري[٢]: أنّ محمّد بن الأشعث أرسل إياس الطائي وقال له:

القِ حسيناً فأبلغه هذا الكتاب، وكتب فيه الذي أمره مسلم بن عقيل وقد التقى إياس بالإمام وأخبره الخبر وبلّغه الرسالة[٣].

وأمّا نتيجة الدعاء، فإنّ الإمام التقى بفارسين في منطقة تُدعى زرود عندهما خبر من الكوفة فأبلغاه خبر مسلم وهانئ وما جرى عليهما.

بل إنّ الإمام التقى هذين الفارسين، ومبعوثي ابن سعد وابن الأشعث، والفرزدق أو الطرماح وغيرهم وكلّهم أخبره خبر مسلم بالخصوص، أو بانقلاب الأوضاع في الكوفة لصالح بني أمية.

ومن نافلة القول أن نوضّح أنّ الإمام كان على علمٍ مسبق بجميع أحداث مسيرته، علِماً استقاه من جدّه النبيّ الأعظم، ومن أبيه الوصي، ومن طرقٍ أخرى تتهيّأ للإمام المعصوم، حجّة الله على البشر وخليفته في خلقه.

---

(١) الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري: ص٢٤٨.

(٢) تأريخ الطبري لمحمد بن جرير الطبري: ج٦، ص٢١١.

(٣) معالم المدرستين للسيد مرتضى العسكري: ج٣، ص٦٥ ـ ٦٦.

مسلم في مجلس ابن زياد

دخل مسلم مجلس حكم ابن زياد وملء إهابهِ تلك النفس الهاشمية الكبيرة المتسامية التي لا تأبه لظالم أو متجبّر.

دخل على ابن زياد دون أن يُسلّم عليه بالإمرة.

كان أعظم همّ مسلم في تلك الساعة أن يوصي ما في نفسه؛ لأنّ القتل أصبح منه قاب قوسين أو أدنى فلا فائدة من الاهتمام لهذا الأمر والأجدر الالتفات إلى الأهمّ.

الأهمّ في نظر مسلم في تلك الساعة وذلك الظرف:

أ ـ تسديد ديونه.

ب ـ ضمان دفن جُثّته.

ج ـ إيصال أخبار الكوفة وأهلها ـ بحسب وضعها الأخير ـ إلى الإمام الحسين كي يتّخذ الموقف المطلوب.

بعدما أوصى بما يهمّه.

التفت ابن زياد إلى مسلم قائلاً: إيهٍ يا ابن عقيل، أتيت الناس وهم جميع فشتّت بينهم، وفرّقت كلمتهم، وحملت بعضهم على بعض.

نفس المنطق الذي كان يتحدّث به زعماء مكّة في مقابل الدعوة المحمّدية في أيّامها الأولى، وكأنّ بقاء الناس وحدة واحدة، وكلمة متّفقة، من المهمّ المطلوب وإن كانت وحدتها واتفاقها على خلاف إرادة الله، وعلى خلاف أمره ونهيه.

أجابه مسلم: لستُ لذلك أتيت، ولكنّ أهل المصر زعموا أنّ أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر فأتيناهم لنأمر بالعدل، وندعو إلى حكم الكتاب.

فما ردّ ابن زياد بغير الشتائم.

لقد لطم مسلمٌ ابن زياد اللطمة الشديدة ببيانه هذا، وأذهله عن الجواب وصرّح بزيفه وزيف الجهة التي يعمل تحت إمرتها في مجلس سلطانه، وبينه وبين الموت خطوة.

ثمّ ما كان جواب الطاغية على بيان مسلم وحديثه إلاّ أن قال له: قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يُقتلها أحدٌ في الإسلام من الناس.

فأجابه صهر عليّ عليه السلام وربيبه: أما إنّك أحقّ من أحدث في الإسلام ما لم يكن، وإنّك لا تدع سوء القتلة وقُبح المُثلة وخُبث السريرة ولؤم الغلبة، فما زاد ابن زياد على شتائمه إلاّ بشتائم، ثمّ أمر بضرب عنق مسلم.

استشهاد مسلم ومدفنه

استعمل الجند الأموي أساليب عِدّة للتمكّن من مسلم ولإلقاء القبض عليه، بعد استعلام مكان وجوده.

١ ـ فأوّل ما فعلوه أنّهم وضعوا الجائزة المُغرية لمن يجيء به.

وجعل الجوائز يُنبئ عن حقيقة من حقائق بني أميّة: تفضيل الذات في التمتّع بمزايا الدولة وخيراتها، ومن هو كالذات كالأولاد والأزواج والأقارب، ومن هم في خدمة الذات المتسلّطة ومن يتعلّق بها كالمحاسيب والأتباع والأذناب وهذا ابتداءً جليّاً أيّام عثمان.

أمّا غير من تقدّم فإنّ الخطّة قائمة على ترغيب ذوي الشأن والإمكانات فإن خضع ودخل في زمرة الأتباع، فإنّه يُعطى الشيء وإن كان ما يُعطاه دون ما تناله الطائفة الأولى بكثير، وإن أبى حَلّت به الكوارث وسُلبت منه النِعم.

أمّا عامّة الأمّة فلا نصيب لها في خيرات الدولة ومتِعها ومزاياها من قليل ولا كثير، وإنّما نصيبها البؤس والجوع والضُرّ على كلّ حال، وعليها الخضوع لأمر الرؤساء القبليّين أو الحكّام المنصّبين فإن أطاع نال ما لا يُسمن ولا يُغني من جوع وإن عصى فالموت ينتظره.

فالحرمان هو القاعدة ولا تفكّر والحال هذا إلاّ بلقمة الغد والأمن من سطوات الحاكمين، وهذا في الواقع جزء من المحنة التي أوقع الأمّة فيها من تسلّط على رقابها بالسيف والإرهاب بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ غير عليّ أمير المؤمنين وولده السبط الحسن المجتبى صلوات الله عليهما ـ كما أنّ هذا الحال جزء من الامتحان الربّاني لهذه الأمّة، وعلى الأمّة اتّخاذ الموقف الصحيح عند المحنة كي تنصر الله سبحانه:

﴿...إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[1].

وتنجو من سطواته سبحانه، إذ سطواته محيطة بالظالمين ومن يشدّ أزرهم ويعينهم على مرادهم.

على أنّ الأمّة سقطت في بحر الفتنة، والامتحان الإلهي نتيجة فعلها وغبائها وسوء اختيارها إذ اختارت غير ما اختاره الله لها وخضعت لمن لا لزوم في اتباعه وتركت من عيّنه الله تعالى بالنصّ الواضح والاسم الصريح وسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونصوصه الكثيرة المتضافرة المتواترة حجّة على الكلّ، ولاتَ حين مندَم.

وممّا يَحْسُن التنبيه له هنا والتأكيد عليه وإلفات النظر إليه، والرجاء إعطاء التأمّل فيه حقّه:

أنّ البحث في جوانب سيرة المعصومين عليهم السلام والتأمّل فيها يُعطي ويُفيد أنّ الأئمّة استفادوا من المال في سبيل دعم الإسلام ونشره وتقوية الإيمان

(١) سورة محمد، الآية: ٧.

والترفيه عن المحرومين ودفع غائلة النواصب والمخالفين والحاقدين، وقضاء حوائج المحتاجين، وكانوا يفضّلون الأبعد على الأقرب ومن الخوالد في هذا المجال ما نزلت له سورة الدهر:

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾[1].

ومن المعلوم أنّ الأسير من الكفّار، وأنّ أمير المؤمنين والأبرار الذين معه قدّموا الأسير على أنفسهم.

فالأئمّة عليهم السلام يسخّرون المال لدعم الإسلام ولما تدعو إليه مكارم الأخلاق، ولا يسخّرونه للضغط على إنسان لإركاعه ولسلب إرادته، أو يتركونه فريسة الجوع والحرمان كي ينالوا طاعته وامتثاله، والقاعدة التي ينظر من خلالها إلى محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنّهم لا مثيل لهم في مكارم الأخلاق وسموّ الأهداف وليس لشيعتهم إلاّ أن ينهجوا نهجهم، والإجمال في هذا المقام أجمل، وللتفصيل محلّ آخر.

٢ ـ تهديد كلّ من يؤويه بإهدار دمه.

٣ ـ تهديد ابن زياد لمدير الشرطة بإعدامه إن أفلت مسلمٌ منه.

٤ ـ بثّ العيون والجواسيس لمراقبة الأزقّة.

٥ ـ تخويل الشرطة بل توجيه الأوامر لهم بتفتيش جميع الدور في الكوفة.

---

(١) سورة الدهر، الآيات: ٨ ـ ١١.

٦ ــ إرسال جمعٍ كثير من الجُند لإلقاء القبض عليه.

٧ ــ اختيار الجُند من عشيرة معيّنة لا تأبه لمقاتلة مسلم وتأمير أحد شيوخ هذه العشيرة عليها في هذه المهمّة كي تأخذ الأوامر الموجّهة إليهم تأثيرها المؤكّد.

٨ ــ رميه بالأحجار وبأكوام القصب المحترق مع احتشاد العشرات عليه ومقاتلتهم إيّاه بكلّ سلاح، وهو واحد ولا نصير له.

٩ ــ ثمّ ختموا خطّتهم ببذل الأمان المؤكّد له وكان قد عجز عن القتال وأثخن بالجراح وكانت النتيجة ميؤوساً منها جدّاً لعدم المعاضد والنصير، غير أنّهم بمجرّد تمكّنهم منه سارعوا لنكث عقدهم ووعدهم وإبداء معالم الغدر له.

١٠ ــ ويُقال إنّه إضافة إلى ما تقدّم فإنّهم حفروا له حفيرة وألجأوا إلى السقوط فيها فتمكّنوا منه حينذاك[١].

بعد إلقاء القبض عليه، جرّدوه من سلاحه، ثمّ قدّموه إلى ابن زياد، لم يترك مسلم الوصيّة في هذه الساعة، وهو محتوَشٌ بهذه الفئة المستهترة، وقد تقدّم الحديث عنها وعن المقابلة التي تمّت بينه وبين الطاغية ابن زياد.

ثمّ بعد هذا أمر ابن زياد بكر بن حمران ــ وكان قد ضرب مسلماً في أثناء القتال فردّ عليه مسلم ضربته بضربة عظيمة ــ بأن يُنفّذ الجريمة، فصعدوا به فوق قصر الإمارة يسبّح الله ويحمده ويستغفره شاكراً له على حُسن بلائه، شاكياً إليه سوء الناس وسيّئات مواقفهم، ويصلّي على ملائكة الله ورسله ويقول:

---

(١) ينابيع المودّة لسليمان الحنفي القندوزي: ج٣، ص٥٨.

«اللهمّ أحكم بيننا وبين قوم غرّونا وخذلونا»[١].

وروي أنّه صلّى ركعتين ودعا الله سبحانه.

ثمّ ضربوا عنقه، ورموا برأسه وجثمانه المقدّسين من أعلى القصر.

واليوم: مرقد مسلم بن عقيل يُناطح السحاب، ويقصده الملايين من شتّى بقاع المعمورة، يستنشقون عطر الكرامة والشمم، ويستذكرون المواقف العظيمة لبطل الإسلام مسلم، ويلعنون قتلته ويتبرّأون منهم ومن نهجهم وأهدافهم وفكرهم ورجالهم ومن يُحسب عليهم ومن يُدافع عنهم ومن يُبرّر لهم.

مسلم بن عقيل يرقد اليوم في موقع يأخذ شكل الزاوية بين المسجد الأعظم في الكوفة وقصر الإمارة الذي عفى على بنائه الزمن وليس منه اليوم غير حُفرة أساسه، ويقع مرقده في الجهة الشرقية من مسجد الكوفة، ويُقابله ــ بُعْدَ أمتار ــ مرقد ناصره هانئ بن عروة، كما يرقد إلى جنبه المختار بن أبي عبيد الثقفي الآخذ بثأر الحسين وأهل بيته وصحبه بل بثأر الإسلام.

وبلغ خبر استشهاد مسلم للإمام القائد وهو في طريقه إلى الكوفة فارتجّ الموضع بالبكاء والعويل لقتله وسالت الدموع عليه كُلّ مسيل.

---

(١) مبعوث الحسين عليه السلام لمحمد علي عابدين: ص٢٢٢.

المرقد المبارك

في أيّامنا هذا، في وسط مدينة الكوفة، وعلى يمين المتوجّه من مدينة النجف الأشرف إلى بغداد، وبجوار مسجد الكوفة، من جهة حائطها الشرقي.

توجد مراقد ثلاثة متجاورة.

أعظمها وأشمخها وأهمّها: مرقد مسلم بن عقيل.

وبجواره مرقد المختار بن أبي عبيدة الثقفي، الآخذ بثأر الحسين من قتلته المباشرين ويقابله مرقد هانئ بن عروة، قرين مسلم في الكفاح والشهادة.

يرقد في تلك البقعة الشريفة أوّل شهيد من القافلة الحسينية.

شهيد عزّ على الحسين مصرعه، وأورث قلوب أهل البيت النبوي وشيعتهم كُرَباً وأحزاناً، وأجرى دموعهم عبر السنين المتطاولة.

بل أبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأجرى دموعه وهيّج شكواه إلى ربّه على ما في أمالي الصدوق.

هاهنا مَعْلَمٌ شامخ لأهل البيت، يحكي تأريخهم ومحنهم مع الأمّة.

يحكي ما قدّموه من تضحيات جسام، لإرجاع الأمّة إلى الطريق القويم.

يحكـي المـستحيل الـذي سـلكوه، لإنقـاذ رقبـة الأمّـة مـن مـشانق سـفلتها المتأمّرين الغاصبين بعنوان أمير المؤمنين وخلفـاء رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه وسلم وأولياء الأمور، هؤلاء الذين ورد بحقّهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّهم أصحاب الملك العضوض.

هؤلاء هم القرود الذين نزوا على منبر رسول الله وغفلـة مـن الـزمن وكـسالةٍ من معظم الأمّة.

هؤلاء هم الشجرة الملعونة في القرآن.

فماذا تريد معرِّفاً أجلى من هذا، لكي تنبذهم وتعرف حقيقة خبثهم الذاتي، أصلاً وفرعاً وثمراً وآثاراً.

مسلم بن عقيل يرقد، لكنّه يحكي للأجيال المتتابعة المتسائلة، عمّا فعلـه آل البيت وذرّيتهم وشيعتهم المخلصون الفدائيوّن الربّانيوّن لتمهيد الحياة الأسعد لهم.

لكنّ العائبة علينا.

أنحن خلف ذلك السلف؟ الذي نَبَذَ زُخْرُف الحيـاة ولـبس أكفانـه وحمـل عمود صلبه معه، وصدع بأمر الله، وجهر بالحقّ فأحيا الحقّ ونشره، من بعدما اقتصر على قلائل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وبعدما كاد كلّ شيء ينتهي وتسدَلُ الخاتمة.

هل انتهت قضية مسلم؟

لقد جاهد مسلم وفدى بنفسه الزكيّة، لتحقيق أهداف مازالت بعيدة المنال إلى اليوم، غير أنّ قضيّته لا يمكن إسدال الستار عليها لأنّها أهداف القرآن.

أهداف أمر الله سبحانه ورسوله بها، وقام لأجلها نظام التكوين والتشريع، فلابدّ لها أن تتحقّق وإن طال الزمان وتضافرت الصعاب إلاّ أنّها لن تتحقّق على أيدي المنحرفين والخائبين ـ وما ينبغي لها ـ ولن تتحقّق على أيدي أصحاب المطامع والنظرات الضيّقة.

لابدّ لها من نفوس عامرة بالهدى، هدفها تحقيق الإرادة الإلهية وسيادتها في الأرض، وتحقيق الحياة النظيفة الكريمة، يتّخذ الناس فيها الدنيا مزرعة للآخرة وقنطرة لحياةٍ أكرم وأجلّ وأسمى، لا أن تكون الدنيا بنظرهم نهاية المطاف، فعليهم أن يحتلبوها بكلّ قواهم، وبكلّ طريقةٍ أتيحت لهم، إذ هي بئس الحياة، وأسخفها وأرذلها.

والذين أراد لهم مسلم علوّ الكلمة وظهور الأمر ما زالوا يعيشون أجواء التقيّة درعاً وشعاراً وآخرهم في الغيبة منذ قرابة الألف ومائتي عام.

وقوانين الحياة التي أراد لها مسلم السريان والشيوع والتطبيق ما زالت غريبة في ديار المسلمين.

والفئة التي حاولت محقها ما زالت هي المسيطرة على مقدّرات بلاد المسلمين وعلى عقول المسلمين.

قضيّة مسلم لم تنته، وساحة كفاحه مشغولة بالصراع، ولابدّ لحركته أن تستمرّ وتدوم؛ لأنّنا ندّعي أنّنا على نهج أولئك الأبرار وحمل قضيّتهم.

غيبة قادة الأمّة عن الساحة لا تخوّلنا إهمال الأمانة التي نحملها منذ أكثر من ألف عام، هي تركة ثقيلة ومسؤولية جسيمة ولا ريب، لكن ثمن القيام بها الجنّة وهو ثمن ربيح.

نحن من تعهّد بمواصلة الطريق والاستمرار في حمل الأمانة إلى ظهور صاحب الأمر وبعد ظهوره، نحن الذين في أعناقنا ديون كثيرة لأولئك الأبرار، فهم سبب طهارة ذاتنا وسبب ارتباطنا بالسماء وانتمائنا للإسلام والإيمان، وسبب بقاء الصلاة في هذا الارتباط والانتماء بعد أربعة عشر قرناً على ظهور الإسلام العزيز، الظلامة التي ناضلوا من أجل رفعها مستمرّة.

وثأرهم الشخصي ممّن ناهضهم وقتلهم ووقف أمام تحقيق أهدافهم لم يؤخذ، وليست حركة المختار بآخر المطاف.

آخر المطاف: النهضة الإسلامية العظمى التي يُعلنها ويتقدّمها ويرفع لواءها الإمام المنقذ أمل الأنبياء والأوصياء والشهداء والصلحاء.

كنز ادّخره المولى سبحانه لقلب صفحة الظلم والجور والفجور والطغيان وإلى الأبد.

كنزٌ مخفيّ ومنسيّ.

على أعتاب حضرته، تقف كل جيوش الله سبحانه، تنتظر الأمر منه، وتهرول إلى الهدف بإشارة منه.

أمّا هو فينتظر الأمر الإلهي فقط.

لن يتحرّك لرسائل جهة ما، ولا لوعودٍ وإن صاحبتها مواثيق وعهود.

لن يسمحَ بطفّ ثانية.

حينما يظهر.

سيحقّق أهداف السماء في الأرض.

سيحقق الأهداف التي سعى الأنبياء ومن على دربهم لتحقيقها وحال دونها الطغاة والفجرة وأهل الأطماع.

وسيأخذ ثأرهم جميعاً.

ومساحة الانتقام لا تقف ضمن الحدود التي توقّف عندها المختار الثقفي.

بل ستشمل كلّ من رضي بقتل الحسين عليه السلام.

الحسين ثأر الله، وثأر الله يأخذه الله، بِيَدِ كَنْزِهِ المذخورِ لِيَوْمِ الله.

عجّل الله سبحانه له الفرج والظهور، وكتبنا في المرضيّين عنده، في غيبته وظهوره.

كيف نحيي ذكرى بطل الإسلام مسلم؟

لا ريب أنّ للقائد الإسلامي العظيم، مسلم بن عقيل، خصوصية وتميّزاً عن بقيّة القادة، والشهداء، ممّا يستدعي اهتماماً بإحياء ذكراه مما ليس لغيره، ولابدّ من التأكيد على تلك الخصوصية حتّى يتّضح تماماً وجه تخصيصه بإحياء ذكراه بما يتميّز به عن بقيّة شهداء الأمّة.

وكتابنا هذا يتكفّل ببيان جوانب مشرقة عن هذا البطل العظيم، وبيان أوجه تميّزه عن بقيّة الشهداء، ممّا يستدعي اهتماماً استثنائياً لإحياء ذكراه.

وأمر آخر أهمّ.

أنّ مسلماً وحركته تابعان للقضيّة المركزية ــ قضية الإمام الحسين عليه السلام وحركته ونهضته المقدّسة ــ التي هي ثورة الإسلام كلّه على خطّ الانحراف والطغيان والارتداد عن الإرادة الإلهية والتعاليم القرآنية والوصايا النبوية المؤكّدة.

الإسلام صراط مستقل وخط واحد لا يقبل الميلان عنه قليلاً أو كثيراً، فمن أخذ يميناً وشمالاً فقد زلّ عن خطّ الإسلام وخرج عن المطلوب الربوبي فمن أخطأ الطريق أرشد إلى الصواب وأخذ بيده، ومن تعمّد الانحراف فلا جواب له إلاّ القوّة وحدّ السيف، فكيف بمن عقد العزم على نسخ الإسلام، وجعل القرآن

كتاب تلاوة لا كتاب عمل ومنهاج حياة، وعزل القادة الحقيقيّين للإسلام وخلفاء الرسول بالنصّ ـ في الكتاب والسنّة ـ ومفسّري القرآن الوحيدين، وسفينة نجاة الأمّة وأولياء الأمور، الذين من آذاهم فقد آذى الله ومن عاداهم فقد عادى الله ومن أبغضهم فقد أبغض الله ومن ردّ عليهم فهو في أسفل دركٍ من الجحيم.

أقول: إنّ قضيّة مسلم جزء من قضيّة الحسين، وقضيّة الحسين ومظلوميّته، هي قضيّة الإسلام كلّه ومظلوميّته، فالتعامل معها على هذا الأساس.

وممّا يتميّز به مسلم أنّه لم يشر على الإمام عليه السلام ترك التوجّه إلى الكوفة والإعراض عنها وعن رسائل القوم إليه كما أشار به ابن عبّاس وغيره.

وقد دلّ هذا على عقيدة صحيحة وسلوك سليم لمسلم تجاه الإمام المعصوم الذي هو في غنىً عن أمثال هذه النصائح؛ إذ هو مسدّد من المولى سبحانه وموجّه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلاّ فما معنى عصمته، وكيف يجعل الله سبحانه أهل البيت عليهم السلام عموماً كسفينة نوح سبب نجاة الأمّة جمعاء، وأخبر عنهم أنّهم مع القرآن ومع الحقّ وأنّهم أحد الثقلين من تمسّك بهم لم يضلّ ولن يضلّ أبداً.

والوجه الثاني لتميّزه: نفس اختيار الإمام له في هذه المهمّة الهائلة والمصيريّة فإنه كاشف عن وجود ملكات وخصال واستقامة فيه، ميّزته وأدّت إلى أن يختاره الإمام، ولو لم يكن في سبب الاختيار غير استعداده لإطاعة الإمام وبذله نفسه في سبيله ونكوص الآخرين أو تردّدهم، أو عدم إعلانهم لموقفهم لكفى في إثبات التميّز له.

والوجه الثالث: إخلاصه المنقطع النظير للإمام، وفدائيّته النادرة، وخلقه الرفيع، وتديّنه في أعظم أوقات الحرج وفي أدقّ المواقف، ووجوه أخرى لتميّزه.

وإذا كان غيره يتمتّع بخصلة أو أخرى مرتبتها أعلى ممّا عند مسلم فإنّ ما يجتمع فيه لا يجتمع في غيره ـ ما خلا الإمام المعصوم ـ وهم ثلاثة في ذلك الوقت الحسين السبط، والسجّاد، والباقر صلوات الله عليهم أجمعين ـ وكذا نستثني أبا الفضل وعليّاً الأكبر.

وكلّ ما تقدّم يدلّ على إيمان عقديّ عالٍ في مسلم وتديّن شديد يعزّ نظيره في تلك الحقبة إلاّ من أوحدي الناس.

ولا تنس أنّ قضيّته قضيّة الحسين وإحياء ذكره إحياء لقضيّة الحسين بكلّ أبعادها وفضحٌ لأعدائها، وإماتة لذكرهم، في أيّ زمانٍ كانوا وبأيّ مكانٍ حلّوا.

الأمّة الإسلامية بشكل عام، في يومنا هذا فئات أربع مع هذه القضيّة:

فئة تعمل على طمس هذه القضيّة، وعلى تشويهها، وعلى تشجيع الآخرين لإهمالها، وعلى قلب الحقائق فيها، ومحاولة فعل المستحيل من أجل إيجاد المبرّر لأعظم جريمة وقعت في تأريخ الإسلام من أناس يُسمّون أنفسهم بالمسلمين، وهذه الفئة هي الأقلّ من بين الفئات المتقدّم ذكرها.

وفئة تتعامل مع هذه القضيّة تعامل اللامبالاة، فلا تنعكس على سلوكها وصايا النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلام وأوامره بشأن أهل بيته، وبخصوص ولده الحسين، وبشأن الفئة المرتدّة التي قامت بالجريمة، وهذه الفئة هي الأكثر في المجتمع الإسلامي.

وفئة تتعاطف مع الحسين وأهله وصحبه وقضيّته، وتستنكر ما صنعه يزيد وجنده، إلاّ أنّها لم تتّخذ الموقف الحازم الحاسم في هذه القضية؛ إذ إقرارها بما تقدّم له لوازم فهم اعترفوا بالملوم وأهملوا لوازمه، والحساب على الله تعالى.

وفئة أعلنت وقوفها صفّاً واحداً مع الحسين وصحبه ضدّ يزيد وجنده وحزبه فحملوا قضيّة الحسين عبر التأريخ وكتبوا عنها وأذاعوها وعقدوا المجالس لها وفعلوا كلّ ما تصل إليه يد قدرتهم في إحياء ذكر الحسين وقضيّته وفضح يزيد وأهدافه، كما أنّهم تأمّلوا للحسين وبكوه دمعاً ودماً واستخدموا كلّ الوسائل المعبّرة عن هذا التمسّك الصميمي بالحسين وأعلنوا أنّ ثورة الحسين لم تنتهِ ما دامت أهدافه لم تتحقّق كاملة وأنّ طيّ صفحات مصيبة الحسين بظهور المهدي المنتظر، الذي سيضع كلّ شيء موضعه.

أمّا اليوم، وقبل اليوم:

فقد التزم عموم الشيعة الإمامية الاثني عشرية بالخصوص ــ من دون فرق المسلمين كلّها ــ بإقامة شعائر الإحياء من جهة، وإظهار معالم الحزن من جهة أخرى للقضية الحسينية ككلّ ولمسلم بن عقيل بالخصوص.

وكما قدّمنا فإنّه ما من شيء وصلت إليه يد قدرتهم، والتفتوا إليه، ممّا كان جائزاً في الشريعة، إلاّ وصنعوه.

فالمطلوب: المحافظة على الشعائر الموجودة، والالتزام بإحيائها، مع ملاحظة عنصر الزمان والمكان، والعناوين الثانوية، المؤيّدة بفتاوى العلماء الأعلام لتحقيق الهدف من وراء هذه الشعائر الكريمة.

فقد يقتضي الأمر الزيادة في سبل الإحياء بحسب ما يتيحه لنا زماننا ومكاننا من مجالات كالاستفادة من وسائل الإعلام المختلفة لنشر القضية الحسينية وأهدافها من خلالها ومنها الانترنت والأقراص الكومبيوترية ووسائل المراسلة المختلفة، والنشرات الجامعية وغيرها ممّا لا يُحصى من مجالات الإحياء والاستفادة في عصرنا.

كما قد يقتضي الأمر الغضّ عن بعض سبل الإحياء واستبدالها بأخرى أجدى منها وأنفع في خدمة الدين وشريعة سيد المرسلين وتوضيح القضية الحسينية والتعريف برجالها والفضح لمناهضيها وأعدائها.

والمسألة تحتاج إلى ورع ووعي وإلى إحساس بالمسؤولية الجسيمة الملقاة على عاتق رجالات الأمّة في حفظ الدين وشريعة سيّد المرسلين ومواريث الأنبياء والأوصياء حتّى ظهور صاحب الأمر، خليفة الله في الأرض، الذي يضع الأمور مواضعها التي تستحقّها والتسديد والتوفيق من الله سبحانه وهو المسؤول أن يأخذ بأيدينا إلى مراضيه.

غير أنّنا لا يفوتنا أن نفهرس سُبل الإحياء المعمول بها في زماننا.

وينبغي الالتفات إلى أنّ بعض سبل الإحياء هذه منصوص عليه بخصوصه من المعصومين خلفاء الله في الأرض وبعضها لم يُنص عليه بخصوصه وإنّما استحبّ العمل به أو جاز بحسب ما تسمح به القواعد العامة الفقهية أو دخل تحت عناوين أعمّ وأشمل، مستحبّة أو جائزة.

١ ـ عقد مجالس عامّة يذكر فيها الخطيب قضيّة كربلاء بتسلسل أحداثها أو

باختيار مقطع منها، مع أبيات شعرية ترثي الحسين وصحبه وتمجّد مسيرتهم وتبث روح الحماسة والثورة على الظلم والانحراف في نفوس الجالسين، وهي أهمّ شعائر الإحياء على الإطلاق.

٢ ـ الخروج في مواكب ومسيرات جماعية تندب الحسين وصحبه، وتلعن قاتليه، مع حمل اللافتات المكتوب فيها كلمات الحسين عليه السلام، أو معاهدة الناس لإمامهم الحسين عليه السلام على حمل مشعله، وتبنّي قضيّته، وتلبية ندائه.

٣ ـ لطم الصدور حزناً على الحسين.

٤ ـ البكاء على الحسين كلّما ذُكر، وقد ورد عن الحسين:

«أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلاّ استعبر»[1].

٥ ـ السير على الأقدام من أماكن السُكنى إلى حيث قبر الحسين عليه السلام ولاسيما في مناسبات بعينها كمناسبة عاشوراء، وزيارة الأربعين، وزيارة النصف من شعبان وغيرها.

المعبّر عنها بـ(البيادة).

٦ ـ زيارة الحسين[2] في كلّ أيّام السنة، وفي كلّ الأوقات، وأفضلها في أوقات معيّنة، وهي: كلّ ليلة جمعة، وزيارات عِدة مخصوصة في السنّة، منها: زيارة عاشوراء، زيارة الأربعين، زيارة النصف من رجب، زيارة النصف من شعبان، ليلة القدر، زيارة العيدين الفطر والأضحى.

---

(١) كامل الزيارات للشيخ جعفر بن محمد القمي: ص٢١٥، الباب ٣٦.

(٢) راجع: كامل الزيارات للشيخ جعفر بن محمد بن قولوية القمّي.

وشعيرة الزيارة هي أعظم الشعائر طُرّاً وتتقدّم على شعيرة إقامة المجالس ولها الأثر العظيم في إحياء ذكر الإمام وقضيّته، وفي تحقيق أهداف يصعب حصرها.

وقد حاربها الظالمون أشدّ المحاربة عبر التأريخ، ومن أفظعها محاربة المتوكّل.

٧ ـ تقديم أنواع معروفة من الأطعمة والأشربة، وبكميّات كبيرة، وتوزيعها على عامّة الناس في المجالس المعدّة لذكر قضية الحسين عليه السلام، أو في الشوارع العامّة لكلّ صادرٍ ووارد، ويُنفق شيعة أهل البيت في هذا السبيل ما ليس له مثيل في العالم كلّه عند أتباع الأديان والمذاهب الأخرى في مناسباتهم الدينيّة.

٨ ـ إعمار المراقد المقدّسة للحسين عليه السلام ولكلّ من يتعلّق بثورته، فالإعمار يشمل مرقد الإمام الحسين ومرقد أبي الفضل العبّاس وكلاهما في كربلاء طبعاً، ومرقد مسلم ومرقد هانئ بن عروة وكلاهما في الكوفة، ومرقد ولدي مسلم في المسيّب ـ العراق، ومرقد المحسن في سفح جبل الجوشن بغربي حلب، ومرقد رقيّة بنت الحسين في دمشق.

كما يشمل مشاهد رأس الحسين المقامة في أماكن متعدّدة منها ما في القاهرة وما في مدينة مزار شريف في أفغانستان.

ويشمل مرقدين لزينب أخت الحسين أحدهما في الشام في حيّ السيّدة زينب، والثاني في القاهرة على الخلاف في مكان دفنها عليها السلام[١].

---

(١) راجع: السيدة زينب للشيخ القرشي: ص٣٢٦.

ويشمل مشهد النقطة المقام في حلب لأجل نقطة دم سقطت من الرأس المقدّس للإمام المظلوم الحسين عليه السلام حين التوجّه بالرؤوس المقدّسة إلى دمشق.

والمكان الذي وضع فيه رأس الحسين في خربة الشام المجاور للجامع الأموي.

كما يشمل (الزينبية) وهو المكان الذي وقفت فيه زينب عليها السلام ونادت سيّد الشهداء عليه السلام ساعة استشهاده، وهو في كربلاء.

و(المخيم) وهو المكان الذي نصبت فيه خيم الحسين وعائلته وصحبه في كربلاء.

ومرقد المختار بن أبي عبيد الثقفي داخل حرم مسلم.

ومرقد زين العابدين قبل التهديم الذي حصل من الوهابيين.

وفي يومنا هذا تشمخ مراقد أهل الطفّ جميعاً تناطح السحاب إلاّ قبر زين العابدين في بقيع المدينة ويشاركه في المظلومية التي لحقته قبر الحسن السبط وقبر الباقر وقبر الصادق صلوات الله عليهم أبد الدهر.

ويُضاف إلى الإعمار المتقدم ذكره إعمار قبور الشهداء وقبر علي الأكبر وقبر عبد الله الرضيع وهم داخل حرم الحسين عليه السلام.

واعمار قبر حبيب بن مظاهر الأسدي وهو داخل حرم الحسين عليه السلام.

واعمار قبر الحر بن يزيد الرياحي وهو في كربلاء ويبعد قليلا عن حرم الحسين عليه السلام.

ولعل هناك مراقد أخرى غابت عن الذاكرة فعلاً، أو جهلنا أمرها، والكلّ محلّ اهتمام الشيعة ــ حرسهم الله تعالى ــ على تفاوت في مستوى الاهتمام بحسب أهميّة المقام، وإمكانية إعماره.

على أن إعمار هذه الأماكن المشرفة المنتسبة إلى الإمام الحسين وحركته، لم يقتصر على بنائها بل تزيينها بالذهب والفضّة والقاشاني والزجاج وتزيين أرضيّتها وحيطانها بالمرمر، وفرشها بأنواع الفرش الفاخرة، ونصب الأضرحة على القبور المقدّسة وإهداء نفائس الهدايا إليها، ووقف أنواع الموقوفات كالقرآن العزيز وكتب الأدعية والزيارات ونحوها ممّا به تأدية مختلف الخدمات إلى زوّار هذه المقامات الشريفة.

٩ ـ إقامة مختلف الاحتفالات العامة باسم الحسين وإحياءً لقضيّته وهي غير المجالس المتقدّم ذكرها، فتلقى فيها الكلمات والقصائد.

١٠ ـ تسمية المولودين الجدد ـ ذكوراً وإناثاً ـ بأسماء الحسين وأهل بيته وصحبه من الرجال والنساء، فهذا اسمه حسين وذاك عبّاس والآخر علي أكبر وتلك اسمها زينب أو رقية وهكذا تخليداً لذكرى أبطال الطفّ وتبرّكاً بأسمائهم.

١١ ـ كتابة الموسوعات والكتب والمقالات المختلفة في الحسين وقضيّته وصحبه.

١٢ ـ نظم الشعر العمودي والحرّ في الحسين وقضيّته وصحبه وأهل بيته حتّى جمع الخطيب المجاهد السيد جواد شبّر بعضه في موسوعته الضخمة (أدب الطفّ) التي تمّت مجلّداتٍ عشرة ولو تُرك فلربّما شفعها بأجزاء أخر.

١٣ ــ تمثيل الواقعة في أفلام وتمثيليّات ومسرحيات في المؤسسات الإعلامية المهمّة وفي الهواء الطلق، بعمل تختلف جودته وروعته بحسب إمكانيات الطرف القائم بها.

١٤ ــ قراءة مقتل الحسين عليه السلام في مجالس خاصّة يوم عاشوراء ومن أشهرها المقتل المسجّل بصوت الخطيب الشهير الشيخ عبد الزهرة الكعبي الذي يُذاع كل عام من اذاعة العراق ومن إذاعة الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

١٥ ــ كتابة ــ المقتل ــ بسرد أحداث قضيّة كربلاء متسلسلة وقد تعارف تسمية هذا النوع من الكتب بـ(المقتل).

١٦ ــ التأليف في الأحداث المتعلّقة بالثورة الحسينية كثورة التوابين وثورة المختار وحركة سبايا آل محمد من كربلاء إلى الشام ثمّ إلى كربلاء فالمدينة.

١٧ ــ توزيع الماء ــ بالخصوص ــ على كل صادر ووارد بواسطة الأجهزة المبرّدة، وباليد مباشرة، وبذل قوالب الثلج الكثيرة في هذا السبيل، تذكيراً بعطش الحسين وأهل بيته وصحبه.

١٨ ــ خروج مواكب ضخمة يمارس فيها المشاركون ضرب ظهورهم بالسلاسل الحديدية المعبّر عنها بـ(الزناجيل) تعبيراً عن تألمّهم وعظيم مصابهم واستعدادهم لتحمّل المشاق والمصاعب في سبيل الحسين، ولكي يتحسّسوا معاناة الحسين وجنده من ضرب السيوف ومختلف الأسلحة ومع وضوح (أين هذا من ذاك) إلاّ أنّه نوع استشعار ومشاركة، ومواكب (الزناجيل) هذه تمارس في إيران على نطاق واسع جدّاً.

١٩ ـ خروج مواكب يضرب فيها المشاركون رؤوسهم بالسيوف المعبّر عنها بـ(مواكب التطبير) ويُصطلح على السيوف بـ(القامات) مشاركة منهم في ذوق ألم المعاناة التي عاشها الحسين وصحبه ـ وأين هذا من ذاك ـ، لإبداء استعدادهم للتضحية بالنفس والنفيس في سبيل الإمام عليه السلام.

٢٠ ـ استعمال السواد بكثرة في اللباس الشخصي وفي الشوارع العامّة وفي داخل المساكن إظهاراً لشعائر الحزن.

٢١ ـ رفع الأعلام السوداء واللافتات التي تحمل أقوال الإمام عليه السلام وأهدافه.

٢٢ ـ عدم إظهار مظاهر الزينة في اللباس الشخصي وفي داخل المساكن وفي الشوارع العامّة.

٢٣ ـ تعزية الناس بعضهم بعضاً باستشهاد الحسين وصحبه.

٢٤ ـ تسمية الكتائب العسكرية والثورية بأسماء الحسين وصحبه وبالأسماء المعبّرة عن ثورة الحسين مثل اسم كربلاء، الطف، الغاضرية، عاشوراء ونحوها.

٢٥ ـ كتابة القصص والروايات والمسرحيات حول ملحمة كربلاء بشكل عام، أو عن حياة الإمام سيد الشهداء أو قصّة أبطال الطفّ ومنها مسرحية عن سيد الشهداء لعبد الحميد جودت السحّار.

٢٦ ـ بناء (الحسينيّات) في طول بلاد التشيّع وعرضها.

والحسينيّة: مبنى يجتمع فيه المؤمنون لإقامة المراسيم الخاصة بإحياء ذكرى

استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه فتُعقد فيه مجالس الخطابة، والوعظ والإرشاد الديني، كما تقام فيه طرق الاحياء الأخرى، ويُستخدم أيضاً كأماكن انطلاق للمسيرات والمواكب في أيام المحرم بعد اجتماع الناس فيه، ويُستخدم أيضاً كأماكن استراحة ومبيت لممارسي إقامة هذه الشعائر المباركة، وعلى الإجمال هو مبنى يستخدم في كل ما له علاقة بإحياء ذكرى استشهاد الإمام عليه السلام في أيام المحرم، بل في طول أيام السنة، ولا يمنع تأسيسه لهذا الغرض من استخدامه لأغراض عبادية أخرى كالصلاة وإلقاء الدروس الدينية وتعليم القرآن.

ومن الطبيعي أنّ الحسينية ليست كالمساجد في الأحكام المترتبة عليها فيجوز دخول المحدث بالحدث الأكبر لها ـ كالجنب ـ وإن كان لها احترامها الخاص لارتباطها باسم الحسين عليه السلام.

٢٧ ـ السجود على التربة الحسينية في أثناء الصلاة:

معلوم من فقه الإمامية أن الصلاة عندهم لا تجوز إلاّ على الأرض أو ما أنبتت من غير المأكول أو الملبوس[١]، وقد ورد عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم:

«جُعلت لي الأرض مسجداً وطهورا»[٢].

ومع ثبوت صدور هذا الحديث الشريف عن النبي الأكرم صلى الله عليه

---

(١) جواهر الكلام: ج٤، ص٧١ و ج٣، ص٤٧٨ بشكل مفصّل.

(٢) راجع: السجود على التربة الحسينية للشيخ الأميني: ص٣٢؛ فقد نقل الرواية عن مسلم وغيره.

وآله وسلم إلاّ أن جمهور المسلمين أجازوا السجود على غير الأرض من فراش ونحوه مع منافاته لهذا الحديث الشريف.

أمّا الامامية فقد حصروا ما يجوز السجود عليه بما تقدّم ذكره.

وقد وردت روايات عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته في فضل تربة الحسين ـ وقد سُجّلت هذه الروايات في كتب الشيعة والسُنّة ـ ممّا أدّى هذا إلى التزام الشيعة بالتقرب إلى الله سبحانه بالسجود له على التربة الحسينية بالخصوص لما فيها من فضل وثواب.

وقد شنّع بعض من لا تحصيل له ولا ورع من المنحرفين عن آل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على الشيعة لسجودهم على التربة المأخوذة من أرض كربلاء، ولا وجه لكلامهم هذا غير التهريج، إذ إنّ ما قام الدليل عليه وفي كتب الشيعة والسنّة جميعاً يلزم العمل به ومن يعارض فهو رادّ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورادّ على الله وهذا على حدّ الشرك بالله كما في الخبر.

فالأولى لمن يُعارض عمل الشيعة في هذا المجال ـ مع توفّر الدليل لهم في كتب عامّة الفرق الإسلامية ـ أن يصحّح أعماله ويلتمس لها الدليل أفضل من أن يتّكئ في فتاواه وأعماله على القياس والظنون التي لا تُغني من الحق شيئاً، إذ شريعة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم الخاتم متكاملة ولا تحتاج إلى من يُشرّع لها من ظنونه وقياساته وعندياته.

وللتوسع في مسألة السجود على التربة الحسينية تُراجع الكتب التالية:

أ ـ السجود على التربة الحسينية / للشيخ عبد الحسين الأميني.

ب ـ الأرض والتربة الحسينية / للشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء.

والشيخان: كاشف الغطاء والأميني من فقهاء الإمامية الأجلاّء.

ولعلّ هناك ما لم نلتفت إليه، أو هناك طرقاً أخرى للإحياء موجودة عند الشيعة في أماكن مختلفة من نواحي العالم الإسلامي بل في غيره أيضاً.

مسلم قدوة

من أيّة جهةٍ كان مسلم قدوةً لنا؟

أ ـ أوّل جهةٍ وأهمّ جهةٍ ينبغي ملاحظتها في مسلم ـ كما ينبغي ملاحظتها في غيره عند التقييم ـ قيامه بما يجب عليه من إطاعة الحسين كإمام منصوب للمسلمين وغيرهم من الله تعالى وبنصّ من رسول الله، وخليفة لله ولرسوله في الأرض وبما يستحقّه الحسين في هذا السبيل من الناس عموماً ومن مسلم بالخصوص.

من هذه الناحية: فإنّ مسلماً أظهر إطاعةً مطلقة، وتعامل مع الحسين عليه السلام من هذا المنطلق، أي منطلق كونه إماماً للأمّة وخليفة لله ولرسوله.. الخ، ولم يتعامل معه على أساس أنّه ابن عمّ له أو من منطلق المصاهرة، أو الصداقة، أو كتعامل قائد عسكري مع قائده الأعلى وغير هذه من المنطلقات والعناوين التي لا تحفّز في المرء دوافع الإطاعة بالمستوى الذي صدر من مسلم.

إذ الواجب على كلّ مسلم أن يطيع المعصومين وخلفاء الله في الأرض وأوصياء الأنبياء ـ والحسين عليه السلام أحدهم بالنصّ الذي لا يقبل المناقشة ولا يُورث الاختلاف ـ إطاعة مطلقة، ويمتثل الأمر كما هو بشكل فوري، لأنّه أمرٌ

صدر عن معصوم لا يُخطئ وطاعته مفروضة لازمة ممّن خلق العالمين على كلّ إنسان دون أنْ يُتْرَك لهذا الإنسان مساحة للردّ والمناقشة والاختيار، وقد قام مسلم بالمطلوب على وفق الوجه الأكمل.

إنّ هذا المستوى من الإطاعة من الأمور التي لم تألفها الأمّة تماماً عبر تأريخها ـ إلاّ أن المجموعة الأقلّ ـ وقد لاقت الأمّة كلّ شرّ، وانحرفت أيّ انحراف بسبب سلوكها في التعامل مع أوامر الكتاب العزيز والنبيّ الأطهر وأهل البيت المعصومين على أساس الانتقائيّة، وبمقدار ما تفقه وجه المصلحة والفائدة من امتثال هذه الأوامر، مع أنّ في امتثال بعض الأوامر منافع يخفى أمرها على الذهنيّة العاديّة ولا يظهر وجهها إلاّ بعد شيءٍ من الوقت، ولكن حين يستوعب المرء وجه الفائدة فإنّ أمد التدارك قد انتهى وفات.

والمأساة مستمرّة، وما زال الكتاب مهجوراً، والسنّة مضيّعة، والعلماء يكتبون لأنفسهم ولثلّة قليلة من أبناء الأمّة.

غير أنّ من الأمور التي لا يمكن نكرانها تغيّر أوضاع الأمّة الإسلامية في طول البلاد وعرضها في العقود الأخيرة نتيجة صحوة عامّة، إلاّ أنّ الأمر ليس بالمستوى المطلوب وما زال ضمن مساحة ضيّقة لو لاحظنا مستوى ما نتج عن هذه الصحوة من أثر، ولعلّ الغيب يُخفي خيراً وبركات في طريقها إلى الينع.

ما أشدّ حاجة الأمّة إلى أسوة وقدوة ومثالٍ صالح كمسلم يكون مناراً نصب أعين الأجيال المتتابعة؛ لتعلم أنّ بعض معجزات النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم تتمثّل بتربيته لأمثال هؤلاء الأبطال الذين كانوا ملء سمع الدنيا وبصرها، الذين

صدرت منهم أفعالٌ على أرقى مستوى من الخلق الرفيع والتضحية العظيمة بحيث لو قورنت أفعالهم في هذا السبيل بمستوى ما صدر من باقي أفراد الأمّة لعلم أنّهم أتوا بالمعجزات الأخلاقية والتضحوية.

ب ـ جهة النُصح للإمام والأمّة: وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما نظر الله عزّ وجلّ إلى وليّ له يجهد نفسه بالطاعة لإمامه والنصيحة إلاّ كان معنا في الرفيق الأعلى»[1].

وفي صحيحة معاوية بن وهب عن مولانا الصادق عليه السلام:

«يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة له في المشهد والمغيب»[2].

وهذه خصلة ثانية، عزّت في هذا الزمان، وفي كلّ زمان، بأن يبذل المرء جهده في العمل بإخلاص وتفانٍ وبما يحقّق أهداف الإمام ويكلّل جهوده ومراده بالنجاح، على المرء أن يسدّ الثغرة وإن لم يطلب منه ذلك، وأن ينبّه للخطر وللمشكل وإن لم يكن هذا من وظائفه، وأن يعمل كأنّ القضية قضيته والربح له والخسارة عليه وأن لا يتعامل مع الأحداث بروح اللامبالاة وبروح الحسابات والمغانم، فما كان ربحه آنياً، ومحسوم النتيجة لصالحه عَمِلَ له واندفع لتحقيقه، وإلاّ فهو آخر من يتحرّك لسدّ الثغرة، التي لعلّ خطرها يأتي على الجميع فلا يُبقي ولا يذر كحال أكثر المشاكل الاجتماعية، التي يصيب ضررها الجميع بشكل أو بآخر.

(١) الأصول من الكافي للشيخ الكليني: ج١، الباب ١٠٤، من كتاب الحجة.

(٢) حدود الشريعة للشيخ محمد آصف المحسني: ج٤، ص٢٣٣؛ عن وسائل الشيعة: ج١٦، ص٣٨١.

ج ـ إنّ مسلماً كان يعمل ويُحكم عمله في كلّ خطواته؛ إذ نرى هذا واضحاً في طول مسيرته وما لم يصنعه فلعدم التفاته إليه أو لوجود المانع الطبيعي، أو الشرعي من فعله وهو غير معصوم على كلّ حال إلاّ أنّه لم يترك أمراً يستوجب الحال قيامه به.

د ـ إنّه مثّل الإمام الحسين عليه السلام خير تمثيل فلا ترى فيه خصلة الكِبَر، أو خصلة عدم الإقدام في المواقف التي تتطلّب الإقدام، وكان رحيماً بالمؤمنين، رفيقاً بهم عند تعامله معهم، وشديداً على الظالمين من غير أن تُخرجه شدّته عن الشرع، أو إلى ما لا يليق، بل نبله مع الأولياء والأعداء على السواء.

والحاصل: أنّه لم يصدر منه إلاّ ما يليق بمن يمثّل الإمام المعصوم، وخليفة الله ورسوله في الأرض.

هـ ـ إنّه حارب أراذل بني أميّة وتوقّف عن قتالهم، وقع في أسرهم، وواجه الطاغية ابن زياد، وسمع منه تصميمه على إعدامه وصعد أعلى قصر الإمارة وتقدّم لنيل مرتبة الشهادة والسعادة، وهو في كلّ هذا مرفوع الرأس، عزيز النفس، عالي الهمّة، غير مبالٍ بالحتوف، ولا متهيّب في مختلف المراحل التي مرّ بها حتّى تعجّب منه ابن زياد نفسه، مع ما هو واضح من توقّف مسيرة حركته التي كان يعمل لإنجاحها، غير الآثار الهائلة التي ترتّبت فعلاً، وستترتّب مستقبلاً، وغير الموت الذي ذاقه بكلّ رحابة صدر.

ملكات أعلنت عنها الطف

كلّ أناءٍ بالذي فيه ينضح.

مقولة صادقة، أحد مصادقيها الحركة الحسينية وما يتّصل بها، ومنها حركة مسلم رضي الله عنه.

أن نُقارن بين مسلكي طرفي النزاع في الطفّ فهو أمرٌ نافع وجدير بالذكر.

ونفعه للمؤمن: كي يزداد إيماناً إلى إيمانه بصحّة طريقه، وانحرافيّة الطريق الآخر.

وللمتمسّك بالنهج المنحرف: إذ هذه المقارنة حجّة على خطئه في اختياره، وخطيئته في تمسّكه.

وهي، كانت نافعة لأهل ذلك العصر ـ عصر الحدث ـ: ليتميّز لهم الحقّ من الباطل ـ لكنّ الفتنة إن أقبلت شبّهت وإن أدبرت نبّهت ـ

وهي نافعة لأهل هذا العصر: كي يحسم المرء أمره مع ربّه، ويتّخذ الوسيلة إليه إن شاء، وينصر ربّه وسبيل ربّه وأولياء ربّه.

على أنّه لا وجه لهذه المقارنة: من جهة أنّ أحد طرفي النزاع قد تمثّل القرآن في سلوكه كما أنّه تحت قيادة خليفة رسول الله في أمّته ـ الحسين ـ وسيّد

شباب أهل الجنّة وقد أخذ هذا الفريق بكلّ خصال الفضل والكرامة وتحلّى بمكارم الأخلاق بأعلى مرتبة.

بينما فاحت من الفريق الآخر كلّ خصال السقوط والانحطاط بأدنى مرتبة فلم يترك خصلة معبّرة عن عدم التزامه بمبدأ أو قيم أو دين إلاّ وارتكبها، فلا مجال للمقارنة بعد أن تزعّم هذا الفريق شخص هو من أبعد الناس عن الإسلام والفضائل ـ يزيد، وقد تقدّم الحديث عنه ـ فكيف يَرشُحُ عنهم خيرٌ أو مكرمة.

لكن، ما تقول لمن يشتبه عليه الطريق، ويقع في التيه، فلا يُحسن الاختيار، بين مسلكين؛ أحدهما في أعلى مرتبة والثاني في أسفل دركة، ولله في خلقه شؤون.

الإنسان المسلم، الإنسان ذو القيم، الإنسان الذي يحترم إنسانيّته وعقله، الإنسان الذي يتمسّك بدين ويكون هذا الدين صادراً عن الله سبحانه خالق الوجود وخالق الجنّة والنار، وجاعل العقاب والثواب.

لابدّ لمثل هذا الإنسان أن تكون له موازين، وأن تكون عنده حدود بين ما يمكن فعله وما لا يمكن فعله، ما بين الجائز والحرام، أمّا أن يفقد الإنسان كلّ ميزان، وكل حدّ، وكلّ قيمة، ويفعل كلّ ما تصل إليه يد قدرته غير عابئ فعلته هذه حرام، أو عيب، أو عار، أو منقصة، أو خلاف الإنسانية، أو معبّرة عن انحطاط صاحبها، أو عن فقدانه للقيم، أو أنّ فعله سبب لهدّ أركان الدين، أو المجتمع، أو باعث للفتن، وللأحقاد، فمثل هذا المرء لا يُعدّ إنساناً وبل مسخاً عُدّ من البشر شكلا وانتفى عنهم حقيقةً ومضموناً.

كيف يعتدي من ينتسب للإسلام على نساء بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والأطفال الصغار من عائلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما أحلّت شريعة سماء ولا شريعة عشائر مثل هذه الأفعال غير شريعة الغاب والوحوش، على أنّ من يتأمّل في شريعة الغاب والوحوش يعلم أنّ لها حدودا أيضاً وضوابط نابعة من استرسال هذه الكائنات مع ما جُبلت عليه وما خُلقت لأجله، فهناك ما تسترسل في فعله وهناك ما لا تقدم عليه أو تفرّ منه، وبنو أمية فعلوا مع عائلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما تأباه الإنسانية والمروءة بغضّ النظر عن انتساب المرء للإسلام أم لا.

لا أعدّ لك كلّ ما فعلوه فهو لا ينحصر وإنّما أقدّم لك مثالاً مما رشح عنهم:

فبربّك أجبني: لِمَ قتلوا في ساحة المعركة وفي الساعات الأخيرة من حياة سيّد شباب أهل الجنة مجموعة من الصغار ممّن يتّصل نسبه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

قتلوا القاسم بن الحسن. وقتلوا عبد الله بن الحسن.

وقتلوا ــ تأمّل بربّك هذا ــ عبد الله بن الحسين وهو رضيع وعمره قُرابة ستة أشهر ولعلّه يموت بعد دقائق لانعدام الحليب عند أمّه، ولنفاد الماء في قافلة الإمام عليه السلام، ولأجواء الحرّ الشديد في منطقة المعركة، ولعلّ بلوغه حدّ الموت هو الذي دعا الإمام إلى عرضه على جيش الضلالة كي يأخذوه بأنفسهم ويسقوه ماءً إن خافوا أن يستفيد خليفة الله ورسوله وسبط النبيّ وسيّد شباب أهل الجنّة من الحالة فيشرب قليلاً من الماء من خلال التماسه الماء لرضيعه، ومع ذلك لم يفعلوا

بل بادروا برمي الرضيع بسهم في نحره المقدّس فذبحوه من الوريد إلى الوريد وهو في يد والده مرفوعاً أمام الجيش الكافر الفاقد لكلّ القيم غير قيم المائة درهم التي وعدهم إيّاها الغادر الفاجر ابن زياد.

بربّك ماذا يغيّر من معادلة القتال لو سُقي الرضيع، أو لو تُرك حيّاً لكنّها الرذالة المعبّرة عن فقدان القيم، وانقطاع الارتباط بالإسلام، وعدم الخوف من العذاب الإلهي والسخط الربوبي الذي قضى على إبليس بالهلاك الأبدي لمعصيته الأمر بسجدة وعلى قوم عاد باعتدائهم على ناقة، وعلى أصحاب السبت لصيدهم السمك فمسخوا قردة:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1].

ما صدر من الفريق الثاني المقابل لأهل البيت عليهم الصلاة والسلام يُنبئ أنّ ليس وراء هؤلاء القوم ارتباط بالسماء، أو قيم كريمة، أو أهداف نبيلة، بل هي الدنيا يتقاتلون عليها كما تتقاتل الوحوش والكلاب على فرائسها، بمجرّد أن يحصل سبب، تنتكس كلّ الدعوى، وترتفع كلّ الحجب، ويظهر خواء هذه الفئة وبعدها العظيم عن أحكام الإسلام، وعن قيم الإنسانية معاً.

ومثال ثان:

كيف تؤخذ نساء عائلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفيهم ابنة فاطمة الزهراء عليها السلام، وحفيدة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وربيبته، زينب،

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٦٥ ـ ٦٦.

أسارى سبايا من بلد إلى بلد وهنّ بأفظع حالة وأسوأ مركب، وقد فقدن أعزّتهن أبناء البيت النبوي، وقادة الأمّة الإسلامية، ذبحاً أمامهنّ وهنّ من هنّ في العفاف والستر والصون، وعظيم المقام.

أي قلم يُعبّر، وأيّ بلاغةٍ تؤدّي وترسم حقيقة ما جرى، ولو أردت أن أصف الكارثة بحقّ امرأة من عامّة المسلمين لما تمكّنت فكيف ببنات النبي ونسائه ولا حدّ لشرفهنّ، ولصونهنّ وقد أسرهنّ من لا فضيلة فيه.

نعم، إنّ اللطف الإلهي حرسهنّ، وقد وعدهنّ الحسين المظلوم بأنّ المولى سبحانه سيحرسهنّ وينجيهنّ من كيد الأعداء لكنّ النجاة التي حصلت لهنّ كالأمر الاعجازي، لطف خاصّ صنعه الله سبحانه بهنّ وإلاّ فمقتضى الحال غير الذي جرى، واستمع إلى زينب سلام الله عليها تُخاطب ملكهم يزيد ـ لعنه الله ـ:

«أمِنَ العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك، وسَوْقُكَ بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبايا، قد هُتكت ستورهنّ، وأبديت وجوههنّ يحدو بهنّ الأعداء من بلدٍ إلى بلد، ويستشرفهنّ أهل المناقل، ويبرزن لأهل المناهِل، ويتصفّح؛ وجوههنّ القريب والبعيد، والغائب والشهيد، والشريف والوضيع، والدنيء والرفيع، ليس معهنّ من رجالهنّ وليّ، ولا من حماتهنّ حمي، عتوّاً منك على الله، وجحوداً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ودفعاً لما جاء به من عند الله، ولا غرو فيك، ولا عجب من فعلك، وأنّى يُرتجى الخير ممّن لفظ فوه أكباد الشهداء ونبت لحمه بدماء السُعداء، ونصب الحرب لسيّد الأنبياء، وجَمَعَ الأحزاب، وشَهَرَ الحِراب، وهزّ السيوف

في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشدّ العرب لله جحوداً، وأنكرهم له رسولاً، وأظهرهم له عدواناً، وأعتاهم على الربّ كفراً وطغياناً»[1].

وعظيمة العظائم التي اقترفها فروع الشجرة الملعونة في القرآن؛ ذبحهم سيّد شباب أهل الجنّة، وابن رسول الله، وخليفة الله ورسوله في الأرض، آخر أصحاب الكساء، ومن وردت في بيان عظمته وعظمة مقامه في الدنيا والآخرة الكثير من الآيات والروايات بعد أن ضيّقوا عليه فانتقل من بلد إلى بلد حتّى ارتحل إلى بلدٍ عاهده على حمايته وحماية أهل بيته وحماية قضيّته والدين الذي يريد له البقاء والحياة والاستمرار والتطبيق إلاّ أنّه ـ صلوات الله عليه ـ وجد الجيوش الجرّارة بانتظاره قد سدّت الأفق، وحاصرته مع نسائه وصبيته ومجموعة قليلة من شباب أهل بيته ـ ١٧ نفراً ـ ومجموعة قليلة من صحبه فيهم الصحابي وفيهم التابعي وفيهم معلّم القرآن ـ ومعلّم القرآن في تلك الحقبة مرتبة علمية عالية في المجتمع ويُعدّ العالمَ الذي يشار إليه بالبنان ويُلتفت إليه بالتعظيم وتؤخذ منه أحكام الدين ـ.

لو أردنا استيعاب الجريمة التي أقدم عليها الأمويّون بحقّ الحسين وبحقّ الإسلام فعلينا استيعاب: من هو الحسين، وما موقعه في الإسلام؟

عود على بدء:

نُلاحظ أنّ كلّ من استلم السلطة من بني هاشم، لم ينتقم من مناوئيه من بني أميّة مع مرارة أفعالهم، وشدّة وطأتهم.

---

(١) الاحتجاج للشيخ الطوسي: ج٢، ص١٢٥.

هذا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فتح مكّة، واعتقل كل من بقي على الكفر إلى ذلك اليوم، فأصبحوا عبيداً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بحسب قانون الحرب والأحكام الإسلامية، وكانوا هم يتوقّعون القتل لعظم جرائمهم التي ارتكبوها بحقّ النبيّ والإسلام والمسلمين طول مدّة الصراع التي بلغت واحداً وعشرين عاماً، فما كان من النبيّ إلاّ أن أطلقهم وقال لهم:

«اذهبوا فأنتم الطلقاء».

فسرّحهم ومنّ عليهم بالحياة والحريّة، وكان بينهم وبين الموت أو العبوديّة شعرة، وكانت النتيجة أن بقي اسم ـ الطلقاء ـ سُبّة عليهم إلى آخر الدهر، كي لا تنسى الأمّة حقيقة هذه الفئة وتعرف كيف تتعامل مع أناس بقوا على الكفر إلى آخر لحظة وما أسلموا إلاّ بعدما استولى الإسلام على جزيرة العرب وانتهى كلّ شيء، وممّن شملته أحكامهم: معاوية ــ خال المؤمنين ــ الذي ما فعل أحد بالمؤمنين من جرائم كأفعاله التي لا تُعدّ ولا تستقصى، فما كان من بعض الأمّة إلاّ وأسبغت على الطليق معاوية لقب ــ خال المؤمنين ــ ومكّنته من رقاب جميع الأمّة، وسلّمته منصباً يحتاج لإيمانٍ عظيم، وعدالةٍ لا تُضاهى، وصفاتٍ أخرى يقلّ حاملوها، وقدّمته على عظماء المهاجرين والأنصار والبدريّين وأهل السابقة، والجهاد، والعلم، والورع، بل ويُسلّم ولاية من أعظم ولايات الدولة الإسلامية ثمّ لا يُحاسب ولا يُعزل ولا يُتابع في شيء، إنْ هي إلاّ الخيانة العظمى والله.

ثم تعال معي فألقِ بصرك إلى مسيرة عليّ أمير المؤمنين مع معارضيه والمتألبين عليه طيلة خمسة وعشرين عاماً، فانظر كيف عاملهم يوم تولّى الخلافة.

لم يُعرف عنه أبداً أنّه التفت إلى أحدٍ منهم أيّام حكمه، أو تابع أحداً وحاسبه على ما مضى.

بل أهمل حتّى الذين امتنعوا عن بيعته ومنعوا عنه نصرهم وخذلوه في كلّ شؤونه وأنت تعلم ــ ولا ريب ــ أن ليس للحسين صلوات الله عليه ما يقتضي من بني أميّة محاصرته وإصدار حكم القتل عليه، وهو بَعْدُ في المدينة لم يحرّك ساكناً، إلاّ امتناعه عن البيعة.

وهذا الإمام علي عليه السلام في سماحته وإغضائه عن المتألبين عليه والعاملين على إطفاء جذوة ولايته وحكمه، من الناكثين (عائشة وجيشها) والقاسطين (معاوية وجيشه) والمارقين (الخوارج) فإنّه لم يصدر منه تجاههم بعد تشتيت جموعهم وكسر شوكتهم، إلاّ الإعراض والغضّ وإيكال أمرهم إلى الجبّار المنتقم، فلم يتتبعهم اعتقالاً وقتلاً ونفياً ومصادرةً للأموال وسملاً للأعين وهدماً للدور كما هو فعل معاوية وبني أميّة بشكل عام.

بل هذا الإمام علي عليه السلام مع من أسر يوم الجمل وهم عائشة وعبد الله ابن الزبير ومروان بن الحكم قادة الفتنة وفي عنق كلّ منهم جرائم لا تُحصى، كيف وكل أمرهم إلى انتقام الله سبحانه وعمل جُهده في إطفاء نيران الفتنة التي أوقدوها، حبّاً بالخلافة وامتيازاتها، كما أنّه لم يُطارد أحداً أيّام حكمه وكان كلّ همّه هو كفّ يد العدوان وكفى.

وعلى نهجه سار ولده الإمام السبط الحسن خليفة الله ورسوله، والخليفة المنتخب من الأمة برضاها وطواعيتها فلم ينتقم من أعدائه ولا من أعداء أبيه.

هذا الإمام الذي ظلمه كُتّاب الأمّة ومؤرّخوها حيث يلوون عنان القلم حينما يقتضي الأمر ذكره عند عدّهم لخلفاء الأمّة إذ ينتقلون من ذكرهم لأبيه أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى ذكر صاحب الملك العضوض معاوية مع أنّ الإمام أبو محمد الحسن إمام الأمّة بنص النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والنصوص القرآنية والنبوية في حقّه لا تعدّ ولا تنحصر.

وإن اعتذروا بقصر مدّة خلافة مروان بن الحكم ـ الوزغ بن الوزغ ـ ثمانية أشهر أو تسعة ومع ذلك يجد لخلافته الاهتمام الكبير من جهتهم.

هذا وغيره، يعرّفك أيّة أمّة هذه، وأيّ علماء هؤلاء، تأمّل واحكم، ولا تنسَ أنّ الله جلّ وعلا خلق الجنّة لمن أطاعه وإن كان عبداً حبشيّاً، وخلق النار لمن عصاه وإن كان سيّداً قرشيّاً.

لاحظ أيضاً مسلماً حين تمكّن من السيطرة على الكوفة فلم يُعرف عنه أنّه انتقم من أحد، وهذا الإمام الرضا عليه السلام يوم تولّى ولاية العهد فلم يحرّك ساكناً ضدّ أحد بأيّ شكل يمكنه من الانتقام.

وبقيّة الأئمّة من أهل البيت حالهم كما تقدّم، فما كانت تعوزهم القدرة للانتقام ولو شاءوا لفعلوا بالرغم من الظروف العصيبة والحالكة التي يمرّون بها بسبب هذا الطاغوت وذلك الظالم وبسبب كثير من أعوان الظلمة والنواصب والمنحرفين عن خطّ أهل البيت ونهجهم، ومع كلّ المظالم التي نالتهم، لم يألوا نصحاً للأمّة ولمن تزعّم أمر الأمّة واستلم دفّة الحكم، حفظاً للإسلام ولجهود النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وتضحياته وأهدافه.

واعكس الأمر مع كلّ ناصب ومنحرف وحاكم فإنّهم ملأوا البلاد الإسلامية طولاً وعرضاً بآل محمّد، فتكوا بهم وتركوا في دورهم النوائح ـــ وما فيها غير الأرامل والصبية الأيتام ـ والبؤس والفقر، وها هي قبورهم تملأ الأرض لكنّها تناطح السحب علوّاً وعلى كلّ ضريح منهم يتكدّس الذهب والفضّة، وتقبّل الناس قبورهم وأعتابهم وحيطان مشاهدهم وتقصدهم من أقاصي الأرض، وتبذل في سبيلهم النفس والنفيس وتُوجّه السلام عليهم من قُرب وبُعد (السلام عليك يا ابن رسول الله... أشهد أنّك أقمت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرت المعروف ونهيت عن المنكر وأحللت حلال الله وحرّمت حرامه.. لعن الله من قتلك واستحلّ بقتلك حرمة الإسلام).

هذه قبور آل محمّد فبربّك قُلْ لي أين انتهى أعداؤهم ومناوئوهم ولِمَ لم يهتمّ بها أعوانهم وأولياؤهم ومن سلك دربهم وحافظ على فكرهم:

﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾(1).

في الطفّ ظهرت صفة الوفاء، من خلال الحسين الذي وفى بوعده لأهل الكوفة بالقدوم عليهم واستعداده لعمل ما يخلّصهم من ظلم بني أميّة، ومن خلال صحبه الذين وفوا بعهدهم معه، وظهرت صفة النصح للأمّة، وصفة حفظ الوعود والعهود، وظهر التديّن، والورع، والعِفّة.

ومن الجانب الثاني تفوح صفات الغدر، والاحتيال، والكذب، والغشّ، والفسق، والتمرّد على الله ورسوله وعلى كلّ القيم والمعاني السامية.

---

(١) سورة القمر، الآية: ٤٦.

سبب انهيار الحركة

لا ريب في أمرٍ واحدٍ، علينا التسليم به قبل تناول جوانب الموضوع.

وهو أنّ مسلم بن عقيل لا يتحمّل أيّة تبعة في انهيار الحركة الحسينيّة حقيقة وواقعاً.

بل الصحيح أنّه مهّد لها ووطأ الأسباب وعمل المستحيل في سبيل إنجاح الحركة الحسينية إلاّ أنّ عوامل قويّة حالت دون تمام المراد، ليس هو منها في شيء على أيّ حال.

والركن الأساس في الانهيار هو ابن زياد ــ لعنه الله ــ وأيضاً نفس الشيء الذي كان المقوّم للثورة والمنجّز لها وهم أهل الكوفة الذين استغاثوا بالإمام طيلة عشرة أعوام فنهض الإمام لإغاثتهم ولرفع الحيف عنهم ولإعادة الروح إلى المجتمع الإسلامي المحتضر.

وقد قال أبوه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من قبل:

«لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أوّلها ولألفيتم دنياكم هذه أهون عندي من عفطة عنز».

وبعد أن كان توفّر الأنصار أحد أهمّ المقوّمات للثورة فإذا بهذا المقوّم ينهار عند أوّل ضربة وتتداعى الحركة كلّها بعد انهياره.

السبب الرئيس في الانهيار ما تقدّم، ويمكن تلخيص عوامل الانهيار عند أهل الكوفة بما يأتي:

١ ـ انعدام الدافع العقائدي أو ضعفه عندهم.

جمعٌ مهمّ ممن كتب للإمام لم يكونوا من الشيعة وليسوا ممّن يعتقد بإمامة الإمام ووجوب طاعته على أساس أنّه خليفة الله ورسوله في الأرض.

هذا ـ مثلاً ـ شبث بن ربعي من قادة الخوارج قبل الحركة الحسينية ومن قادة جند ابن زياد في الجيش الخارج لمحاربة الإمام، مع أنّه كان من جملة المكاتبين للإمام عليه السلام؛ إذ هؤلاء كانوا ناقمين على الوضع تحت وصاية بني أميّة وكانوا يطمحون للخلاص منهم، فلمّا سنحت الفرصة بهلاك معاوية كاتبوا الإمام عليه السلام، ثمّ لمّا قويت شوكة الدولة من جديد بقدوم ابن زياد إلى الكوفة عادوا إلى إظهار الموالاة للدولة وموادعتها والتزلّف إليها تخلّصاً من شرّها واستدراراً للمغانم منها.

كما أنّ بعض المتخاذلين هم ممّن يظهرون الحبّ والولاء لأهل البيت إلاّ أنّ هذا الحبّ والولاء لم يرتكز على قاعدة عقائدية متينة فانهار ولاؤهم سريعاً بمجرد التعرّض للضغط والإرهاب الأموي.

٢ ـ حبّ الحياة والتعلّق الشديد بالدنيا، فلم يكونوا يتمتّعون بالروح التضحوية والفدائية التي كانت متوفّرة في شرطة الخميس مثلاً ــ وشرطة الخميس قرابة

الخمسة آلاف رجل شرطوا للإمام أمير المؤمنين عليه السلام نصرته حتّى تتحقّق أهدافه أو يموتوا دونه وشرط لهم على الله الجنّة منهم مالك الأشتر وأمثاله ـ.

ونلاحظ أنّ من جملة التهديدات التي أدّت إلى انهيارهم: ـ

أ ـ التهديد بجيش الشام.

ب ـ قطع الرواتب.

ج ـ تشتيت جموعهم في سرايا الغزو والجهاد.

وقد أعلنها الإمام صريحة لمّا قال له الفرزدق عن أهل الكوفة: (قلوبهم معك وسيوفهم عليك)، إذ أجابه الإمام عليه السلام:

«الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معائشهم فإذا مُحّصوا بالبلاء قلّ الديّانون»[1].

وقد صاغ الشيخ فتح الله الاصفهاني ـ شيخ الشريعة قائد ثورة العشرين نفس المعنى بصياغة ثانية لظرفٍ عاشه: (أقول هذا مع علمي بأنّ الناس لا خير فيهم إذا مسّ الدين دنياهم)[2]، وهذا معناه أن المأساة مستمرة، لأن سببها قائم.

ولو كانت الروح التضحوية الفدائية متوفّرة كما هو المطلوب في مثل هذه الظروف والثورات المصيرية التغييريّة، لما انهاروا سريعاً خلال يوم واحد، بل واصطفّوا في سرايا وكتائب الجيش الأموي وخرجوا لحرب الإمام عليه السلام.

٣ ـ عدم توفّر جانب الوعي عند الكوفيّين فمن يُقاسي مختلف ألوان الذُلّ

---

(١) العبّاس عليه السلام للشيخ القرشي: ص١٦٧.

(٢) لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث للكاتب علي الوردي: ج٥، ق٢، ص٧٨.

والضغوط من آل أميّة وولاتهم قرابة العشرين عاماً وقد لاحت له تباشير الفرج والخلاص كيف يصغي للأراجيف وللتهديد بجيش الشام وقطع العطاء مع أنّهم خبروا هذه الدولة وحكّامها وخبروا عدل عليّ وولده وقد استماتوا طيلة هذه السنين لتحصيل موافقة الإمام على إكمال مسيرة والده وأخيه في الكوفة وقد جَدّ منه العزم على تغيير الأوضاع من جديد.

٤ ـ الحركة السريعة التي قام بها ابن زياد بمساعدة جمع من أتباع السلطة وأدواتها في بثّ الإشاعات والأراجيف والتهديدات بجملة من العقوبات ممّا حدا بأكثر الناس إلى الانسحاب من ساحة المواجهة وتخذيل بعضهم لبعض تحاشياً لغضب الدولة ورهبة صولتها.

٥ ـ دور بعض شيوخ العشائر والوجهاء وأصحاب المصالح في توهين عزائم الناس، وتثبيطهم، وإدخال الخور والرُعب في نفوسهم وتأكيد التخويف بجيش الشام وقطع العطاء والأرزاق.

٦ ـ قساوة الجهاز الحاكم ودمويّته المعروفة في التعامل مع حالات العصيان والتمرّد فإنّ تجربة أهل الكوفة معهم مُرّة وقاسية جدّاً، إذ إنّ المعروف عن بني أميّة والحكّام الذين يعملون تحت إمرتهم أنّهم لا يتوقّفون عن فعل أيّة جريمة مهما كانت ولا يخافون حشراً ولا عقاباً.

إلاّ أن هذا الأمر ـ في الواقع ـ من دوافع أهل الكوفة للاستغاثة بالإمام السبط وطلب إنجاده لهم لتخليصهم من الحكم الأموي وكان الأجدر عند استذكارهم لهذا، التصلّب والاستماتة في نصرة الإمام حتّى تحقيق الهدف

المشترك إلاّ أنّ انضمام هذا السبب إلى عوامل الانهيار الأخرى أثّر تأثيراً عكسيّاً وقلبهم إلى أعضادٍ لبني أميّة اجتناباً لسخطهم ونتائج غضبهم وهم يشبهون في مسلكهم هذا طائفة اليزيدية الموجودين في بعض نواحي العراق ــ سنجار ــ إذ يعبدون الشيطان ويقدّسونه[1] بدعوى أنّه شرّ كلّه، وإنّهم إنّما يعبدونه للنجاة من شرّه...!!

(١) ألّف فيهم الباحث السيد عبد الرزاق الحسني، المؤرّخ العراقي المعروف كتاباً يحكي عقائدهم وسلوكياتهم وحياتهم عن معاشرة واطّلاع شخصي، وقد طبع الكتاب في العراق وطبع له كتابان آخران الأوّل عن الصابئة، والثاني عن البابية والبهائية.

دروس من حركة مسلم

حركة مسلم جزء من حركة الإمام الحسين صلوات الله عليه وسلامه.

وبانهيار حركة مسلم بدأ التداعي في حركة الإمام سيّد الشهداء عليه السلام.

ومن حركة الإمام الشهيد نستلهم الدروس والعِبر في مجالات شتّى.

وكذا من حركة مسلم.

والدروس المستفادة من حركة الإمام الشهيد لها موضع آخر فلنعرّج إلى ما يُستفاد من حركة مسلم.

وقبل البدء نقول: إنّ فاجعة كربلاء من أوجع الكوارث التي حلّت بالإسلام ومن أكثرها مرارة بكلّ تفاصيلها وأحداثها، ولو لم يكن من أحداثها غير أنّ سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومحرّر الإنسانية من الشرك والخرافات والحياة الرذيلة يتحوّل من بلدٍ إلى بلد بنسائه وأطفاله وأهل بيته وخيرة صحبه فلا يجد له مأوى ولا مقرّاً إذ تلاحقه أجهزة الدولة لاغتياله أو لكسر مقاومته للدولة المتجبّرة ولإخضاعه لخلافة يزيد مُذلّ المؤمنين وهاتك حرمات الإسلام.

لو لم يكن من كوارث تلك الحقبة غير تنقّل الإمام من مكان إلى مكان، لكانت القاصمة، كيف وقد جرت الأحداث بما لا يرتضى جريانه على أيّ مسلم.

ستبقى مصيبتنا بالحسين خالدة، وإن ثار المختار وقتل قَتَلة الحسين عليه السلام وحصل أقصى ما يمكن فعله للأخذ بثأر الحسين، فإنّ حرارة المصيبة لن تبرد.

لقد فعل بنو أميّة ما لا يتدارك أبداً، ولن ينجو أحد من عاره إلاّ بالبراءة كلّ البراءة من القتلة وأفعالهم وصبّ اللعنات عليهم وهذا أضعف الإيمان.

نعود إلى الدروس المستفادة من حركة مسلم:

١ ـ الدرس الأوّل الذي نستفيده من حركة مسلم ومن نفس سلوك مسلم رضوان الله تعالى عليه: أنّه يلزم علينا التحرّك لسدّ الثغرات على الدين وأهدافه، ولتحقيق أقصى ما يمكن فعله في سبيل إنجاح الحركة الدينيّة وفتح المسار لها وذلك بمتابعة الواقع الخارجي، والتأكد من صحة تشخيصه لاتخاذ الموقف المناسب بإزائه، ومما يملأ النفس مرارة عظم الثغرة في جانب التشخيص هذا وصحّته؛ إذ يقع المرء كثيراً بين الافراط والتفريط فتختلّ النتائج والله المستعان.

ومسلم بن عقيل أخذ البيعة من الناس وجمع الرجال والمال والسلاح ثمّ أعلن الثورة على ابن زياد واحتل الكوفة إذ الحزم والإمساك بزمام الأحداث بقوّة كان يقتضي هذا، وكان الصلاح ظاهراً فيما فعله ولو عادت الأحداث القهقرى لما وجدنا الصلاح إلاّ فيما فعله ورغم كلّ حزمه وضبطه فإنّ البناء الذي شاده بإحكام وإتقان قد انهار وليس الانهيار بسببه بل لخذلان أهل الكوفة له وعدم جدّيتهم في نصرة الإمام عليه السلام فهم يريدون قلب الأوضاع وكسح بني أميّة من الساحة إلاّ أنّهم يريدونها كالغنيمة الباردة، تحصل بدون متاعب تذكر وحالهم كحال من

خاطب موسى عليه السلام:

﴿...فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾[1].

وما سلكه مسلم ليس بغريب عن المباني الفقهيّة المعمول بها فعلاً والمستفادة من النصوص المباركة؛ إذ هي نفس ما نعبّر عنه اليوم بالأمور الحسبية.

والأمور الحسبية: هي الأمور التي نعلم بالدليل إرادة الشارع المقدّس لها إلا أنّه لم يظهر لنا ـ بدليل ـ إناطة القيام بها وطلبها من جهة معيّنة بالذات فيلزم صدورها على نحو الواجب الكفائي إلاّ أنّه يحتمل لنظر نائب الإمام مدخلية في صحّة صدورها أو يكون القدر المتيقّن ممّن يصحّ صدورها منه هو الفقيه فلابدّ من إذن الفقيه الذي هو نائب الإمام في المقام.

وما قام به مسلم هو من تطبيقات هذا الأمر؛ إذ هو ممثّل الإمام ونائبه في الكوفة فلابدّ له من التصدّي للأمور الهامّة التي بها تحقيق مهمّة الإمام عليه السلام وإنجاحها وهي من أخطر الأعمال التي تصدر عن الإمام المعصوم؛ إذ عليها يتوقّف مصير الإسلام ومصير الإمام ومصير الأمّة، وكذلك عليه سدّ الثغرات التي تحصل فجأة في حركة الإمام ونهضته وإلاّ اتسع الخرق وعسر العلاج.

ولعلّ في مجموعة من الظروف التي تواجه الإسلام والحركة الإسلامية اليوم والعلماء والحوزة والمذهب أموراً من هذا القبيل التي لو كان مسلم حيّاً لسارع وبادر إلى العمل الجادّ المضني لسدّ الثغر وتهيئة الفرصة لإعادة الروح للوجود الإسلامي وللمجتمع الإسلامي، وأيّ أمرٍ حسبيّ أهمّ من هذا؟

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٤.

أمّا ترك الأمور على علاّتها، بدعوى أنّ في ازدياد الأمور سوءاً ظهور الإمام أو تحقّق الآمال بوجه آخر، فمن يضمن هذا؟ وعلى أيّة ضابطة؟ ولعلّها تفتح على الإسلام باباً من الشرّ لا يُسدّ وبلاءٍ لا ينقطع، وتغرق السفينة بمن فيها والشواهد لا تُحصى.

والحقيقة أنّ الأمور تبشّر بالخير، ورعاية وليّ الله الأعظم للإيمان وأهله وللعلم وأهله لا تخفى بل هي اليوم ظاهرة للعيان، أسأل الله سبحانه تحوّل الأمور من الحسن إلى الأحسن حتّى تختم بظهور بقيّة الله في أرضه، وأسأله سبحانه أن يرزقنا رضاه في غيبته وظهوره وأن يجعلنا محلّ عنايته وتسديده ومورد عفوه وصفحه فإنّه أهلٌ لكلّ هذا وأعظم من هذا لي ولكلّ محبّيه.

٢ ــ من الأسباب المهمّة التي أدّت إلى كشف مكان مسلم، وإلى كشف طبيعة المهمّة التي جاء بها، والأعمال التي يمارسها فعلاً في الكوفة، تمكّن جاسوس ابن زياد ويدعى ــ معقل ــ من الوصول إلى معرفة ما تقدّم عبر تعرّفه على إحدى الشخصيات المهمّة الموثوقة عند مسلم رضي الله عنه وهو: مسلم بن عوسجة ــ أحد أبطال الطفّ ومن أبرز الشهداء ــ.

روي: دعا ابن زياد مولىً له يقال له معقل، فقال: خُذ ثلاثة آلاف درهم، ثمّ اطلب مسلم بن عقيل، والتمس أصحابه، فإذا ظفرت بواحدٍ منهم، أو جماعة، فأعطهم هذه الثلاثة آلاف درهم، وقل لهم: استعينوا بها على حرب عدوّكم، وأعلمهم أنّك منهم، فإنّك لو قد أعطيتها إيّاهم، لقد اطمأنّوا إليك، ووثقوا بك ولم يكتموك شيئاً من أخبارهم، ثمّ اغدُ عليهم ورُح حتّى تعرف مستقرّ مسلم بن عقيل وتدخل عليه.

ففعل ذلك، وجاء حتّى جلس إلى مسلم بن عوسجة الأسدي في المسجد الأعظم وهو يصلي، فسمع قوماً يقولون: هذا يُبايع للحسين، فجاء فجلس إلى جنبه حتّى فرغ من صلاته، ثمّ قال: يا عبد الله، إنّي امرؤٌ من أهل الشام، أنعم الله عليّ بحبّ أهل هذا البيت وحبّ مَنْ أحبّهم، وتباكى له وقال: معي ثلاثة آلاف درهم، أردت بها لقاء رجل منهم بلغني أنّه قدم الكوفة يُبايع لابن بنت رسول الله فكنتُ أريد لقاءه فلم أجد أحداً يدلّني عليه ولا أعرف مكانه، فإنّي لجالسٌ في المسجد الآن إذ سمعت نفراً من المؤمنين يقولون: هذا رجل له علم بأهل هذا البيت، وإنّي أتيتك لتقبض منّي هذا المال وتُدخلني على صاحبك، فإنّما أنا أخٌ من إخوانك وثقة عليك، وإن شئت أخذت بيعتي له قبل لقائه.

فقال له مسلم بن عوسجة رحمه الله: أحمد الله على لقائك إيّاي، فقد سرّني ذلك، لتنال الذي تحبّ، ولينصر الله بك أهل بيت نبيّه عليه وآله السلام ولقد ساءني معرفة الناس إيّاي بهذا الأمر قبل أن يتمّ مخافة هذا الطاغية وسطوته، فقال له معقل: لا يكون إلاّ خيراً، خُذ البيعة عليّ، فأخذ بيعته وأخذ عليه المواثيق المغلّظة لَيُناصحنّ ولَيَكْتُمَنّ، فأعطاه من ذلك ما رضي به، ثمّ قال له: اختلف إليّ أيّاماً في منزلي، فأنا طالب لك الإذن على صاحبك، فأخذ يختلف مع الناس، فطلب له الإذن، فأذِنَ له، فأخذ مسلم بن عقيل رضي الله عنه بيعته، وأمر أبا ثمامة الصائدي ـ وهو من شهداء الطف أيضاً ـ فقبض المال منه، وهو الذي كان يقبض أموالهم وما يُعين به بعضهم بعضاً، ويشتري لهم السّلاح، وكان بصيراً، ومن فُرسان العرب، ووجوه الشيعة.

وأقبل ذلك الرجل يختلف إليهم، وهو أوّل داخل وآخر خارج، حتّى فَهِمَ ما احتاج إليه ابن زياد من أمرهم، وكان يخبره وقتاً فوقتاً[(١)].

ما تقدّم قد ذكره المفيد في كتابه ـ الإرشاد ـ واختصر السيّد ابن طاوس المطلب في اللهوف فقال: وكان عبيد الله بن زياد قد وضع المراصد عليه ـ أي وضع العيون والجواسيس على مسلم ـ فلمّا علم أنّه في دار هانئ[(٢)]... بينما ذكر الطبري في تاريخه وابن كثير في البداية والنهاية والدينوري في الأخبار الطوال[(٣)] ما نقله المفيد في الإرشاد.

حينما نتأمّل في هذه الرواية ونمعن الفكر في الطريقة التي اتّخذها ابن زياد لكشف مقرّ مسلم وطبيعة مهمّته، وتحركاته، ونتابع الأحداث التي تمخّضت عن خطّة ابن زياد، فسنرى العجيب المُذهل.

أيُمكن لمعقل أن يكون الثغرة التي نفذ منها ابن زياد، ونقض قواعد الحركة كلّها من جهته؟

والتفت معي إلى الطريقة التي توسّل بها ابن زياد لتحقيق فكرته، والعنوان الذي ادّعاه ذلك الآثم لينجح في مسعاه:

أ ـ شامي: وأهل الشام بشكل عام من أنصار بني أميّة، فإذا انضمّ أحدهم إلى حركة أهل البيت وأظهر محبّتهم وموالاتهم فإنّ هذه الحيثيّة ستسبّب اهتمام مسلم وصحبه به وتدفعهم إلى استيعابه ومعاملته بالترحاب بشكل استثنائي، وهذه

(١) الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢، ص٤٦.

(٢) الملهوف للسيد ابن طاوس: ص١١٤.

(٣) تاريخ الطبري: ج٤، ص٢٧٠؛ البداية والنهاية لابن كثير: ج٨، ص١٥٣؛ الأخبار الطوال للدينوري: ص٢٤٩.

حالة ملحوظة في أيّامنا هذه حين يعرض امرؤ غير مسلم دخوله في الإسلام، أو من مذهب آخر دخوله في مذهب الإمامية، أو غير ملتزم بأحكام الدين التزامه بها وبشكل حادّ ونحو هؤلاء فإنّ المجموعة المؤمنة تندفع لاستيعابه واحتضانه والاهتمام به بما قد يؤدّي إلى الغفلة عن حقيقة توجّهاته.

وليس قصدنا من هذا الطعن في كلّ متحوّلٍ إلى طرف الالتزام بل على العكس من هذا فإنّ دين الإسلام ومذهب الإمامية فيهما من الدواعي والحقّانية ما يجذب الإنسان المثقّف والواعي وذا الضمير الحيّ ونحوهم، إلاّ أننا ننبّه على أنّ هذه الجهة ثغرة ينفذ العدوّ منها ونقطة ضعف في النفس الإنسانية بشكل عام ينبغي الالتفات إليها.

ب ـ مولى: والمولى هنا هو من كان عبداً ثم اعتقه مالكه، فهو مولىً له، والموالي من غير العرب غالباً.

وقد قامت سياسة بني أميّة على تفضيل العنصر العربي على غيره، على عكس سياسة بني العبّاس التي قامت على تقديم الموالي وتفضيلهم على العرب، وكلتا السياستين ليستا من الإسلام في شيء، بل المسلمون كلّهم سواسية في مطلق الأمور ويتقدّم بعضهم على بعض في بعض الموارد بالتقوى، والإيمان، والعلم، والكفاءة، وهناك عناوين أمر الشرع المقدّس الاهتمام بها بلحاظ ارتباط الاهتمام بها، بنفس الاهتمام بالدين وتشييده وكلّ هذا يؤخذ من الفقه عن طريق فتاوى العلماء العدول المستوعبين لمباني الشريعة وأحكامها وليس محلّها هنا ومرامنا هنا الإشارة إليها فقط.

بمقتضى سياسة بني أميّة مع الموالي، وتفضيل العرب عليهم، فإنّ الموالي أصبحوا من الطبقة الممتهنة والمضطهدة ـ بالفتح ـ فلا تميل إلى خدمة الكيان الحاكم والإخلاص له، كما أنّ بني أميّة لا يدخلونهم في وظائفهم ولا يثقون بهم.

فاستغلّ معقل هذا الحال وادّعى أنّه من الموالي كي يتمكّن من استحصال ثقتهم به ويستطيع النفوذ بينهم، وادّعاء معقل أنّه من الموالي لم يذكره المفيد وإنّما ذُكر في رواية الطبري.

ج ـ محبّ لآل محمد: ومعلوم أنّ كون المرء مُحِبّاً لآل البيت عليهم السلام، ممّا يدفع بمسلم وصحبه إلى الترحيب بالقادم واستيعابه وإدخاله في أمرهم لأنّ انتصارهم انتصار له وقضيّتهم قضيّته.

د ـ يعرض مبلغاً كبيراً من المال:

وهذا ممّا يدفع إلى حُسن الظنّ بالطرف المقابل، لأنّ الناس إنّما تعرض نفسها بلسانها وأمّا أن تضحّي بالمال، وبمبلغ كبيرٍ، فإنّ هذا قرينة على أنّ هذا الشخص من ذوي الدرجات الرفيعة في الإيمان، ومن المضحّين، وممّن يلزم فسح المجال له لرفد الحركة بالقوّة، وهذه الفقرات والعناوين، لعلّ قائلاً يقول إنّها ممّا يمكن كشف الدسيسة حتّى مع وجودها، ويمكن التخلّص من الشَرَكْ الأموي المُناط بها.

فإنّ هذا تعليل بعد الورود، وبعدما عرفنا ورأينا النتائج، وسمعنا بالتفاصيل، والأمور لا تُقاس بنتائجها، وأمثال هذه الشِراك حينما تُهيّأ فإنّها توقع في الاشتباه ولا يُلتفت إليها إلاّ بعد انقضائها.

والقصد أنّ الدرس الذي تقدّمه لنا حادثة المجرم معقل، هو الالتفات تمام الالتفات إلى خُدع الظلمة ودسائسهم وإمكانياتهم في زماننا أعظم بكثيرٍ من إمكانيات زمان مسلم رضوان الله تعالى عليه، والسلاح اليوم سلاح الإعلام بفروعه، كسلاح الإشاعات والأراجيف، واستخدام مختلف صنوف المغالطة والتمويه والتدليس لحرف أنظار الرأي العام عن القضية المركزية وإلهائِه بتوافه الأمور حتّى تقع الجريمة العظمى، أو تشويه وجه الحقيقة بحيث لا تقبلها الأمّة وتنبذها مع أنّ فيها إنقاذها وسعادتها.

ولا يستوعب المقام أساليب الدجل والتضليل التي يمارسها الظلمة التي تُوصل الأمّة إلى المتاهة ثمّ الانقلاب على الأعقاب وهكذا الأمر جيلاً بعد جيل والمأساة مستمرّة لا تقف عند نقطة، والحقّ مهضوم، والإسلام مكفأ، والقرآن مهجور، والإمام غائب.

٣ ـ الالتزام الحرفي والدقيق بأوامر الإمام المعصوم ونواهيه فإنّ نتيجته إحدى الحسنيين إمّا الظفر بالمطلوب، أو الفوز بالأجر والثواب وتحصيل القُرب من المولى سبحانه، وفي عصيانه يقع المرء تحت طائلة العقوبة سواءً أحصل على مراده أم لا.

ومسلم رضوان الله تبارك وتعالى عليه نال رضا المعصوم وترحّمه فقد نُقل عن سيّد الشهداء عليه السلام قوله:

«رَحِمَ الله مسلماً، فلقد صار إلى روح الله وريحانه، وتحيّته ورضوانه، أما إنّه قد

قضى ما عليه، وبقي ما علينا»[١].

ولم يُنقل عن سيّد الشهداء لا من قريب ولا من بعيد أنّه لامَ مسلماً أو أظهر تأسّفاً على فعلٍ صدر عنه، كما أنّ من المعلوم أنّ صيرورته فوراً بعد استشهاده إلى رضوان الله تعالى أعظم دليل على أنّه التزم تعليمات الإمام وأوامره ونواهيه وبذل وسعه وجهده في النُصح لإمامه وفي سدّ الثغرات في حركته، وفي تحقيق كلّ ما هو تكليفه حتّى قضى شهيداً سعيداً مرفوع الرأس قد أدّى ما عليه، رضوان الله تبارك وتعالى عليه.

٤ ـ الحذر من نقض العهود والعقود والمواثيق خصوصاً مع الله تعالى والنبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة المعصومين وكذلك مع من يقوم مقامهم من نوّابهم الخاصين أو العامّين.

والنائب الخاص: من يكلّفونه بمهمّة محدّدة كمالك الأشتر المعيّن لقيادة جيش أمير المؤمنين عليه السلام أو للولاية على مصر، أو المعيّن بالاسم كنوّاب الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف الأربعة (العُمري، والخلاّني، والنوبختي، والسمري) رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

والنائب العام: هو الفقيه العادل في زمن الغيبة الكبرى حتّى ظهور وليّ الله الأعظم وحفيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبشارته إلى الأمّة ـ المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ.

فإنّ من نقض العهود والمواثيق آثاراً وخيمة وعقوبات هائلة، والنتيجة التي

---

(١) الملهوف: ص١٣٤.

آلت إليها حركة الحسين عليه السلام من استشهاده وأهل بيته وصحبه بمن فيهم مسلم وعبد الله بن يقطر وقيس بن مسهر الصيداوي وهانئ بن عروة وغيرهم إنّما حصلت بسبب الغدر ونقض العهود والعقود والمواثيق بينما كان الفرج قاب قوسين أو أدنى من الأمّة كلّها إلى آخر عمر الدنيا بسبب معاهدة أهل الكوفة للإمام على نصرته والصمود معه والوفاء له حتّى ينتصر.

وقد حقّق الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه أعظم انتصاراته على جيوش ضخمة بسبب وفاء شرطة الخميس له وصمودهم معه ووفائهم بعهودهم فلم يؤثر تهاون أهل الكوفة وكسلهم وتقاعسهم وتشرذمهم في انكسار جيشه وفي انهدام دولته، نعم ظهر الأثر فيما بعد حينما انفرط عقدهم واستشهد الكثير منهم.

فعلى الأمّة أن تصمد مع قائدها إلى الخطوة الأخيرة فلعلّ النصر والفرج والخلاص بعد خطوات وتكون انتكاسة الأمّة في الظرف الذي وضعت إحدى قدميها في محطّ آمالها.

عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«أمّا بعد يا أهل العراق، فإنّما أنتم كالمرأة الحامل، حَمَلَت فلمّا أتمّت أملصت، ومات قيّمها، وطال تأيّمُها، وورثها أبعدها»[1].

فالنصّ يبيّن أنّ مشكلة أهل العراق هي تراجعهم عن مواقفهم بعدما كادوا أن يقطفوا ثمار الصبر، إذ المرأة الحامل تتحمّل آلام الحمل تسعة أشهر وإذا بهذه المرأة ــ محلّ الشاهد ــ تُسقط جنينها وهي حامل به في شهرها التاسع أي بعدما

---

(١) نهج البلاغة للسيد الرضي: الخطبة ٧١.

تحمّلت آلام الحمل ومشاقّه كلّها، ثمّ بعد موت جنينها وإذا بزوجها يموت أيضاً، وهو قيّمها المسؤول عنها والقائم بشؤونها، والمصيبة الثالثة التي تلحقها: تأيّمها، أي لا يتزوّج بها أحد، والرابعة: يرثها أبعدها.

أي نتيجة ما جرى عليها أنها لم تحصل على شيء فالزوج توفي والولد ذهب إلى قبره، ومواريث الزوج رجعت إلى أهله فلم تحصل على شيء من زواجها هذا غير الآلام ومبلغ بسيط ترثه هو حصّة الزوجة من الموارث.

فالإمام يشبّه حالة أهل العراق التي عاشها معهم بهذا المثال، فهم يتحمّلون المشاق والضيم لكل هدف نبيل ثمّ قبل وصولهم إلى أملهم وهدفهم وفرجهم بخطوات وإذا بهم ينتكسون على أعقابهم وتذهب كلّ جهودهم هباءً منثوراً.

٥ ـ إنّ أعظم درس نستفيده من حركة مسلم ونتائجها: هو ما يتعلّق بنا، وهو أن نُراجع تكليفنا وندقّق فيه حتّى نتيقّن من خروجنا من عهدته وتبرئة ذمّتنا منه، فلعلّ بعضنا ـ أو جميعنا ـ يُبتلى في مقاطع من حياته بتكاليف من قبيل التكاليف التي وُجّهت إلى أهل الكوفة فيؤدّي إهماله وتقاعسه وغفلته إلى الوقوع في نفس ما وقع فيه أهل الكوفة ويتحمّل آثاماً في عنقه لا يستطيع منها فكاكاً.

فعلى المرء التدقيق في تكليفه الشرعي ليعمل على وفق ما هو مطلوب منه، وليعلم أنّ جميع العلماء الأعلام متّفقون على أنّ الدفاع عن الإسلام وعن حياضه وحرماته ممّا يجب على كلّ أحدٍ كفايةً ولا يحتاج المرء معها إلى إذن فقيه أصلاً.

المرأة في حركة مسلم

الناس عموماً، في مواجهة الحق والباطل، أصناف:

فمنهم الناصر المستميت المضحّي.

ومنهم المحارب المناهض.

وبينهما: الساكت، الخاذل، المخذّل، المتذبذب، ذو الوجهين واللسانين، والمرأة في ساحة حركة مسلم كذلك.

فمن جهة: تأتي النساء إلى ذويهن ـ بعد إعلان مسلم لثورته على ابن زياد ـ فهذه ترغّب زوجها في الرجوع وطلب السلامة، وهذه تستعطف ولدها كي يُبقي على نفسه ويقرّ عينها برجوعه، وتلك مع أبيها وهكذا...، والنتيجة أنّه لهذا السبب وذاك انصرف عموم الناس عن مسلم ولم يبق معه أحد.

وفي الجانب الآخر، امرأة أشرق عملها بما صنعت، فهي تستقبل مسلماً، وتستضيفه في بيتها، وتُحسن ضيافته، وتستر أمره، فلم تُبال بما قد تتعرّض له من السلطة المنحطّة التي لا تحترم نفساً ولا عِرضاً، ولا تأبه لكبيرٍ أو صغير، ولا لرجل أو امرأة.

ثمّ لمّا خدعها ولدها، وعلم منها حقيقة ضيفهم العظيم، وسارع هذا الأثيم إلى إخبار السلطة، وأقبلت الجنود بكثرتها وعدّتها وحاصرت مسلماً لم ترتعب ولم تضيّق عليه حتّى يغادر دارها بل تصبّرت، واستسلمت للقضاء.

هذه المرأة ـ ذات الشيم والخصال العربية النبيلة التي حافظ عليها الإسلام وعزّزها ـ تُدعى طوعة.

دع عنك اسمها، فإنّ الأسماء تُرتجل غالباً، ولكلّ زمانٍ خصوصيّته وأسماؤه، والتفت معي إلى دخيلتها، فأيّة امرأة في النساء هذه، إنّها من الصنف النادر في نوع النساء.

إنّ المرأة غالباً ما تخضع لمحيطها ولزوجها ولميول معيلها، على طول التأريخ إلاّ أنّ جمعاً من النساء، ثُلّة من الأوّلين، وثلّة من الآخرين، أظهرن وعياً، وتعقّلاً، ومبدئيّةً.

خُذ إليك مثلاً: امرأة فرعون.

كان الشأن بها أن تطاوع زوجها في مراده، وتؤكّد توجيهاته، فكل ما تبنيه لأجل زوجها يعود نفعه إليها، وهي تعلم جزاء من يُخالف فرعون وأيّ مصير ينتظره.

على أنّ السير وحيداً عكس التيّار ممّا تستوحشه أكثر النفوس، فكيف خالفت فرعون ـ زوجها الطاغوت ـ وعاكست تيّار السياسة والمجتمع إلى أن اكتشف زوجها أمرها، وأوعدها، وعذّبها حتّى ماتت شهيدة وهي لا تُريد من ربّها غير مستقرٍّ في رحمته، ودار كرامته.

نوادر، أمثال هذه المرأة.

وطوعة من نوادر النساء ضمن محيطها.

تأمّل معي:

هل هذا الحال في المرأة، وهذه الانسيابية مع الزوج والوالد والأخ، هو ما يقتضيه طبعها وقد جُبلت عليه حتّى لا تتمكّن منه فكاكاً.

فكيف أمرها الله ونهاها، ووعدها الجنّة وأوعدها النار.

كيف نجحت امرأة فرعون ومثيلاتها في معاكسة التيّار، فأعرضن عن زخارف الزوج والوالد ونحوهما، ولَبَّيْنَ نداء العقل والدين في وقت عزّ المانع والنصير من نُخبة الرجال.

إنّ حال المرأة في العالم وعبر التأريخ، لحال مؤسف غير مرضيّ وغير مُبرّر.

الحال الذي تجري فيه المرأة لا يعذرها عند ربّها، والشرع فصّل ما لها وما عليها وبالوضع الذي هي فيه، لا تخرج عن عهدة التكليف، وكما يتحمّل جزءاً من المسؤولية وليّها ومن يقسرها على وجهة معيّنة، ومن يُزخرف لها أقوالاً وأفعالاً فيضلّلها عن طريق الصواب، فكذلك تتحمّل هي جزءاً من المسؤولية لتقاعسها عن السعي بمقدار الممكن للوفاء بالتزاماتها، ولتنفيذ ما عليها من تكاليف إلزامية، فعلٍ أو ترك.

المرأة اليوم في أنحاء العالم تنطلق في مساحة أكبر من الحريّة والاستقلالية لكنّها سقطت في الجانب الثاني، فمن التفريط إلى الافراط، ومن ضلالة إلى

ضلالة ومن كبوةٍ إلى أخرى أدهى منها وأمرّ.

هناك صِراط مستقيم، أدقّ من الشعرة، وأحدّ من السيف، مطلوب من المرأة كما هو مطلوب من الرجل، السير فيه، والاستقامة عليه، وإلاّ جرفهما تيّار الضلالة على حيث لا قرار وإلى أنواع المخازي والمهالك.

على المرأة أن تستعيد دورها الحقيقي في الحياة، فالجيل الطاهر المُشبّع بالكرامة والقيم، لا ينشأ إلاّ في أحضان الأمّهات الصالحات الواعيات العاقلات المتديّنات، المستقيمات في درب العفاف آخذات بما أمر الله، منتهيات عمّا نهى، ومن هذا الجوّ تبرز طوعة وأمثالها وإلاّ فما في الديار غير المخذّلات عن درب الله ورسوله، نعم الثُلّة الإيمانية القليلة ـ بملاحظة نسبة الطرف الآخر ـ موجودة دائماً، إلاّ أنّها تبقى (قليلة) ولذلك فالأثر الإيجابي محدود جدّاً.

أولاد مسلم

في طرف من مدينة المسيّب العراقية التي تبعد عن كربلاء المقدّسة قرابة الثلاثين كيلومتراً يوجد هناك مرقد يعرفه الداني والقاصي بـ(مرقد أولاد مسلم) فيه ضريحان لصبيّين من أولاد الهاشمي العظيم مسلم بن عقيل بن أبي طالب يُعرف أحدهما بإبراهيم والآخر بمحمد.

هذان الصبيّان كانا بصحبة الإمام الحسين عليه السلام وضمن عائلته، إذ اصطحبهم الإمام معه بعد تقدّم والدهم كسفير للإمام إلى الكوفة، فكان من اللاّزم اصطحاب العائلة ولعلّه: للالتحاق بولّيها ومعيلها ولئلاّ تصبح رهينة في أيدي الطواغيت، أو لمصالح أخرى في البين.

بلغ خبر استشهاد مسلم للإمام عليه السلام وهو في طريقه إلى الكوفة فما أثّر هذا الخبر في تغيير الإمام لمسيره ونهجه.

وبسبب صغر أولاد مسلم لم يشتركا في معركة الطفّ يوم عاشوراء، كما أنّه بعد استشهاد الإمام عصر عاشوراء وهجوم الجيش البهيمي الكافر على مخيّم عائلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرعب الأطفال والنساء ففرّ الجمع على وجوههم في الصحارى بأمر العقيلة زينب صلوات الله عليها عن توجيه زين

العابدين عليه السلام، وممّن فرّ أولاد مسلم، هذا وجيش بني أميّة يسلب وينهب ويحرق.

وفي الرواية[١]: إنّهما سُجنا سنة وانقطعت أخبارهما عن العائلة ثمّ فرّا بمعونة الحارس الذي تعاطف معهما، وبلغا بمسيرهما مدينة المسيب فآل أمرهما إلى دار شملتهما المرأة التي فيه برعايتها غير أنّ زوجها اعتقلهما وأخذهما إلى شاطئ الفرات فصلّيا وابتهلا إلى المولى سبحانه وبعدها اعتقلهما وأخذهما ذلك البربري وفصل رأسيهما عن الجسدين الطاهرين وحمل الرأسين إلى طاغية العراق ابن زياد لنيل الجائزة عنده.

ولبشاعة الحادث من جهة، ولما جُبل عليه بنو أميّة وأذنابهم من غدرٍ لمن رفضهم ولمن أطاعهم على حدٍّ سواء أمر ابن زياد بحرمانه من العطاء بل بذبحه صبراً.

ولعلّ هذا إنّما صدر منه تظاهراً بمكارم الخصال وعلوّ النفس واستدراراً لاحترام الناس وولائهم إلاّ أنّه انتقام إلهي على كلّ حال.

ولعلّ السبب الأوجه هو النكوص عن وجهة النظام في التعامل بعدما أخذ البركان يقوى وتتّسع دائرته في بقاع متعدّدة من العالم الإسلامي لحقارة الفئة الحاكمة ولانقلابها على الإسلام وارتدادها علانيةً ولما اقترفته من جريمةٍ عظمى بحقّ البيت النبويّ وفيهم الطفل الرضيع والصبي المراهق والشيخ الهرم والمرأة المخدّرة، وشرفاء الأمّة بل سادة البشرية جمعاء وصفوة المولى سبحانه، فتحاول

(١) بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٠٠.

السلطة ـ التي لا يحوي إهابها غير الغدر والدجل ـ تفريغ بعض غيظ الأمّة عن طريق إظهار بعض الاستقامة والعدل.

ومن أوائل نُذُر الثورة، ما صدر عن أهل الكوفة من ندم، وتقريع بعضهم لبعض على الجريمة النكراء التي صدرت منهم، وإشادتهم بأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإعلان تصميمهم على الائتمار بأمر زين العابدين لو دعاهم إلى الكفاح والجلاد.

غير أنّ الإمام القائد زين العابدين سخِر من ندمهم هذا واصفاً إيّاهم بالغدرة المكرة فأيّ عهدٍ هذا، وهم قد كاتبوا والده سيّد الشهداء عليه السلام عشرة أعوام معاهديه على النصرة والوفاء والتضحية دونه ثمّ تنصّلوا من عهودهم بأهون سبيل وأسرعه وانقلبوا إلباً لأعدائهم على أوليائهم بغير عدلٍ أفشوه فيهم غير الخسيس من الدنيا أنالوهم.

إنّ ما صدر عن ذلك الدنيء من قتل ولدي مسلم وفصل رأسيهما وهما الشريفان الغريبان الخائفان الجائعان اليتيمان المتّصل نسبهما بالبيت النبويّ، وبخلفاء وزعماء الأمّة، وهما أيضاً الطاهران في خُلقهما وخَلقهما ونشأتهما وصفاتهما، ويدلّ على مدى ما بلغته الأمّة من هبوط على يد بني أميّة وعلى يد التيّار الذي استلم قيادة الأمّة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

كيف سَمَحت نفس ذلك المجرم بذبحهما من الوريد إلى الوريد وفصل رأسيهما ولا تسمح قوانين العالم وأعرافها وفطرة الإنسانية عن الإتيان بسوء لمن هو في مثل هذا العمر ولم يصدر عنهما قتال ولا أذى ولا ما يستوجب أيّ ردّ فعل.

إنّ هذه الفعلة لا تدلّ على خساسة وحقارة ولؤم الفاعل فحسب ــ وإن دلّ ودل ــ بل الدلالة الأهمّ على وجهة السلطة الكافرة التي تحكم العالم من أقصاه إلى أقصاه ولا ترتكز على دين أو قانون أو عُرف أو أخلاقيات وسُنن.

وليست هذه لهم بأوّل فعلة فقد قتلوا القاسم بن الحسن وعبد الله بن الحسن وثالثة الأثافي وليست أخيرها جريمتهم الأعظم بذبح عبد الله الرضيع ولد الإمام الحسين عليه السلام ولم يتجاوز الأشهر الستّة في أحضان والده بعدما كاد أن يقضي عطشاً، إذ ما من مرضعٍ تمدّه بإرضاعها وقد أشرف الجميع على الهلاك عطشاً وجفّ عندهنّ الحليب، ومن قَبْلُ ما جرى للمحسن عليه السلام وأمّه ــ سيّدة نساء العالمين وقدّيسة آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ــ

أي نفسٍ تسمح بقتل طفلٍ عمره ستّة أشهر بل تسمح بقضائه عطشاً وقد أذِن لهم الحسين بأخذه منه وسقيه الماء إن تخوّفوا أن يشرب هو أيضاً من الماء.

إنّ هذه الفئة الحاكمة الكافرة قد أسّست لهذا الخلق وهذه السيرة في منعطفات النفس البشرية وروّجت له وشجّعت عليه وبذلت لأجله العطايا والجوائز فتنافست الناس بهذا السلوك ونحوه لنيل المنصب والعطاء وللتقرّب من صاحب السطوة أكثر من الآخرين.

ولاستكمال سلسلة المحنة حرمت السلطة أفراد المجتمع من سبل العيش ومن حقوقهم، قهراً لهم وكسراً لشوكتهم واستدراراً لمثل هذه السلوكيات منهم، والتي من الممكن أن لا يقدموا عليها إلاّ والظرف هكذا والمنافذ أمامهم مسدودة وهو ما يعبّر عنه في زماننا بسياسة العصا والجزرة.

ومن نتائج تلك السياسة أن أقدمت الأمّة على سحق مقدّساتها وقهر أهل بيت نبيّها، واستباحة مدينة الرسول ورمي الكعبة بالمنجنيق، وقتل الرضيع، والمرأة العجوز، والشيخ الهرم، من أجل عشرة دراهم، أو شاةٍ أو ثوب ولكي يبتسم الحاكم في وجهه ويقول له: أحسنت.

وإلاّ فمن الذي نال منهم هناءة العيش ورفيع المناصب أو الإدرار المالي العظيم.

هذا عمر بن سعد قائد جيشهم وعَدوهُ بولاية الري إن قتل الحسين وبدّد شمل جيشه، وقد فعل بأفضل ما يأملون، ثمّ غدروا به وحرموه من تلك الولاية المشؤومة، فلم يحصل هو ولا أفراد جيشه إلاّ على ما وصفه سيّد الشهداء عليه السلام ــ خسيس عيش كالمرعى الوبيل[1] ــ ولا يُعذر المرء أبداً باقترافه هذه الجرائم أو الأقلّ منها بكثير بدعوى الفاقة أو انقطاع سُبل العيش فإنّ ساحة الدنيا ساحة امتحان وابتلاء فمن قَدِر على ما يريد عن حِلٍّ وكرامة فبها ومن لم يقدر يصبر أو يقاوم جلاّديه، أو يتحوّل إلى محلٍ يهنأ له العيش فيه.

والأعظم والأجمل أن يوطّن نفسه على مقاومة الباطل والصمود إلى جانب الحقّ إلى أن يُكتسحَ الطاغوت من جديد الأرض ويحلّ آل محمّد أصحاب الحقّ الشرعيوّن في زعامة الأمّة وسيادة أمرها بحكم حديث الغدير وحديث الدار[2]،

---

(١) الملهوف للشيخ ابن طاوس: ص١٣٨؛ المرعى الوبيل: الوخيم، وما لا يُستمرأ؛ راجع: ترتيب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي: ج٣، ص١٩٢٢؛ المعجم الوسيط: ص١٠٠٩.

(٢) المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين: ص١٣٠؛ وحديث الدار هو الحديث الذي عيّن فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام وصيّاً له وخليفة من بعده وكان هذا في أوائل الدعوة الإسلامية، ونقل هذه الواقعة الكثير من أعلام العامّة، فراجع: المراجعات: ص١٣١؛ لتعرف أسماءهم ومؤلفاتهم.

وبحكم آية:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾[1] [2].

وغيرها، وإن أدّى صموده إلى ما أدّى، ولم ترض الأمّة بالتضحية بجيل واحدٍ فخسرت خمسين جيلاً والقافلة مستمرّة.

وأمّا سعادة الدنيا فليست مقتصرة على هذا الجانب ولعلّه يحصل على المال والملاذ ويخسر أموراً أخرى أهمّ منها بكثير كما هو الحاصل في بلاد الغرب اليوم إذ ربحوا التكنلوجيا وخسروا العفاف.

إنّ بني أميّة ومن أسّس لهم ومن سار على دربهم قد فضحوا أنفسهم بما صدر عنهم من أفعال تنمّ عن طبيعة المبادئ التي تقوم عليها نفسياتهم وسياساتهم ودوافع حكمهم.

وبنو أميّة بالخصوص قد حال يوم الطف بينهم وبين مرامهم واستمرار رغيد عيشهم إذ كشفت تلك الزمرة المنحرفة عن معتقدها ودخيلتها وواقع إيمانها بالله والمعاد وعن حقيقة المجتمع الذي تريد إقامته تحت ظلّ حكمها وعن الهدف الذي تبغيه من وراء هذا الحكم وإنّه يصبّ في مصلحة مَنْ؟

أعربت عن أنّها حكومة الظالمين والفراعنة، وأنّها لا تتقيّد بقانون دين ولا قانون عُرف وليس لها دوافع إنسانية، أو أخلاقية.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

(٢) راجع: فضائل الخمسة من الصحاح الستة للسيد مرتضى الفيروز آبادي:ج٢، ص١٣.

لا تريد إلاّ حكماً يمكّنها من رقاب الناس تستعبدها لتحقيق مآربها، ويمكّنها من التمتّع بملذّات الجنس والطعام كما وصف أمير المؤمنين أوّلهم ــ بين نثيله ومعتلفه[١] ــ.

ودّعوا الآخرة والدين والإنسانية والمكارم، بأيّام تنزّهوا فيها وصادوا فيها الطيور والغزلان والوحوش، وهارشوا فيها الكلاب والقرود وعاشروا الطّبالين والمغنّين وأراذل المجتمع، ثمّ لفظوها لفظةً واحدة.

أبكوا كلّ ذي دين، وكلّ ذي ضمير، وكلّ ذي مروءة، وأحلّوا الخراب بمجتمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام، بمجتمع القرآن والكعبة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعفّة والسعي نحو المكارم.

أفقروا الأمّة وأكثروا النوائح في كلّ مكان وكلّ زمان، حتّى لعنتهم الأرض ومن عليها والسماء ومن يسبّح فيها بل لعنهم ربّ الأرض والسماء من أوّل أيّام الإسلام:

﴿...وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴾[٢].

لِيُحَذّر المسلمين منهم وينذرهم إن تبعوهم أو ناصروهم وإذا بالأمّة خلفهم تطأ خطامهم وتسير على ضلالتهم فإلى أين أوصلوهم يا ترى؟

---

(١) نهج البلاغة للسيد الرضي: الخطبة الثالثة وهي الخطبة الشقشقية.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٦٠.

واليوم لا تؤثر عنهم الأمّة علماً في كتاب ولا مأثرة أو مكرمة بل وَرِثَت عنهم دماراً واسع النطاق في كلّ مجالات الحياة وتدهوراً لا يمكن لأحد أن يوقفه عند حدّ حتّى يظهر بشارة رسول الله ـ المهدي المنتظر ـ فيقصم ظهر تركتهم ويقتلع جذور شجرتهم، نعم اثر عنهم أيضاً مخازٍ ورذائل وسوء سيرة وسريرة ملأ الكُتّاب من محبّيهم بها كتبهم فكانوا من أعظم العار والشنار على الأمّة بين أمم الأرض.

وعكسهم تماماً ذريّة رسول الله الذين ساروا على نهجه ومثّلوا القرآن والسنّة بسيرتهم وسريرتهم، أضاءوا الدهر بجميل فعالهم وشريف خصالهم ونبل مقاصدهم وعلوّ همّتهم حتّى ليفخر المفتخر بالانتساب إليهم وبالكتابة عنهم وبالسير على بعض مسلكهم فهنيئاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهم ويستحقّ هؤلاء الأطياب الأبرار الانتساب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير البشرية ومصطفى الربّ الحكيم الكريم إذ حملوا مشعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبلغوا الأمّة مقاله وسنّته ونصحوا له ولها ووفوا ما عليهم.

﴿...ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ...﴾[1]، و﴿... وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾[2].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

على درب مسلم

واليوم

تخفق راية مسلم في كلّ مكان من ديار الإسلام، بل في كلّ مكان من العالم، حيثما وُجد شيعيّ.

وحيثما وُجد موالٍ لأهل البيت.

وحيثما وُجد مؤمن بالإسلام وقضيّته وهدفه.

مسلم، فُصِلَ رأسه عن جسده، ورُمي من أعلى قصر الإمارة، فتكسّرت عظامه، وسُحِب في الأسواق، ودُفن مغضوباً عليه من الجهاز الحاكم الطاغوتي، ومخذولاً من الأمّة.

هذا قبل أربعة عشر قرناً خَلت.

أمّا من بَعْدُ إلى اليوم وسيستمر الحال.

فإنّ مسلماً حيّ، وقضيّته تنبض بالحياة، ومحبّيه ومواليه كُثر، وشمس الإسلام عن قريب في كبد السماء إن شاء الله تعالى.

أمّا أعداء مسلم فقد دُفنوا ودُفن ذكرهم وقضيّتهم، وتبرّأت الأجيال منهم، واللعنات تلاحقهم وعذاب الآخرة أشدّ وأخزى.

قال فيه: علي بن عبد العزيز، جمال الدين الخلعي:

أَلِمُسلم بن عقيلِ قام الناعي ... لمّا استهلّت أدمُعُ الأشياعِ

مولىً دعاه وليّه وإمامه ... فأجاب دعوته بسمعٍ واعِ

حَفِظَ الوداد لذي القرابة فاقتنى ... شرفاً على الأهلين والأتباعِ

أفديه من حُرٍّ نقيٍّ طاهرٍ ... ماضي العزيمةِ ساجدٍ ركّاعِ

أفديه من بطلٍ كميٍّ ماجدٍ ... جَمِّ الوفا ندبٍ طويل الباعِ

لهفي لمسلم والرماحُ تنوشُهُ ... لا بالجزوع لها ولا المرتاعِ

حتّى إذا ظفرت به عُصَبُ الخنا ... من بعدِ معتركٍ وطولِ نزاعِ

جاءوا به نحو اللعينِ فغاظهُ ... بالقولِ من ثبتِ الجنانِ شُجاعِ

وإلى ابن سعدٍ بالوصيّةِ مُبطناً ... أفضى فأظهرها بلؤم طباعِ

وهوى من القصر المشوم مهلّلاً ... ومكبِّراً تجلو صدى الأسماعِ

لهفي لسيفٍ من سيوفِ محمّدٍ ... عبث الفلول بحدِّه القطّاعِ

لهفي لمزجِ شرابه بنَجيعِهِ ... لهفي لمسقطِ ثغرِه اللمّاعِ

لهفي له فوقَ التُراب مجدّلاً ... دامي الجبين مهشّم الأضلاعِ

مولاي يا بن عقيل يومُك جاعلٌ حبّ القلوب دريئةُ الأوجاعِ
جادت معالمك الدموع بريِّها وسقى الحميم بواطن الإبداعِ
وسقى ابن عروة هانياً غدقُ الحيا فلقد أصاخ إلى نداء الداعي
يا سادةً ما زلتُ مُذ عَلِقَت يدي بهمُ أحافظُ ودّهم وأراعي
مولاكم الخلعيُّ رافعُ قصّةٍ يشكو سمومَ عقاربٍ وأفاعي[1]

وللفقيه الأصولي الفيلسوف الشيخ محمد حسين الأصفهاني:

يا ربّي المحمود في فِعالِه صَلّ على محمّدٍّ وآله
وَصَلِّ بالإشراقِ والأصيلِ على الإمام من بني عقيلِ
أوّل فادٍ فاز بالشهادة وحاز أقصى رُتَبِ السعادة
أوّل رافعٍ لراية الهُدى خُصَّ بفضل السبقِ بين الشُهدا
دُرّة تاجِ الفضلِ والكرامة قُرّةُ عينِ المجدِ والشهامة
غُرّةُ وجه الدهر في السعادة فإنّه فاتحة الشهادة

النيابة الخاصة

كفاه فخراً منصب السفارة وهو دليل القدسِ والطهارة
كفاه فضلاً شرفُ الرسالة عن معدن العِزّة والجلالة
وهو أخٌ[2] ابن عمّه المظلومِ نائبه الخاص على العموم

(١) الغدير للشيخ عبد الحسين الأميني: ج٦، ص٢٧.

(٢) كتب الإمام عليه السلام إلى أهل الكوفة: «وإنّي باعثٌ إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي...»، قد تقدّم منا نقل نصّ الرسالة في فصل ـ موجز الحركة ـ.

وعينــــه كانــــت بــــه قريــــرة حيــــث رآه نافــــذ البــــصيرة
لــسانه الــداعي إلــى الــصوابِ بمحكــــم الــــسُنّة والكتــــاب
منطقــــه النــــاطق بالحقــــائق فهــــو ممثّــــل الكتــــاب النــــاطق
وليّــــه المنــــصوب للهدايــــة فهــــو ولــــيّ صــــاحب الوِلايــــة

علومه

لــه مــن العلــوم مــا يليــق بــه بمقتــــضى رتبتِــــه ومنــــصبه
يمينه فــي القــبضِ والبــسطِ معــا فمــــا أجــــلّ شــــأنه وأرفعــــا
فــــارسُ عــــدنان وليــــثُ غابهــــا وسيفها الــصقيل فــي حرابهــا[1]
بل هــو سـيف الــسبط البــاري[2] وليــــثُ غــــاب عتــــرةِ المختــــار
أشــــرق كوفــــان بنــــور ربّهــــا مُذ حَلَّ فيهــا ربّ أربــاب النُهــى
بايعــــه فــــي أهلهــــا ألــــوف والغــــدر مــــنهم شــــايعٌ معــــروف

يحكي عمّه أمير المؤمنين عليه السلام:

ثباتُــــهُ مــــن بعــــد غــــدر الغــــدرة ثبــــاتُ عمّــــه أميــــر البــــررة
بل سيف[3] فــي وحدتــه وغربتــه كَعَمّــــه فــــي بأســــه وســــطوته

---

(١) هنـاك كلمـات في القصيدة لاحظنـا عـدم انسجامها مـع الـوزن الـشعري أو احتماليّـة خللٍ فيهـا فكتبناها كما وجدناها غير أننا ننبّه عليها ولعل بعضها أو جميعها وقع فيها التصحيف بسبب الخطأ المطبعي، وكلمة ـ حِرابها ـ هنا أوّلها وسننبّه على الباقي في المحلّ المناسب لها.

(٢) المورد الثاني.

(٣) المورد الثالث.

لــــه مــــن الــــشهامة الــــشمّاء ... مــا جــاز حــدّ المــدحِ والثنــاءِ
أيّامــــــه مــــــشهودة معروفــــــة ... يعرفهــا أبطــال أهــل الكوفــة
كم فارس فيها فريسته[1] الأسد ... أو بطــل فــارقَ روحــه الجــسد
وكــم كَمــيّ حــدّ سيفه قــضى ... علــى حياتــه كمحتــوم القــضا
وكــم شــجاعٍ ذهبــت قــواه ... وذاب قلبــــــــــــه إذا رآه
شدّ عليه شدّة الليث الحَرِب ... قــرّت عيــون آل عبــد المطلــب
بــل عــين عمّــهِ العلــيّ قــدرا ... إذ هــو بالبــارق أحــصى بــدرا
ذكّــر يــوم خيبــر وخنــدقِ ... بــصولةٍ تبيــد كُــلّ فيلــقِ

الليث يقتنص

تكــاثروا عليــه وهــو واحــدُ ... لا ناصــرٌ لــه ولا مــساعدُ
رمــوه بالنــار مــن الــسطوحِ ... لروحــهِ الفــداء كُــلّ روحِ
حتّــى إذا أثخــن بــالجراحِ ... واشــتدّ ضــعفه عــن الكفــاحِ
لــم يظفــروا عليــه بالقتــالِ ... فاتّخــذوا طريــق الاحتيــالِ
فــساقه القــضا إلــى الحفيــرة ... أو ذروة القــدسِ مــن الحظيــرة

أميرٌ يُؤسر

أصــبح مــسلمٌ أسـير الكفــرة ... تَعــسا وبُؤسـاً للئــام الغــدرة

---

(١) المورد الرابع ولعل الأصح فريسة.

كـــان أميـــراً فغـــدا أســـيرا — كذلك[١] شـأن الـدهر أن يجـورا

أدخل مكتوفاً على ابن العـاهرة[٢] — عذّبـــه الله بنـــاء الآخـــرة

أســـمعه ســـبّاً وشـــتماً فاحـــشا — رمـاه بـاطلاً بمـا يُـدمي الحـشا

ومــا اشــتفى بمــسلمٍ بمــا لقــي — حتى اشتفى منـه بـضرب العنـق

وبعــده رمــاه مِــن أعلــى البنــا — فانكـــسرت عِظامُـــهُ واحُزْنــا

المناحة والبكاء

فلتبكِــه عــين الــسما دمــاً فمــا — أجـــلّ رزء مـــسلمٍ وأعظمـــا

وقد بكاه الـسبط حـين مـا نُعـي — إليـــه مـــسلمٌ بقلـــبِ موجَـــعِ

فارتجّـــت الأرجـــاء بالبكـــاءِ — علـــى عميـــد الملّـــة البيـــضاءِ

واهتـــزّ عـــرش الملـــك الجليـــلِ — علـــى فقيـــد الـــشرفِ الأصـــيلِ

وناحـــت العقـــولُ والأرواحُ — لِمـــا اســـتحلّوا منـــه واســـتباحوا

صُـبّت دمـوع خـاتم النبـوّة[٣] — علـــى فقيـــد المجـــدِ والفتـــوّة

---

(١) المورد الخامس ولعل الأصح ـ كذاك ـ.

(٢) المعروف والمثبّت تأريخياً أنّ أم عبيد الله ـ مرجانة ـ كانت من العواهر وكان يعيّر بها، كما أن أم أبيه ـ زياد بن أبيه ـ سميّة كانت كذلك، وقصّة إلحاق معاوية لزياد بأبي سفيان على أساس أن سُميّة كانت هكذا وقد زنا بها أبو سفيان وأولدها زياداً من الأمور المشهورة بل المقطوعة تأريخياً وهي من أعظم العار على معاوية وعلى من يُدافع عنه إلى يوم الدين، بل لا يحوي إهاب معاوية غير العار والمخازي.

(٣) نقلنا في بداية الكتاب رواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مسلم وبكاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه.

بكـــاه عمّـــه علـــى مـــصابِه وحــقّ أن يبكــي دمــاً لمــا بِــه

بكـــى علـــى غُربتـــه آل العبـــا وكيــف لا وهــو غريــب الغُربــا

ناحت عليه أهـل بيـت العـصمة فيــا لــه مــن مثلمــة ملمــة(١)

ومن قصيدة للسيد باقر الهندي رحمه الله:

سقتك دماً يـا بـن عـم الحـسين مـــدامع شـــيعتك الـــسافحة

ولا برحـــت هـــاطلات العيـــون تحييـــك غاديـــة رائحـــة

لأنّـك لـم تُـروَ مـن شـربةٍ ثنايـاك فيهـا غـدت طائحـة

رمـوك مـن القـصر إذ أوثقـوك فهل سَـلِمَتْ فيـكَ مـن جارحـة

وســحباً تُجــرُّ بأســواقهم ألــستَ أميــرهُمُ البارحــة

أتقـضي ولـم تبكـكَ الباكيـات أمالَـكَ فـي المـصر مـن نائحـة

لئن تقضِ نحبـاً فكـم فـي زرود عليــك العــشيّة مــن صــائحة(٢)

---

(١) المورد السادس، ولعلّ الأصح: فيالها من ثلمةٍ مُلِمّة.

وهناك أيضاً أخطاء مطبعية في النسخة التي نقلنا عنها لم نُنبه عليها لسهولة اكتشافها، وتشخيص الصحيح بدلاً عنها.

وقد نقلنا القصيدة من كتاب الأنوار القدسية: ص١٣٦؛ والكتاب يتضمن أراجيز جليلة في أهل البيت عليهم السلام.

(٢) مقتل الحسين للسيد المقرم: ص١٦٥.

المصادر

١. القرآن العزيز.

٢. إبصار العين في أنصار الحسين، الشيخ محمد السماوي.

٣. ابن تيمية، صائب عبد الحميد، مركز الغدير للدراسات الإسلامية ـ إيران، الطبعة الأولى ـ ١٤١٤ هـ.ق.

٤. الاحتجاج على أهل اللجاج، مجلّدان، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، التحقيق: إشراف الشيخ جعفر السبحاني، انتشارات أسوة، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.ق.

٥. الإرشاد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مجلّدان، إيران ـ الطبعة الأولى ـ ١٤١٣ هـ.ق.

٦. الأصول من الكافي، الشيخ الكليني.

٧. الأنوار القدسية، أرجوزة للفيلسوف الشيخ محمد حسين الأصفهاني، طبعة: مؤسسة الوفاء ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ.

٨. بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، طبعة: دار إحياء التراث العربي، ١١٠ مجلّد، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ هـ.ق.

٩. بحوث في فقه الرجال، بحث: السيّد علي الفاني الأصفهاني، مطبعة مهر، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.ق، تأليف السيّد علي مكي العاملي.

١٠. البيان، السيّد أبو القاسم الخوئي، الناشر: دار الثقلين، الطبعة الثالثة، ١٤١٨ هـ.ق.

١١. تحفة العالم، السيد جعفر بحر العلوم، الناشر: مكتبة الصادق ـ طهران، جزآن، الطبعة الثانية ـ ١٤٠١ هـ.ق.

١٢. تذكرة الفقهاء، العلاّمة الحسن بن المطهر الحلّي، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

١٣. ترتيب كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: المخزومي، السامرائي، تصحيح: أسعد الطيّب، انتشارات أسوة ـ إيران ١٤١٤ هـ.ق.

١٤. تنقيح المقال، الشيخ عبد الله المامقاني، ثلاث مجلّدات، طبعة حجرية، المطبعة المرتضوية في النجف الأشرف ١٣٥٢ هـ.ق.

١٥. جواهر الكلام، الشيخ محمد حسن النجفي، طبعة مؤسسة المرتضى العالميّة، ١٥ مجلّداً، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٢ م.

١٦. حدود الشريعة، الشيخ محمد آصف المحسني، مطبعة أمير المؤمنين عليه السلام.

١٧. حياة الإمام الحسين، الشيخ باقر شريف القرشي رحمه الله، انتشارات: مدرسة الإيراني، ٣ مجلّدات، إيران ـ الطبعة الرابعة ـ ١٤١٣ هـ.ق.

١٨. الخُدعة، رحلتي من السنّة إلى الشيعة، الكاتب المصري: صالح الورداني، طباعة: دار النخيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ.

١٩. دراسات حول كربلاء، مجموعة باحثين، طبع لندن.

٢٠. ذوب النضّار في أخذ الثار، الشيخ جعفر بن محمد بن نما الحلّي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم، تحقيق: فارس حسون كريم، الطبعة الأولى ـ ١٤١٦ هـ.ق.

٢١. السجود على التربة الحسينية، الشيخ عبد الحسين الأميني، تقديم محمد عبد الحكيم الصافي، طبعة دار الزهراء عليها السلام، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٧٧ م.

٢٢. السيّدة زينب عليها السلام، الشيخ باقر شريف القرشي، إيران ـ مطبعة شريعت، الطبعة الأولى ـ ١٤٢٠ هـ.ق.

٢٣. الشهيد مسلم بن عقيل، السيد عبد الرزاق المقرم.

٢٤. شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، ٣ مجلّدات، إيران، الطبعة الأولى ـ ١٤١١ هـ.ق.

٢٥. العبّاس عليه السلام، السيد عبد الرزاق المقرم، منشورات الشريف الرضي، قم، الطبعة الأولى.

٢٦. العبّاس عليه السلام، الشيخ باقر شريف القرشي، مطبعة أمير، إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.ق.

٢٧. على ضفاف الغدير، مجلّدان، إعداد لجنة بإشراف السيد فاضل الميلاني، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، الطبعة الثانية ـ ١٤١٠ هـ.ق.

٢٨. الغدير (١١) مجلّداً، الشيخ عبد الحسين الأميني، تحقيق: مركز الغدير للدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.ق.

٢٩. الفصول المختارة، السيد المرتضى، والمطبوعة ضمن سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد، تحقيق: السيد علي مير شريفي.

٣٠. الفصول المهمّة في تأليف الأمّة، السيد عبد الحسين شرف الدين، مكتبة الداوري، إيران، الطبعة الخامسة.

٣١. فضائل الخمسة من الصحاح الستّة، السيد مرتضى الحسيني الفيروزآبادي، ٣ مجلّدات، الطبعة الثالثة، مطبعة خورشيد، ١٤١٣هـ.

٣٢. كامل الزيارات، الشيخ جعفر بن محمد بن قولويه القمّي، تحقيق: نشر الفقاهة، إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.ق.

٣٣. كتاب سُليم بن قيس الهلالي، تأليف: سُليم بن قيس الهلالي، تحقيق: الشيخ محمد باقر الأنصاري، ثلاث مجلّدات، نشر الهادي، إيران، الطبعة الأولى ـ ١٤١٥ هـ.ق.

٣٤. لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث، علي الوردي، لم تُذكر المطبعة، ولا مكانها ولا سنة الطبع.

٣٥. ليالي بيشاور، السيد محمد الموسوي الشيرازي سلطان الواعظين، تحقيق: السيد حسين الموسوي، مؤسسة الثقلين، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ.ق.

٣٦. مائة منقبة، محمد بن أحمد القمّي، تحقيق: الشيخ نبيل رضا علوان، انتشارات: أنصاريان، إيران، الطبعة الثانية ـ ١٤١٣ هـ.ق.

٣٧. مبعوث الحسين، محمد علي عابدين، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.ق.

٣٨. مجلّة علوم الحديث، إصدار: كلّية علوم الحديث، طهران، إيران، قم.

٣٩. المراجعات، السيد عبد الحسين شرف الدين، منشورات مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، (د.ط)، (د. ت).

٤٠. المرجعية والقيادة، السيّد كاظم الحائري، مطبعة القدس، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.ق.

٤١. مسارّ الشيعة، الشيخ المفيد، المطبوع ضمن: مجموعة نفيسة، نشر مكتبة السيد المرعشي، قم ١٤٠٦ هـ.ق.

٤٢. مسند الإمام المجتبى، الشيخ عزيز الله العطاردي، مطبعة: حيدري، الطبعة الأولى، ١٣٧٣ هـ.ق.

٤٣. معالم المدرستين، السيّد مرتضى العسكري، الناشر: مؤسّسة البعثة، ٣ مجلّدات، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ.ق.

٤٤. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: انتشارات إسلامي ـ إيران، ١٣٧٢ هـ.ش.

٤٥. المعجم المفهرس لألفاظ بحار الأنوار ١٤ مجلّد، لجنة ـ مكتبة الإعلام الإسلامي في الحوزة العلمية ـ قم، ١٤١٣ هـ.ق.

٤٦. المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة، محمد الدشتي، السيد كاظم المحمدي، نشر: مؤسسة أمير المؤمنين عليه السلام للتحقيق، إيران، الطبعة السادسة، ١٣٧٥ هـ.ش.

٤٧. المعجم الوسيط، المؤلّف: لجنة، نشر: دفتر نشر فرهنك إسلامي ـ إيران، الطبعة الرابعة، ١٤١٢ هـ.ق.

٤٨. معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الخوئي، منشورات مدينة العلم، قم، ٢٣ مجلّد، الطبعة الثالثة ـ لبنان، ١٤٠٢ هـ.ق.

٤٩. مقالات تأسيسية في الفكر الإسلامي، السيد محمد حسين الطباطبائي، تعريف: خالد توفيق، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.ق.

٥٠. المقتطفات، عيدروس بن أحمد السقاف الحسيني الأندونيسي، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، جزآن، مطبعة أمير، إيران، ١٤١٥ هـ.ق.

٥١. مقتل الحسين عليه السلام، السيد عبد الرزاق المقرّم، منشورات قسم الدراسات الإسلامية، طهران.

٥٢. الملحمة الحسينيّة، الشيخ الشهيد مرتضى المطهري.

٥٣. الملهوف، الطبعة الأولى ـ ١٤١٤ هـ.ق، السيد علي بن موسى، رضيّ الدين بن طاوس، طبع: دار الأسوة التابعة لمنظمة الأوقاف، تحقيق: الشيخ فارس تبريزيان الحسّون.

٥٤. منتهى المقال، أبو علي الحائري، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ٧ مجلّدات، إيران ـ الطبعة الأولى ـ ١٤١٦ هـ.ق.

٥٥. المُنجد، لويس معلوف، انتشارات دهقاني، إيران، الطبعة الرابعة، ١٣٧٤ هـ.ش.

٥٦. موسوعة الإمام الجواد عليه السلام، مجلّدان، تأليف: لجنة، بإشراف الشيخ أبو القاسم الخزعلي، نشر: مؤسسة ولي العصر عليه السلام، إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ.ق.

٥٧. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات: مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.ق.

٥٨. النصّ والاجتهاد، السيّد عبد الحسين شرف الدين.

٥٩. النصائح الكافية لمن يتولى معاوية، السيد محمد بن عقيل، طبعة دار الثقافة، قم.

٦٠. النظام السياسي، أحمد حسين يعقوب، مؤسّسة الفجر ـ لندن.

٦١. نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار، السيد علي الميلاني، ١٢ مجلّداً، مطبعة مهر، الطبعة الأولى ـ ١٤١٤ هـ.ق.

٦٢. نهج البلاغة، السيد الرضي، تحقيق: صبحي الصالح، نشر دار الأسوة، الطبعة الأولى، إيران، ١٤١٥ هـ.ق.

٦٣. وسائل الشيعة، الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مطبعة مهر، قم، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.ق.

٦٤. وعّاظ السلاطين، الدكتور علي الوردي، طبعة: دار كوفان، لندن، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

٦٥. ولاية الفقيه، الشيخ حسين علي المنتظري، الناشر: المركز العالمي للدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.ق.

٦٦. اليزيدية، السيد عبد الرزاق الحسني.

٦٧. ينابيع المودّة، ٤ مجلّدات، سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، تحقيق: سيد علي جمال أشرف، مطبعة أسوة، الطبعة الأولى، إيراني، ١٤١٦ هـ.ق.

المحتويات